بسم الله الرحمن الرحيم

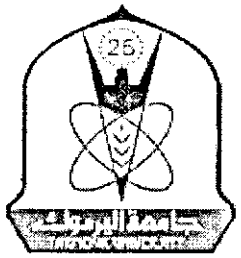

جامـــــعـــة اليـــرمـــــــوك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قـــسم الدراســـــات الإســـلامية
برنامج دكتوراه التربية الإسـلامية

سورة القصص رؤية تربوية تطبيقية

إعداد الطالب

نزار داود جرن

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد عقلة الإبراهيم

حقل التخصص – التربية الإسلامية

الفصل الدراسي الأول

2010م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

جامـــــعـــة اليـــــرمـــــــوك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قـــسم الدراســـــات الإســـلامية
برنامج دكتوراه التربية الإسـلامية

سورة القصص رؤية تربوية تطبيقية

إعداد الطالب

نزار داود جرن

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد عقلة الإبراهيم

حقل التخصص – التربية الإسلامية

الفصل الدراسي الأول

2010م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سورة القصص رؤية تربوية دراسة تطبيقية

إعداد الطالب

نزار داود جرن

قُدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في

التربية الإسلامية في جامعة اليرموك، إربد، الأردن

وقد وافق عليها:

أ.د محمد إبراهيم عقلة ..... رئيسا

أ. د رافع عقيل الزغول..... عضواً

أ. د ناصر أحمد خوالدة..... عضواً

د. يحيى ضاحي شطناوي..... عضواً

د. عائش علي لبابنة..... عضواً

نوقشت الرسالة بتاريخ 22 محرم 1432

28 كانون أول 2010

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الإهـــــــــداء

إلى رياض بهجتي ومهجة حياتي أبي وأمي

إلى عبير عمري زوجي أم محمد وأولادي محمد وداود وغنى

إلى أستاذي الفاضل المشرف على رسالتي أ.د محمد عقلة

إلى من يعتز برسالة القرآن الخالدة

إلى هؤلاء جميعا أضع رسالتي هدية بين أيديهم

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشكر والتقدير

الشكر والحمد لله في الأولى والآخرة، له الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما يقول العبد، وكلنا له عبد، لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه.

نحمده على نعمائه، ونشكره على ما أولانا به من فيض عطائه، وجميل إحسانه، فوفقنا وسددنا، وأرشدنا لما في خير وصلاح لنا في دنيانا وآخرتنا، وذلك بإرسال خير رسله وأعظم كتبه، فجعله مصدر شريعتنا، وأساس عبادتنا وأخلاقنا، وحافظنا من الشر والخذلان.

بعد شكر الله لا يسعني إلا أن أتقدم بعظيم الشكر والامتنان لوالدي اللذين أمداني بالحب وزوداني بتوجيه تربوي جعلني أتحرك نحو الأدب والفضيلة، وإني أتوجه إلى الله شاكرا وداعيا أن يزيد في أعمارهما ويبارك في أعمالهما ويقر أعينهما بمرافقة الحبيب محمد ﷺ في الجنة، ثم أني أرسل بالغ شكري إلى زوجتي أم محمد التي هيأت لي المناخ المناسب طوال مسيرتي العلمية، دون أن تضعف همتها أو يفتر عزمها، فطالما أمدتني بكلماتها التي تبعث في جوانحي الأمل.

كما وأقدم خالص شكري إلى جامعة اليرموك التي فتحت لي كل باب، لأنهل من علومها، وأرتشف من آدابها، واستنير بمعارفها.

أضع خالص تقديري وامتناني بين يدي أستاذي الدكتور محمد إبراهيم عقلة الذي تفضل بالإشراف على رسالتي، وأحاطني بالدعم المتواصل والرعاية الشاملة منذ أن كانت خاطرة إلى أن برزت إلى النور، فجزاه الله عني حير الجزاء، ونشكر الأساتذة الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة بتكرمهم لقبول مناقشتها، وهم ....، وأشكر القائمين على كلية الشريعة الإسلامية الذين كانوا بحق رمزا في الجود والعطاء، فأفادونا من عصارة علومهم وخصوبة تجاربهم، وأشكر كل من ساعدني في مشواري هذا ولو بكلمة طيبة أو دعوة صادقة، جزاكم الله عنا خير الجزاء، وأحسن مثوبتكم، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	د
شكر وتقدير	هـ
قائمة المحتويات	و
الملخص باللغة العربية	ط
فصل تمهيدي	1
الفصل الأول: خلفية الدراسة وأهميتها	4
المقدمة	5
مشكلة الدراسة وأسئلتها	9
أهداف الدراسة	10
أهمية الدراسة	10
مصطلحات الدراسة	11
منهج الدراسة	12
حدود الدراسة	12
الدراسات السابقة	12
الفصل الثاني: البناء العقدي	18
التمهيد	19
المبحث الأول: أهداف البناء العقدي	20
المبحث الثاني: وسائل البناء العقدي	39

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثاني: التطبيقات التربوية في الجانب العقلي 245

المبحث الثالث: التطبيقات التربوية في الجانب الأخلاقي..... 248

المبحث الرابع: التطبيقات التربوية في الجانب الاجتماعي 250

المبحث الخامس: التطبيقات التربوية في الجانب الدعوي..... 253

الخاتمة: 256

قائمة المصادر والمراجع 260

فهرس الآيات القرآنية 269

فهرس الأحاديث النبوية 275

الملخص باللغة الإنجليزية 276

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الملخص باللغة العربية

جرن، نزار داود. سورة القصص رؤية تربوية تطبيقية، رسالة دكتوراه، جامعة اليرمـــوك، 2010، المشرف: أ.د: محمد عقلة الإبراهيم.

هدفت الدراسة إلى الكشف عن نظام تربوي كامل ينهض بالأفراد والجماعات على مختلـــف الأصعدة، مستمدا من آيات الوحي وتعاليم السماء، وذلك من خلال عـــرض الأهـــداف والوســـائل التربوية لسورة القصص، مع عرض صور تطبيقاتها في الميدان التربوي ضمن مجالاتها الخمسة، وهي المجال العقدي، والمجال العقلي، والمجال الأخلاقي، والمجال الاجتماعي، والمجال الدعوي.

وقد استخدم الباحث المنهج الاستنباطي، الذي يعني بذل أقصى مجهود عقلي ممكن في آيات سورة القصص بقصد استخلاص المضامين التربوية المتمثلة بالأهداف والوسائل التربوية.

لقد اشتملت الرسالة على سبعة فصول وفصل تمهيدي وخاتمة وفق النحو التالي:

الفصل الأول: وتشمل مشكلة الدراسة وأهدافها وأهميتها ومصطلحاتها ومنهجها والدراسات السابقة ومحددات الدراسة.

الفصل التمهيدي: ويشمل التعريف بالسورة وعدد آياتها وتسميتها وأغـــراض الـــسورة وتسلـــسل أحداثها.

الفصل الثاني: يشمل أهداف البناء العقدي ووسائله.

الفصل الثالث: يشمل أهداف البناء العقلي ووسائله.

الفصل الرابع: يشمل أهداف البناء الأخلاقي ووسائله.

الفصل الخامس: يشمل أهداف البناء الاجتماعي ووسائله.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل السادس: يشمل أهداف البناء الدعوي ووسائله.

الفصل السابع: يشمل التطبيقات التربوية في المجال العقـدي والعقلـي والأخلاقـي والاجتمـاعي والدعوي ضمن مجال التعليم.

الخاتمة: تشمل أبرز النتائج والتوصيات.

توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة من أهمها ما يلي:

1. سورة القصص صالحة لأن تكون نظاما تربويا مستقلا بذاته، حيث تتجسد فيها شـمولية القرآن الكريم في عالم الأفراد والجماعات.
2. تحتوي سورة القصص على منهج رصين يعالج قضايا تربوية كبرى، بحيث يكفل تطبيقه إخراج الإنسان الصالح والمجتمع الصالح والأمة الصالحة.

في ضوء هذه النتائج يوصي الباحث بضرورة بلورة فلسفة تربوية متكاملة وواضحة وشاملة من المصادر الإسلامية، وعلى رأسها القرآن والسنة، لضبط المـسار التربـوي، ومعالجـة مختلف القضايا التي تطرأ على الساحة المحلية والعالمية في عالم متغير، يـشهد صـراعات عنيفة في الرؤى والوسائل والأهداف، وذلك لضمان إيجاد الفرد الصالح والمجتمـع الـصالح والأمة الصالحة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فصل تمهيدي

التعريف بسورة القصص

هي سورة مكية كلها، وقال ابن عباس وقتادة إلا أن آية نزلت بين مكة والمدينة، وقيل بالجحفة في وقت هجرة النبي محمد ﷺ، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ القصص أية 85.

عدد آياتها: سورة القصص ثمان وثمانون آية[1].

تسميتها: يرجع سبب تسميتها إلى أن الله أبان فيها ما يحتاج إليه العباد من معرفة ربهم وحقوقه، ومعرفة أوليائه وأعدائه، ووقائعه وأيامه، ومن جملة ما أبانه قصة موسى وفرعون[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾القصص أية 3. ثم أبان قصة بني إسرائيل واستضعاف فرعون لهم، وكذلك تناول قصة المترفين وعاقبة أمرهم، وجعل قارون نموذجا لإظهار سنة الله في أخذ المترفين بعذاب أليم.

ميقات السورة والظروف التي نزلت بها: نزلت السورة والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان، فنزلت لتبين أن هناك قوة واحدة في الكون هي التي تقرر لمن النصر والغلبة والتمكين، وأنه من كانت قوة الله معه فلا يُغلب، ومن كانت قوة الله عليه فلا ينفعه شيء[3].

---

[1] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د،ط)، 1998 229/7.

[2] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003، ، ص582.

[3] قطب، سيد. في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط25، 1996، 2673/5.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أغراض السورة: سورة القصص من السور المكية التي تهتم بجانب العقيدة؛ التوحيد والرسالة، البعث[1].

محور السورة: المحور الذي تدور حوله سورة القصص هو حول فكرة الحق والباطل، ومنطق الإذعان والطغيان.

لقد ساقت في سبيل توضيح ذلك قصتين:

أولاهما: قصة الطغيان بالحكم والسلطان، ممثلة في قصة فرعون الطاغية المتجبر الذي أذاق بني إسرائيل سوء العذاب، حتى تمادى في طغيانه ليعلن على الملأ أنه إله من دون الله، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ القصص أية 38.

ثانيهما: قصة الطغيان بالمال والثروة، ممثلة في قارون الذي آتاه الله من المال، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ القصص أية 76.

تسلسل الأحداث:

ابتدأت السورة بالحديث عن طغيان فرعون وعلوه وفساده في الأرض، ومنطق الطغيان في كل زمان ومكان.

ثم انتقلت إلى الحديث عن ولادة موسى عليه السلام وخوف أمه عليه، وإلهام الله لها أن تلقيه في اليم.

ثم نمو موسى عليه السلام في قصر فرعون حتى كبر واشتد عوده، ثم بلوغ موسى عليه السلام وقتله للقبطي وهجرته إلى مدين، وقُدر له أن يتزوج من أحد بناتها، ثم تكليفه بالرسالة أثناء عودته إلى وطنه، ثم توجهه إلى فرعون داعيا ومبشرا برسالة الله تعالى، إلى أن أغرق الله فرعون وجنوده.

[1] الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، دار الصابوني، (د،ط)، (د،ت)، 326/2.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثم انتقلت إلى موقف الكفار والمشركين من الرسالة التي جاء بها محمد ﷺ، مع ذكر حججهم وإبطالها.

ثم تحولت للحديث عن قارون الذي طغى في ماله، واستكباره عن سماع الذكرى التي تنفعه، وانتهى أمره بخسف الأرض به، ثم ختمت السورة ببيان طريق السعادة، وهو طريق الأنبياء والرسل[1].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

[1] المرجع السابق، 326/2.

الفصل الأول

خلفية الدراسة وأهميتها

ويشمل على

- المقدمة
- مشكلة الدراسة وأسئلتها
- أهداف الدراسة
- أهمية الدراسة
- مصطلحات الدراسة
- منهج الدراسة
- حدود الدراسة
- الدراسات السابقة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الأول

خلفية الدراسة وأهميتها

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

يوم أن نزلت تعاليم السماء إلى أهل الأرض كانت البشرية تتخبط في دياجير الضلال والظلام، وتسير في غمرة من الأوهام وفوضى الأخلاق، وتتنازع الأهواء والمصالح، فكان لا بد من قانون ينظمها، وقواعد تحفظ سلامتها، فبدت الحاجة إلى التربية الصحيحة والشاملة ماسة، وكانت الشرائع السماوية السابقة والمتعاقبة محدودة بحدود الزمان والمكان، فكانت كل شريعة تعالج قضايا معينة، لمجتمع معين في زمان معين ومكان معين، فأنزل الله القرآن هداية للناس من الضلالة، وإخراجا لهم من ظلمات المعصية إلى أنوار الطاعة، حيث تضمن منهاجا تربويا متكاملا وشاملا شمل جميع مجالات الحياة البشرية، وفي مختلف أطوارها ومراحلها، مما تسبب في نفخ روح الحياة في المجتمع الإنساني، الذي لولاه لكان جثة هامدة تنخر به جراثيم العفن الأخلاقي والتفسخ الاجتماعي، كما تسبب في رقي البشرية سلوكا وعقلا وفكرا ونظاما، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام/122.

لقد أشرقت رسالة الإسلام في لحظة أرادها الله خاتمة لتاريخ الشرائع السابقة، وفاتحة جديدة لحضارة إنسانية خالدة، تلتقي فيها السماء بالأرض، وتنبعث أمجادها على خطوط الطول والعرض من الكرة الأرضية، فاتجهت تعاليم الرسالة الإسلامية إلى وضع نظرية في عالم العلم والتربية

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والأخلاق، باعتبارها هي الأساس الأول الذي ينبغي أن تنصب فيه جهود العمل والبناء، والركيزة الأولى لإحداث نقلة نوعية في حياة الأفراد والجماعات، والخطوة الرئيسة في تنشئة رجال صالحين في عقيدتهم وأفكارهم وأخلاقهم وعلاقتهم بعضهم مع بعض، يستحقوا أن يكونوا نماذج تهتدي بهم البشرية، ومشاعل تشرق بهم دروب الحياة، حتى حق فيهم قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة/54.

هذا التغير الجذري الذي حدث في واقع المجتمع الإنساني يعود في أساسه إلى الأسلوب الذي اتبعه القرآن في سبيل غرس القيم الإنسانية والمعاني الأخلاقية والتوجيهات التربوية العظيمة، التي استطاعت إلى حد يفوق التصور أن توازن بين العلم والعبادة، وبين القول والفعل، والنظرية والتطبيق.

وإذا تأملنا آيات الكتاب العزيز وجدنا فيه أساليب عدة قد استخدمها القرآن في تربية الفرد والجماعة وتحقيق التوازن المطلوب في حياة البشر، وكان من بين هذه الأساليب في القرآن هو استخدام أسلوب القصة، الذي اشتمل على سرد قصص الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى غيرهم سواء كانوا من الأخيار أو الأشرار، وهذا يحتوي على جانب كبير من الأهمية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ يوسف/111.

لا شك أن الأسلوب القصصي يعتبر من أنجح الأساليب للتقويم والهداية، وقد روى القرآن أخبار الأمم السالفة، فقدمها إلى القلب والشعور بطرق مثيرة لعواطف الخير، صارفة عن نوازع الشر، تحمل في طياتها بذور الإيمان.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ولما نظر الباحث في بعض سور القرآن الكريم للبحث عن المضامين التربوية وجد أن سورة القصص قد أخذت قسطا وافرا وحظا كبيرا من هذا الموضوع، حيث اشتملت على معاني ومقاصد عامة تدور حول قضايا كبرى يقوم عليها الدين، كقضية التوحيد والرسالة ويوم البعث والحساب، كما وتشمل قيم خلقية جديرة باستخلاصها وفهمها وتطبيقها، وقد ظهر معظم ذلك من خلال أسلوب قصصي فريد، إذ شملت سورة القصص على قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وقصة محمد ﷺ مع بعض كفار مكة، ثم قصة قارون، وهي جميعا قصص تمتاز بسمو الغاية وشريف المقصد في عالم التربية والتهذيب.

يرجع سبب تسمية السورة إلى أن الله أبان فيها ما يحتاج إليه العباد من معرفة ربهم وحقوقه، ومعرفة أوليائه وأعدائه، ووقائعه وأيامه، ومن جملة ما أبانه قصة موسى وفرعون[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ القصص/3 . ثم أبان قصة بني إسرائيل واستضعاف فرعون لهم، وكذلك تناول قصة المترفين وعاقبة أمرهم، وجعل قارون نموذجا لإظهار سنة الله في أخذ المترفين بعذاب أليم، ليأخذوا من مضامينها منهاجا تربويا يحقق السعادة على مستوى الفرد والمجتمع.

ومن هنا نشأت الحاجة إلى تدبر هذه القصة وأمثالها وتعميق الرؤية فيها، لاستخلاص المعاني والقيم التي من خلالها يستطيع المسلم أن يمارس استخلافه الحضاري على وجه الأرض، وتمكنه من حسن استخدامه للطبيعة التي سخرها الله له وفق تعاليمه ومعطياته.

فجاءت هذه الدراسة للكشف عن المضمون التربوي لسورة القصص، وذلك من خلال عرض الأهداف التربوية ووسائلها، ثم التوصل إلى الأبعاد التربوية في حياة الفرد والمجتمع.

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003، ص582.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدراسة مكونة من سبعة فصول وفق النحو التالي:

الفصل الأول: خلفية الدراسة وأهميتها.

الفصل الثاني: البناء العقدي.

الفصل الثالث: البناء العقلي.

الفصل الرابع: البناء الأخلاقي.

الفصل الخامس: البناء الاجتماعي.

الفصل السادس: البناء الدعوي.

الفصل السابع: التطبيقات التربوية.

الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

مشكلة الدراسة وأسئلتها

شكلت سورة القصص نظاما تربويا قائما بذاته، يساعد على ضبط العملية التربوية وبنـــاء شخصية إسلامية تتجسد فيه قيم الدين ومثل الإسلام، ويؤدي وظيفته في الحياة بكفاءة عالية وفـــق المنهج الإلهي، سواء تجاه نفسه أو أهله، أو جيرانه، أو مجتمعه، أو أمته، أو مـــع أفـــراد البـــشر جميعا، وهذا النظام بحاجة إلى من يظهره للناس ويعمل على ترسيخه في حياة المسلمين.

لذلك أحس الباحث بهذه الإشكالية تجاه سورة القصص، وقدم دراسته هذه لتبيين المواقـــف التربوية التي شملتها السورة، من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما الرؤية التربوية التي تطرحها سورة القصص لصياغة إنسان الرسالة وتحقيق نهوض الأمة؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:

1. ما الأهداف التربوية للبناء العقدي وما وسائله كما تشير إليه سورة القصص؟
2. ما الأهداف التربوية للبناء العقلي وما وسائله كما تبين من سورة القصص؟
3. ما الأهداف التربوية للبناء الخلقي وما وسائله كما يظهر من سورة القصص؟
4. ما الأهداف التربوية للبناء الاجتماعي وما وسائله كما يتضح من سورة القصص؟
5. ما الأهداف التربوية للبناء الدعوي وما وسائله كما يتضح من سورة القصص؟
6. كيف يمكن تطبيق هذه الأهداف بوسائلها في الميدان التربوي؟

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أهداف الدراسة

تحاول هذه الدراسة أن تبين مكانة سورة القصص وأهمية الدور الذي تؤديه في العملية التربوية، لإخراج الإنسان الصالح الذي يتكيف مع نفسه وأهله وجيرانه ومجتمعه وأمته وفق معايير دينه ومتطلبات رسالة الإسلام، ويمكن إجمال أهداف الدراسة في النقاط التالية:

1. بيان أهداف البناء العقدي ووسائله من سورة القصص.
2. توضيح أهداف البناء العقلي ووسائله من سورة القصص.
3. تحليل أهداف البناء الخلقي ووسائله من سورة القصص.
4. إبراز أهداف البناء الاجتماعي ووسائله من سورة القصص.
5. استنتاج أهداف البناء الدعوي ووسائله من سورة القصص.
6. وضع تطبيقات للأهداف والوسائل في الميدان التربوي التعليمي.

أهمية الدراسة

قدمت السورة نظاما تربويا عظيما ومهما يعطي بعدا إيمانيا للعملية التربوية ويحقق التناغم بين الأصالة والمعاصرة، ويعمل على تنشئة جيل الإيمان، الذي يعمل على إصلاح نفسه وتطوير مجتمعه، دون التأثر بالنظريات التربوية الوضعية ممن لا تتفق مع الرؤية الإسلامية، كما أنها تفتح حقولا جديدة في التعامل مع آيات الوحي وفهمها بطريقة تمكن الأمة في الإقلاع الحضاري بقوة ونجاح.

لذا تحاول هذه الدراسة إبراز هذا النظام التربوي وكيفية الاستفادة منه بشكل يخدم العملية التربوية.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وعليه يمكن أن يستفيد من هذه الدراسة كل من الآتي:

1. الآباء والأمهات لغرس القيم والمعايير الصحيحة في نفوس الأبناء.
2. المربين والدعاة وأئمة المساجد لإيصال الفكر الصحيح والمنهج التربوي السليم إلى الناس.
3. القائمون على تصميم المناهج التربوية ابتداء من رياض الأطفال ومرورا بالمدارس وانتهاء بالجامعات والمعاهد العليا.

مصطلحات الدراسة

وردت في هذه الدراسة بعض المصطلحات التي ينبغي توضيحها وهي:

1. **السورة:** حد السورة قرآن يشتمل على آي، ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات.

أو هي الطائفة المترجمة توقيفا، أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي ﷺ[1].

2. رؤية تربوية:

يقصد الباحث بهذا المصطلح تصويب النظر نحو السورة وفهم آياتها فهما يخدم العملية التربوية.

3. تطبيقية:

لم يعثر الباحث على تعريف محدد لهذا المصطلح، لكنه يقصد به تطبيق المضامين التربوية التي تم استخلاصها من سورة القصص في الحقل التعليمي.

---

[1] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال. الإتقان في علوم القرآن، مراجعة وتدقيق سعيد المندوه، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996، 147/1.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

منهج الدراسة

وفقا لطبيعة مشكلة الدراسة وأهدافها سيقوم الباحث باستخدام المنهج الاستنباطي في دراسة الآيات من سورة القصص، الذي يقوم على إعمال العقل في الآيات لاستخلاص جوانب البناء التربوي فيها، ثم عرضها على شكل أهداف ووسائل ضمن الجوانب المختلفة؛ العقدي، والعقلي، والأخلاقي، والاجتماعي، والدعوي.

حدود الدراسة

تقتصر الدراسة على تناول سورة القصص وتسليط الضوء عليها من حيث الجانب التربوي الذي ينتج الفرد المسلم المتكامل في شخصيته من الناحية العقدية والعقلية والاجتماعية والأخلاقية والدعوية، دون الخوض في مجالات أخرى من لغة وبلاغة ونظم وأحكام وتشريعات فقهية وغيره مما يدخل في اختصاص علوم القرآن.

الدراسات السابقة

في حدود اطلاع الباحث، ومن خلال مراجعته للمكتبات، ومن خلال خدمة الشبكة العنكبوتية ومراكز البحث العلمي وأدلة الرسائل الجامعية_وفي حدود علمه_ لا توجد دراسة تناولت سورة القصص تناولا تربويا، إلا أن هناك دراسات أخرى تناولت بعض السور تربويا، وفيما يلي بيان بأهم تلك الدراسات:

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

1. **المضامين التربوية وتطبيقاتها في سورة الشعراء**[1]، هدف الدراسة هو هو إظهار المضامين التربوية القيمة التي تضمنتها سورة الشعراء، سواء كانت في المجال العقدي أو التعبدي، أو التعليمي، وقد قام الباحث باستقصاء هذه المضامين مع بيان أثرها على الفرد والمجتمع، كمبدأ العدل والصدق والنصح، واعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي واستنباط الأساليب والمضامين التربوية من السورة، وتوصل إلى النتائج التالية:

أ. القرآن الكريم منهج تربوي شامل، احتوى على جميع القضايا التربوية المختلفة.

ب. الرجوع للقرآن الكريم في صياغة العلوم التربوية يؤدي إلى نجاح الأنشطة التربوية.

ج. اشتمال سورة الشعراء على العديد من المضامين والأساليب التربوية القيمة، التي تحقق نجاحا باهرا للأمة.

د. العقيدة الإسلامية هي الأساس الأول لتنشئة الفرد المسلم.

2. **المضامين التربوية لقصص الجبابرة في القرآن الكريم**[2]، هدفت الدراسة إلى بيان لفظ الجبابرة، والتعرف إلى شخصياتهم، وموقفهم من الدعوات السابقة، مضيفة إلى ذلك الدلالات التربوية والدروس والعبر المستفادة من قصص الجبابرة، وموقف القرآن من الجبابرة، واعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال جمع الآيات المتعلقة بقصص الجبابرة، وتبويب الآيات بتحديد كل موضوع وما يناسبه من الآيات التي تدعمه، ثم تحليل الآيات تحليلا تربويا، واستنباط الدلالات التربوية منها.

---

[1] البلوي، عطا الله بن يحيى. (2009م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، إربد.

[2] الزينات، سماهر عوض محمد. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التربية الإسلامية، جامعة اليرموك، إربد. (2003م).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

أ. الجبابرة مصطلح يراد به المتكبر عن عبادة الله.

ب. شخصيات الجبابرة متعددة وبأسباب متنوعة، فمنهم من تجبر بسبب ملكه كفرعون، أو بسبب ماله كقارون.

ج. التجبر له وسائل متعددة لمحاربة الخير، كالتكذيب والسخرية والشتم.

د. اتبع الأنبياء أقوم الأساليب في مقاومة المتجبرين وردعهم وتعديل مسارهم، كأسلوب الجدال الحسن وغيره.

3. **سورة القصص دراسة تحليلية**[1]، حيث تناول الباحث السورة من خلال:

أ. تحليل الألفاظ وفق المصطلح المعجمي.

ب. إبراز المناسبات بين الآيات في المقطع القرآني للسورة.

ج. تخريج القراءات القرآنية ومواردها في كل مقطع.

د. معالجة القضايا البلاغية والفقهية.

د. المعنى العام للمقطع.

و. ما يستفاد من المقطع.

وقد اعتمد الباحث في بحثه على المصادر والمراجع في استعراض الآراء في تفسير وتأويل المقطع، وإبراز الرأي في تأويل بعض المواضع والمواضيع التي تحتمل إبداء الرأي ولا سيما في المواضيع البيانية الأسلوبية.

[1] مطني، محمد. رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، قسم التفسير، جامعة الأنبار.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وتوصل إلى مجموعة من النتائج أهمها ما يلي:

1. إن هذه السورة فيها دلالات إعجازية متعددة ومن أبرزها الإعجاز اللغوي.
2. توجد في سورة القصص معالم تكون الأمة والدولة والمصير الذي يصيب الطغاة بقوته، أو بماله.
3. إن المعنى العام في سورة القصص يؤكد تأكيدا كليا على أن أي قوة عسكرية أو أي فساد وطغيان، وأي اقتصاد أريد به الإفساد في الدنيا، إنما يكون مآلهم إلى الهلاك.
4. تحتوي سورة القصص على أسس متكاملة لقواعد بناء الدولة في المنظور السياسي والأخلاقي وهي بذلك تنطق بالواقع وتقدم الصورة المثلى للدولة لئلا تظاهر كافرا، أو طاغية، أو تغتر بهما.
5. أن هناك سننا إلهية في سقوط الحضارات تبرز واضحة في سورة القصص مع القواعد الكلية لنظم المجتمعات.

تعليق الباحث على الدراسات السابقة

بالنظر إلى الدراسات السابقة تبين للباحث أنه لا توجد دراسة واحدة تناولت مضمون الدراسة الحالية، إلا أنه تبين وجود بعض نقاط الاتفاق مع هذه الدراسات على النحو التالي.

تتفق هذه الدراسة مع سابقاتها على ضرورة العناية بالقرآن الكريم، ودراسة آياته بعمق، وضرورة استثمار الآيات في تعديل المسيرة التربوية التي تكفل إخراج جيل الرسالة.

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في تناولها:

1. سورة القصص وجعلها محور الرسالة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

2. تناول الباحث في دراسته القضايا التربوية والفكرية التي تتميز بها السورة، كتدريب الفرد المسلم على التفكير النقدي بدل التفكير التبريري، والتفكير السنني بدل التفكير الخوارقي، وغيرها من القضايا الفكرية التي تساعد الأمة في الإقلاع الحضاري من جديد.

3. الأهداف التربوية التي يشملها كل جانب من جوانب التربية، وتحديد الأساليب والوسائل التي تعمل على تحقيق هذه الأهداف -كما تعكسه سورة القصص-، يمثل الفرق الجوهري بين هذه الدراسة والدراسات السابقة.

4. بالنسبة لدراسة محمد مطني وهي " سورة القصص دراسة تحليلية" فقد سجل الباحث بعض الملاحظات الخاصة، وهي:

أ. لم يخرج الباحث في المادة التي تشكل صلب بحثه عن المباحث والمواضيع التي خاض بها المفسرون قديما وحديثا، سواء كانت تاريخية، لغوية أو فقهية، دون إبداء رأي شخصي في التأويل والتحليل، معللا ذلك أن مورد النصّ لا يحتمل في بعض الأحيان الزيادة على آراء السابقين، إلا في بعض الترجيحات.

ب. لم يتعرض للجوانب التربوية بشكل ممنهج ووفق الرؤية التي طرحها الباحث في رسالته.

حتى أن المواقف التربوية المبثوثة في رسالته تهدف إلى وضع الأسس والقواعد لبناء الدولة الإسلامية، والتي تسبب بفقدانها انهيار الحضارات، وهذا الطرح يختلف اختلافا جوهريا مع طبيعة دراستنا، التي تركز على الصعيد الفردي، حيث اقتصر بحثنا على عرض الجوانب التي تعمل التربية الإسلامية على

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تنميتها في شخصية الفرد المسلم، من خلال عرض الأهداف والوسائل التي تعمل على تحقيقها، وليس على صعيد الأمة أو الدولة الإسلامية.

ج. لم يتعرض الباحث للتطبيقات التربوية، وقد أفردنا لهذا الجانب مبحثا مستقلا في دراستنا.

وقد استفاد الباحث من الدراسات السابقة بما يخدم الغاية من دراسته من حيث:

أ. طرق استنباط المضامين التربوية من آيات القرآن الكريم.

ب. كيفية توظيف هذه الآيات في الجوانب التربوية المختلفة.

ج. الاستفادة من بعض المراجع التي اعتمدوا عليها والتي تساهم في تطوير مادة البحث وإثرائها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الثاني: البناء العقدي وفيه

المبحث الأول: أهداف البناء العقدي

المبحث الثاني: وسائل البناء العقدي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تمهيد

يعد البناء العقدي الأساس الأول التي يقوم عليه الصرح الشامخ للتربية الإسلامية، حيث تعتمد عليه التربية في كل مجالاتها ومراحلها، من لحظة الولادة حتى الموت، سواء في المجال النفسي أو الخلقي أو العبادي أو العقلي أو الاجتماعي..

ومن أجل ذلك اشتدت عناية القرآن الكريم بإظهار العقيدة على أصولها، وإبرازها أمام الناس بصورة ناصعة، ومما يؤكد هذه العناية نزول القرآن في مكة مدة ثلاثة عشر عاما يصقل العقيدة في نفوسهم صقلا، حتى لا تهتز ولا تختل ولا يصيبها من الضعف البشري ما يجعلها تعيش في ظلمات مطبقة وجهالة عمياء مضلة، ترى الحق باطلا والباطل حقا.

فكما أنه لا مجتمع بدون تربية، فكذلك لا وجود للتربية بدون عقيدة، فما حدث هذا الانتقال النوعي الذي حصل في حياة الأمة قبل أربعة عشر قرنا إلا بفضل العقيدة أولا، قالت عائشة ﷺ:﴿ إنما نزل أول ما نزل منه _القرآن_ سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء ولا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب، **قوله تعالى:** ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ القمر/46[1]﴾.

أما كيفية حصول هذا الانتقال النوعي، فهذا سيبينه الباحث إن شاء الله من خلال المبحثين:

المبحث الأول: أهداف البناء العقدي

المبحث الثاني: وسائل البناء العقدي

وعليه فإن هذا الفصل يجيب عن السؤال الآتي:

ما الأهداف التربوية للبناء العقدي، وما هي وسائله كما تشير إليه سورة القصص؟

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، 122/6، رقم الحديث 4993.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: أهداف البناء العقدي

لقد تضمنت سورة القصص عقيدة التوحيد بجميع أقسامها؛ توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

تسهم الأقسام الثلاثة هذه في بناء نفوس إنسانية تستعلي بعبوديتها وعقيدتها على شهوات الدنيا ولذائذها، وتتجرد من كل عبودية في الأرض سوى عبودية الله وحده، إذ الملاحظ أن معظم الأحداث في سورة القصص تدور حول مضمون رئيس، وهو أن الله هو خالق الإنسان ومدبر الكون بما فيه من ليل ونهار، وأرض وسماء، وموت وحياة، وهلاك ونجاة، واستضعاف وتمكين،

إذا هدف السورة العام تعميق قيمة الارتباط بين العبد وربه، والتوكل عليه في صغائر الأمور قبل كبارها، ودقيقها قبل عظيمها، ولا يتم ذلك إلا من خلال إقرار العبد بتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وهو ما سيبينه الباحث في سياق المطلب، وذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: غرس عقيدة توحيد الربوبية

المطلب الثاني: غرس عقيدة توحيد الألوهية

المطلب الثالث: غرس عقيدة توحيد الأسماء والصفات

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الأول: غرس عقيدة توحيد الربوبية

العقيـــدة: هي الإيمان الجازم بالله، وما يجب في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص من أمور الغيب، وما حصل عليه إجماع السلف[1].

التوحيد: هو إفراد الله تعالى في ربوبيته، وإفراده في ألوهيته، وإفراده في أسمائه وصفاته[2].

توحيد الربوبية: هو الاعتقاد بأن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والملك والتدبير، وهو أيضا توحيد الله بأفعاله[3].

الأدلة التي تدل بأن الله مدبر الكون وخالقه

هناك أدلة كثيرة على وحدانية الله تعالى في ربوبيته منها:

1. دلالة النص الصريح: بينت سورة القصص بعبارة النص الصريح أن الربوبيـــة هـــي لله وحده في الكون، المصرف أمور مخلوقاته، منها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ القصص أية 30.

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾القصص أية 69.

تدل هذه الآيات على عموم خلق الله تعالى لسائر مخلوقاته، ونفوذ مشيئته بجميـــع البريـــات، وانفراده باختياره من يختاره ويختصه، من الأشخاص والأوامر والأزمان والأماكن، وأن أحدا ليس

---

[1] العقل، ناصر. بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة، دار العاصمة، الرياض، ط2، 1998، ص11.

[2] زكريا، أبو بكر محمد. الشرك في القديم والحديث، مكتبة الرشد للنشر، الرياض، ط1، 2001، 20/1.

[3] العمر، ناصر بن سليمان. التوحيد أولا، دار الوطن، الرياض، ط1، 1413هـ، ص18.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

له من الأمر والاختيار شيئا، وأنه وحده العالم بما أكنته صدورهم وما أعلنوه، وهو بيده مالك الهداية[1].

2. دلالة الحس: حثت سورة القصص على ضرورة إعمال حواس الإنسان من سمع وبصر في المخلوقات، والتأمل في مظاهر الكون، وطريقة تصريفها، الأمر الذي يدل على أن الكون كله يقع تحت تدبير الله خاضع لحكمته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ القصص أية 71-72.

" فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات، وأدار نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنباتات، أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره، وفاعل يحكمه ويقدره، بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفه بمقتضى تدبيره"[2].

3. دلالة الأحداث: مشاهدة أحداث الحياة وما يحل بالمجتمعات من تقدم وتأخر، وصعود وهبوط، ونصر وهزيمة وفق نظام محدد_السنن الربانية_، كل ذلك يدل على أن هذه الأحداث لا تقع من تلقاء نفسها، ولا بد من خالق لها، كما حدث مع قوم فرعون وقارون، حيث عقب الله على هلاك الأخير منهما ما يدل على أن الأمر بيده وحده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ القصص أية 81.

---

[1] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط2، 2001،ص871.

[2] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. إحياء علوم الدين، تحقيق الشحات الطحان وعبد الله المنشاوي، دار والي الإسلامية، المنصورة، ط1، 1996، 155/1.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أنواع ربوبية الله في الخلق

1. **الربوبية العامة:** وهي لجميع الناس؛ برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، كخلقهم، ورزقهم، وهدايتهم لما لهم فيه مصلحة في الدنيا.

ونضرب على ذلك مثلا بما أنعم الله به على فرعون من الملك، وقارون من الأموال، حتى تمنى الناس ملكا مثله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾القصص أية 79.

2. **الربوبية الخاصة:** وهي تربية الله لأوليائه المؤمنين، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

والأمثلة على هذا النوع كثيرة، نضرب منها على سبيل المثال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص أية 59. أي أن الله أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلالته[1].

كذلك توفيق الله موسى عليه السلام في حياته العملية، وعنايته به منذ أن كان رضيعا إلى أن عاد إلى أمه، جاعلا إياه من المرسلين.

نواقض توحيد الربوبية

يناقض توحيد الربوبية بأن يعتقد المرء بأن هناك من يملك جلب النفع أو دفع الضر سوى الله تعالى، سواء من الملوك أو غيرهم، وهذا ما جاءت به بعض آيات القصص، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَآ

[1] الحمد، محمد بن إبراهيم. توحيد الربوبية، ص16. السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص 868.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴾ القصص أية 62-64.

هذا إخبار من الله تعالى، عما يسأل عنه الخلائق يوم القيامة، وأنه يسألهم عن أصول الأشياء، عن عبادة الله، وإجابة رسله.. ينادي من أشركوا به شركاء، يعبدونهم، ويرجون نفعهم، ودفع الضر عنهم، فيناديهم، ليبين لهم عجزها وضلالهم[1].

الثمرات التربوية لتوحيد الربوبية

تتجلى أبرز ثمرات توحيد الربوبية فيما يلي[2]:

1. **سكون النفس واطمئنان القلب:** من يعتقد تفرد الله بالكون خلقا وتدبيرا وتصريفا وسائر الأفعال التي تتعلق بذاته العلية، لا يدوم له حزن، ولا يستحوذ عليه الهم والغم، حتى يقعده عن العمل، ويعجزه عن مواجهة المشاكل والمواقف الطارئة، لأنه يعلم أن الله وحده هو المعطي والمانع، والضار والنافع، والمقدم والمؤخر، " فإن الإنسان خلق محتاجا إلى جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، ونفسه مريدة دائما، ولا بد لها من مراد يكون غاية مطلوبها لتسكن إليه وتطمئن به، وليس ذلك إلا لله وحده، فلا تطمئن القلوب إلا به، ولا تسكن النفوس إلا إليه "[3].

ويدل على ذلك أن الله حين أوحى لأم موسى بإلقاء موسى عليه السلام في اليم، أمرها بألا تخف ولا تحزن، لأنه هو المدبر للأمور والمتصرف فيها، فلا داع للقلق ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ

---

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، 870.

[2] سيأتي المزيد من هذه الثمرات ضمن عنوان: المضمون التربوي المتعلق في توحيد الألوهية، أنظر ص35.

[3] ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني. مجموعة الفتاوى، دار الوفاء، مكتبة العبيكان، ط2، 1998، 44/1.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص أية 7.

2. الجرأة في مواجهة الظلمة والمفسدين في الأرض، ومواجهتهم بكل شجاعة وحماسة، كما فعل موسى عليه السلام عندما جاء فرعون بآيات الله البينات، معتمدا على الله سبحانه وتعالى الذي جعل له سلطانا وهيبة فلا يصلون إليه بأذى، قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ القصص أية 35-36.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الثاني: غرس عقيدة توحيد الألوهية

توحيد الألوهية: استحقاق الله سبحانه وتعالى بأن يعبد وحده لا شريك له[1].

وهذا النوع من التوحيد هو حق الله على عباده، فعليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، كما ورد في الحديث عن معاذ بن جبل، أن النبي ﷺ:﴿ أتدري ما حق الله على عباده، قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك، قال: قلت: الله ورسوله اعلم، قال: حقهم ألا يعذبهم﴾[2].

أدلة توحيد الألوهية

وردت في سورة القصص أدلة واضحة على ضرورة إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة وما يقع في معناها من دعاء وتضرع وتوكل.. ومنها:

1. **دلالة النص الصريح:** فقد أوجب الشرع أن يقصد الله تعالى في كل صور العبودية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص أية 70.

2. **ذم الذين أشركوا في عبودية الله:** ذم الله من أشركوا به شركاء، وعبدوهم من دون الله، وبين أن هؤلاء الشركاء سوف يتبرؤون من عبادتهم لهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴾القصص أية 63-64.

---

[1] الحنفي، ابن أبي العز. شرح العقيدة الطحاوية، حققها وراجعها جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، ط9، 1988، ص78.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، 207/8، رقم الحديث 7373. ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، 165/2، رقم الحديث 142.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

3. دلالة الآفاق: فقد ألمحت السورة إلى بعض فوائد النظر في الآفاق، وتقليب النظر في أسرار الكون من تعاقب الليل والنهار، حيث يسوق ذلك العبد إلى إفراد الله بالـشكر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ القصص أية 73.

نواقض توحيد الألوهية

ينقض توحيد الألوهية حين يجعل العبد لله ندا، أي مثلا له في عبادته، أو محبته، أو خوفه، أو رجائه، وهذا هو الشرك الأكبر الذي وقع فيه فرعون، وإليه أشارت الآيـة الكريمـة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾القصص أية 38.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أنواع العبادة

توحيد الألوهية أي إفراد الله بالعبادة، **والعبادة:** اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وصدق الحديث، وبر الوالدين، ودعاء، وذكر، وصبر لحكمه، وشكر لنعمه.[1]

عند التأمل في سورة القصص نجد أنها اشتملت على العديد من صور العبودية، ومنها:

1. **الدعاء:** الدعاء عبادة عظيمة وطاعة حقة لرب العالمين، وهو سبب لنيل كرامة الله في الدنيا والفوز بنعيم الله في الآخرة.

وهو أصل ثابت ندب إليه الشرع، لاشتماله على معنى عظيم وهو الافتقار إلى الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر أية 60.

فتوجه العبد إلى الله بالدعاء هو اعتراف صريح منه بأن الله وحده هو مالك الملك، بيده النفع والضر، والعطاء والمنع، والعز والذل، وأن المخلوق لا يملك لمخلوق مثله ضرا ولا نفعا، فيحمله ذلك على مزيد من اللجوء إليه، والاستعانة به، والخضوع لسلطانه.

يظهر من خلال ذلك أهمية توجه موسى عليه السلام إلى ربه بالدعاء، طالبا منه أن يغفر له زلته، ويتجاوز له عن سوء فعله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ القصص أية 16.

ثم يستمر السياق القرآني في عرض المواطن التي تتعلق فيها قلوب العباد بالخالق، حيث تشتد بهم الفاقة، وتحيط بهم أسباب الخوف والقلق، ويقل النصير، فيجدوا في الدعاء الأمن

---

[1] ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، العبودية، تحقيق وتعليق محمد زينهم عزب، دار القلم للتراث، القاهرة، 1989، ص9.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والسكينة، ويفتح لهم باب الأمل والرجاء، فموسى عليه السلام ما زال مفتقرا إلى الله ليحفظه بحفظه، ويكلأه برعايته، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ القصص أية 21.

ويواصل موسى عليه السلام دعاءه بمنتهى الأدب، مقرا بفقره واحتياجه إلى عطاء ربه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ القصص أية 24.

وحين يكلفه الله برسالته، آمرا إياه بتبليغها لفرعون، سأل ربه بأن يرسل معه أخاه هارون عليه السلام، حتى يستقوي به على حمل الأمانة العظيمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ القصص أية 34.

2. **التوكل:** وهو أن ينكشف للعبد أن لا فاعل إلا الله، وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك، فالمنفرد بإبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه[1].

من المواقف التي ظهر فيها التوكل على الله باعتباره مظهرا من مظاهر العبودية لله ما ذكره الله على لسان موسى عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ القصص أية 22.

وحاصل ذلك أن موسى عليه السلام خرج من مصر وحيدا طريدا لا يملك معرفة في طرق الصحراء إلى مدين، وبينهما مسافات شاسعة وأبعاد مترامية، لا زاد ولا استعداد، ولا دليل يستهدي به إلا الله تعالى[2]، هذا الوضع يمثل الحالة التي مر بها موسى عليه السلام، وهي

---

[1] الغزالي. إحياء علوم الدين، مرجع سابق، 344/4.

[2] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2685/5.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أنه لا يرى في الأسباب الفاعل الحقيقي التي تقف وراء الأحداث، بل لا تضر ولا تنفع إلا بإرادة خالقها، أما الفاعل الحقيقي فهو رب العالمين، فكل شيء مسخر بيده، بما فيه الهدى والضلال، والتيه والرشاد، ولذا كان اعتماده كله على الله بأن يهديه إلى سواء السبيل.

3. **الشكر:** هو من جملة مقامات السالكين، وهو ينتظم من علم وحال وعمل؛ فالعلم هو الأصل، فيورث الحال، والحال يورث العمل، فأما العلم، فهو معرفة النعمة من المنعم، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه، ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح واللسان[1].

إذا الشكر ليس مجرد كلمات يرددها اللسان مع انقطاع القلب والجوارح عنها، بل هي عبادة تمتزج فيها الأقوال مع الأفعال، وهذا قليل من يفعله، ويؤكد ذلك قوله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ سبأ أية13.

جاء ذلك في التعقيب على النعم التي أنعم الله بها على نبيه سليمان عليه السلام، حيث أتاه رصيدا عظيما من أبواب فضله، فكان من المناسب بأن تزوده هذه النعم بطاقة كبيرة لأداء شكرها، وقد أضافت الآية بُعدا جديدا لمفهوم الشكر، وهو البعد العملي، لقوله تعالى "اعملوا"، ويتجلى هذا البعد أثناء التعامل مع النعم ووجوه الانتفاع بها، حتى نجد كل انفعالاته وكل حركاته موظفة في أداء هذه العبادة.

ولذا كان لهذه العبادة ثقلها النوعي الخاص بها، لأنها تتطلب مشاهدة نعم الله التي لا تحصى، مع استخدامها في طاعته، فكلما عظمت النعمة زاد التكليف، وهذا يقتضي الصبر، ولذا جاء الشكر مقترنا مع الصبر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴾ سبأ أية 19.

---

[1] أنظر الغزالي. إحياء علوم الدين، مرجع سابق، 113/4.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومن المواقف التي تطالعنا في سورة القصص والتي يحث الله عباده فيها على شكر نعمه، **قوله تعالى:** ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ القصص أية73.

ولأهمية الشكر جاء تارة مقترنا بتوحيد الألوهية، في دلالة على أن من كمال عبودية الله تقتضي توجيه الشكر له، كما في **قوله تعالى،** ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص أية 70.

وجاء تارة أخرى مقترنا بتوحيد الربوبية، كاقتران الشكر مع جعل الليل والنهار للسكن وابتغاء الفضل، وهو من أفعال الربوبية، كما في **قوله تعالى،** ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ القصص أية 73.

تظهر فائدة هذا الاقتران أن الشكر اعتراف بأن ما أصاب العبد من فضائل ونعم إنما هي من فعل الله وحده، فهو المستحق للشكر، لا أحدا سواه.

4. **التسليم بقضاء الله وقدره:** وهو من المظاهر الكبرى التي تتعلق بتوحيد الألوهية، وهو من ثمرات توحيد الربوبية، فمن اعتقد أن الله هو وحده المتصرف في أمور الخلق، فعليه أن يقابل ما قضى الله به بالرضى والقبول، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ التوبة أية51.

لقد أشارت سورة القصص إلى أمر أساس للتعامل مع القضاء والقدر، وذلك من خلال **قوله تعالى،** ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ القصص أية67.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جاء في تفسير الآية:"معناه يختار ما يشاء.. الخيرة لله تعالى في أفعاله، وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها، ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه"[1].

وبناء عليه فما أصاب العبد في الدنيا من فرح أو هم هو من اختيار الله تعالى، وفي حال استقرار هذه الحقيقة في قلب الإنسان فإنها تمنعه من الإصابة باليأس والقنوط عند نزول الشدة، وتجعل حياته آمنة مطمئنة، فيها الشجاعة والإقدام على العمل بأمر الله وطاعته، فلا يحول دون ذلك زوال نعمة أو حصول كرب أو شدة، تأسيا بأم موسى عليه السلام حين طرحت ابنها في اليم، رغبة في طاعة الله، مستسلمة لقضائه وقدره.

المضمون التربوي المتعلق بتوحيد الألوهية

هناك دلالات تربوية مهمة تتجلى في توحيد الألوهية ومنها:

1. التعلق بالله والاعتماد عليه، وعدم حصول الجزع حين تشتد الكربات وتتوالى الأزمات، الأمر الذي يقي الإنسان من عوامل الفساد والانحراف.
2. القيام بمقتضيات توحيد الألوهيه أثره في إكساب العبد الشعور بالهدوء والاستقرار، ومنحه سكينة وطمأنينة في أقواله وأفعاله، وحركته وسكونه، فيما يؤديه من حقوق وواجبات نحو خالقه.
3. إمداد العبد بشجاعة وإقدام وصلابة في المواقف التي تحتاج إلى الصدع بالحق، لدفع أهل الفساد وقمع حججهم وباطلهم، لأنه يحمل عقيدة التوكل التي تجعله يستغني عن الخلق، ويعتمد على قوة الخالق.

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، 280/7.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

4. جعل المجتمع الإنساني مجتمعا صالحا، حضاريا، يتفاعل أفراده بعضهم مع بعض، لسد احتياجاتهم الخاصة، وتتعاظم في حياتهم معاني الخير وقيم الفضيلة، فيزيد ذلك من تماسك المجتمع ووحدته.

5. اختفاء معالم حب الذات، والعمل من أجل المصلحة الفردية، فتصبح الأعمال كلها موجهة نحو وجهة واحدة، وهي طمع الحصول على رضى الله.

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات

هو إفراد الله بما سمى نفسه ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وذلك بإثبات ما أثبته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل[1].

ويقوم توحيد الأسماء والصفات على ثلاثة أسس، وهي:

1. تنزيه الله عن مشابهة الخلق وعن أي نقص.
2. الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة، دون تجاوزها بالنقص منها أو الزيادة عليها، أو تحريفها أو تعطيلها.
3. قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات[2].

أسماء الذات الإلهية[3]

أسماء الله الحسنى لا تعرف إلا من خلال مصدريين لا ثالث لهما؛ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وقد ورد في سورة القصص بعض هذه الأسماء، ومنها:

---

[1] العمر، ناصر بن سليمان. التوحيد أولا، مرجع سابق، ص20.

[2] المرجع السابق، ص20

[3] شرح الأسماء الحسنى أنظر إلى القيسي، مروان. معالم التوحيد، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، إربد، ط1، 2008، ص186.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **الرب:** وهو السيد الذي لا شبيه له، ولا مثل في سؤدده، وقد جاء مفردا، كما في **قولـه تعـالى:** ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ القصص أية 69. وجاء مركبا، كما في **قوله تعالى:** ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ القصص أية30.

- **الغفور:** أصل الغفر الستر، فهو يغفر ذنوب عباده ويستر قبيحها.

- **الرحيم:** مشتق من الرحمة، وهو يدل على صفة فعل، أي يرحم من يشاء مـن خلقـه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ القصص أية16.

الصفات الإلهية[1]

وردت في سورة القصص مجموعة من الصفات الإلهية، وهي تنقسم إلى قسمين:

أ. **صفات الذات:** وهي التي لم يزل سبحانه متصفا بها، كالحياة والـسمع والبـصر والقـدرة والإرادة والعلم والوجه واليدين والعينين والألوهية والربوبية...

وقد ورد في السورة عدد من هذه الصفات:

- **الربوبية: قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ القصص أية69.

- **الألوهيـــة: قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص أية70.

- **الكلام:** على اعتبار أصله، لأن الله لم يزل وما زال متكلما، ومنه **قوله تعـالى:** ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ القصص أية30.

---

[1] القيسي، مروان. معالم التوحيد، مرجع سابق، ص133.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- **البقاء والأزلية:** فالله باق إلى الأزل بلا فناء أو زوال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص أية88.

- **الرحمة:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ القصص أية16.

ب: صفات الفعل: وهي الصفات التي تتعلق بمشيئة الله وإرادته، إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل، ومنها.

- **الإنشاء:** الذي يعني الخلق والإيجاد[1]: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ ﴾ القصص أية45.

- **الإهلاك:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ القصص أية43.

- **الأخذ:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ القصص أية40.

- **بسط الرزق وتقديره:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ القصص أية82.

- **الخلق:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ القصص أية68.

---

[1] الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق 340/2.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المضمون التربوي المتعلق بأسماء الله وصفاته

تنطوي أسماء الله تعالى وصفاته على معان ودلالات تربوية جمة، منها:

1. تعلم الأدب مع الله، فلا نسميه إلا بما سمى ذاته من أسمائه الحسنى، ولا نصفه إلا بما وصف نفسه الكمال والجلال، دون تعطيلها أو تكييفها أو تشبيهها، مع ضرورة استحضارها قبل الشروع في الدعاء والابتهال، فهي أجدر أن نعظم بها الله تعالى.
2. الإيمان بأسماء الله وصفاته يدفع الإنسان دفعا إلى مزيد من الخضوع والانكسار بين يدي ربه تبارك وتعالى، كيف لا وهو يؤمن بقدرة الله وعظمته وكبريائه.
3. يحمل العبد على ترك المعاصي، والابتعاد عن الطرق التي تستجلب سخط الرب وتحل غضبه، فحين يوقن بأن الله هو الحسيب الذي يحاسب عبده، فإنه يصون نفسه من الفحشاء والمنكر، ويحفظها من مواطن الشبهة والحرام.
4. يزين العبد بسمات الصالحين، ويجعله لبنة صالحة من لبنات المجتمع الإسلامي، قولا وفعلا، وهو ما يحصل للعبد حين يدرك الأسماء والصفات التي تحمل طابع الرحمة، كالرحيم والودود والغفور والأكرم والبر.
5. ترسخ محبة الله في قلب العبد، فيحمله ذلك على إيثار رضى الله على رضا نفسه وشهوته والخلق أجمعين.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الرابع: غرس عقيدة اليوم الآخر

قضية البعث والحساب في الدار الآخرة من القضايا الأساسية التي جاء بها الإسلام، والتي يقوم عليها بناء العقيدة الإسلامية بعد قضية وحدانية الله واستحقاقه للعبادة، فالحياة في التصور الإسلامي ليست الفترة القصيرة التي تمثل حياة الإنسان، وليست هي الفترة التي تحدد عمر الأمم والأجيال، بل تمتد عبر الزمان والمكان لتشمل الحياة الأولى في الأرض، والحياة الثانية يوم العرض على الله، وهي الحياة المديدة الأبدية، التي تعتبر حياة الدنيا بالنسبة لها كساعة من نهار[1]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ يونس أية45.

لقد ورد في سورة القصص ذكر اليوم الآخر في أكثر من موطن، كهدف أساسي من أجل تصحيح مسار المجتمع، وتحفيزه على التعايش الحضاري على وجه الأرض، وإعمار الأرض بالقيم ذات الطابع الإنساني، كمساعدة الضعفاء، وتحقيق العدل، وإشاعة المعروف، ومد جسور التعاون، وهو يعطي دلالة على أن غياب عقيدة اليوم الآخر هو المسؤول الأول عن تدهور أوضاع الناس وفساد نظمهم.

فانظر إلى قوله تعالى في تفسير سبب الاستكبار الذي اصطبغ به فرعون وجنوده، حيث يعود في أصله إلى عدم استقرار عقيدة الآخرة في نفوس القوم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ القصص أية39.

ومن هنا يبرز لنا دور عقيدة الآخرة في تربية السلوك الإنساني، وصلاحية اتخاذه كأداة من أدوات التغيير الاجتماعي، وهو ما اعتمده أهل العلم عندما قاموا بتبصير قارون بما أوجب الله عليه

[1] فائز، أحمد. اليوم الآخر في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط13، 1986، ص3.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من حقوق نحو الله أو نحو العباد، وذلك عن طريق تذكيره باليوم الآخر، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾

القصص أية80. ثواب الله هو الثواب العاجل، من لذة العبادة ومحبته، كما يشمل ثوابه الآجل من الجنة، وما فيها مما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين[1].

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص874.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثاني: وسائل البناء العقدي

بما أن الحديث في المبحث السابق قد توجه نحو غايات البناء العقدي، حيث قمنا بإيضاحها من خلال العودة إلى آيات سورة القصص الواردة في هذا الشأن، فإننا سنقوم في هذا المبحث بإيراد بعض الوسائل التي تمهد الطريق أمام هذه الغايات حتى تظهر وتأخذ حيزا في عالم الواقع، فالعلم بهذه الغايات وفقه معناها ليس المطلب الأول والأخير، بل لا بد من العمل بمقتضاها، وهو أمر لازم لأمة تسعى نحو العلى، وهذا أمر لا يتسنى إلا من خلال منظومة عقدية ذات ملامح واضحة وصحيحة تجمع بين الأهداف من جهة، والوسائل من جهة أخرى، وهو ما سيعالجه الباحث في مبحثه هذا، الذي يشمل:

المطلب الأول: التلقين.

المطلب الثاني: تحرير القلب من التعلق بغير الله.

المطلب الثالث: تقوية مراقبة الله.

المطلب الرابع: التذكير بنعم الله تعالى.

المطلب الخامس: عرض سير الأمم الهالكة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الأول: التلقين

استخدم القرآن التلقين كأسلوب ناجح في العملية التربوية، وقد اعتمده القرآن في غرس الكثير من القيم المثالية والمعاني الشرعية، التي تعتبر أساسا في بناء الفضيلة، وحماية المجتمع البشري من التصدع والانهيار، ويقف على رأس هذه القيم قيم العقيدة التي ينهض بها سلوك الأفراد والجماعات، ومن أمثلة ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ الإخلاص أية1-4.

وهو الأسلوب ذاته الذي استخدمه الله مع موسى عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠ ﴾القصص أية30.

تظهر فائدة هذا التلقين في الوصول من خلاله إلى التعلق بالله وحده، والاعتماد عليه، فهو رب العالمين، الذي هو المالك والمتصرف، والمربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم[1].

المطلب الثاني: تحرير القلب من التعلق بغير الله

من العوائق التي تعترض النفس البشرية وتمنعها من تحقيق التوحيد الخالص عدم صفاء القلب، وتعلقه بأمور يعتقدها سببا في جلب المنفعة ودفع المضرة، وقد نزل القرآن للحفاظ على صفاء القلب وتخليصه من كافة الشوائب التي علقت به، ضمن إطار يكون الله هو مستنده في المواقف كلها، مع إنكار ما سواه، وهذا ما حصل مع موسى عليه السلام حين خرج من مصر، فلم يتعلق

[1] القيسي. معالم التوحيد، مرجع سابق، ص 192.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

قلبه بأحد من الخلق ليبصره أو يهديه الطريق، وإنما توجه وتعلق بالله تعالى بأن يهديه سواء السبيل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ القصص أية22.

ما يجب لفت العناية إليه أن موسى عليه السلام كان يستهل دعاءه بلفظ "الرب"[1]، والسبب لأن "الرب هو المتكفل بأرزاق غيره، وعنده خزائن السموات والأرض، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، إذا علم هذا، فإن هذه الصفات تورث في قلب العبد العارف لربه سبحانه قوة عظيمة في التوكل عليه في جلب المنافع، وفي تصريف جميع أموره، فلا يتعلق إلا بالله، ولا يرجو إلا إياه، ولا يخاف إلا منه، إذ كيف يتعلق بمخلوق ضعيف مثله، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فضلا عن أن يملكه لغيره"[2].

المطلب الثالث: تقوية مراقبة الله

لا تستقيم حياة الإنسان إلا حين يستشعر أن هناك ربا يلاحظه، قائما على أقواله وأفعاله، فمن استولى عليه هذا الشعور قاده إلى ما ينفعه في عالم الدنيا والآخرة، ومن هنا تنبع أهمية توحيد الله رقيبا، وشهيدا، وسميعا، وبصيرا، وغير ذلك مما يحمل النفس البشرية على استحضار مراقبة الله في السر والعلن، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ق أية18.

تتجلى أهمية هذا الاستشعار بأنه يحمل العبد على الالتزام بأوامر الله ونواهيه، ويعصم النفس من الجشع والطمع حين تفتح أمامها أبواب المادة، ولا يأتي من الأعمال إلا ما يحبه الله ورسوله، كالوفاء بالعهود وعدم نقضها، والصدق في المعاملة، والتزام العدل مع النفس أو الغير.

---

[1] كقول الله تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ وقوله أيضا ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ القصص.

[2] عبد الجليل، عبد العزيز. ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، دار طيبة، الرياض، ط1، 1417هـ، ص96.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كل هذه المعاني ظهرت في شخصية موسى عليه السلام، حين أبرم اتفاقا مع شيخ مدين، على أن يعمل عنده ويوفي له حقه تاما وفق ما تم عليه التعاقد، والتزم موسى عليه السلام بذلك، بسبب ما يحمله من عقيدة الإيمان بأن الله مطلع عليه ورقيبه، وعبر عن ذلك بقوله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ القصص أية28.

فقوله:"والله على ما نقول وكيل" أي أن الله حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدنا عليه[1].

فالعبد متى وقر في نفسه أن الله عز وجل سميع لكل كلامه، بصير بكل عمله، عالم بكل حاله، رقيب على سره وعلنه، حينئذ يتولد له ما يسمى بالرقيب الداخلي الذي يضبط حركاته وسكناته، وهذا يثمر عنده معرفة قدر النفس، والتواضع لله، والبعد عن إيذاء الخلق أو الاعتداء عليهم[2].

المطلب الرابع: التذكير بنعم الله تعالى

الإنسان بطبعه يميل إلى حب النعيم، والتلذذ بطيب الحياة، هذه الفطرة هي التي تدفع الإنسان نحو الإنفاق السخي، إذ ينفق الأموال من غير حساب من أجل الحصول على نعم الحياة، فتلقي في قلبه أشعة من اللذة والمتعة، وتزيح عن قلبه مشاعر اليأس والإحباط.

فإذا كان لهذه النعم الأثر في عالم الحس والشعور، وفي إثارة القلوب والعقول، فإنها تملك الأثر ذاته في عالم القيم والأفكار والتصورات والمعتقدات، إذ يمكن أن تساهم إلى حد كبير في نضوج عقل الإنسان، وتهذيب سلوكه، وتغيير قناعاته ومعتقداته.

---

[1] السعدي. تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص859.

[2] البلوي، عطا الله بن يحيى بن مناحي. المضامين التربوية وتطبيقاتها في سورة الشعراء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، 1430هـ، ص35-37.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لذا نجد قدرا وفيرا من الآيات القرآنية استثمرت الحديث عن نعم الله في خلقه في سبيل ترسيخ عقيدة التوحيد، حيث فتح الله النوافذ التي تطل على الكون والحياة، ليستطلع الإنسان بدائع الخلق وجمال الوجود وعظيم فضل الله عليه، فتشعل في قلبه نور الإيمان بربوبية الله على الخلق، وقدرته المطلقة على الإيجاد، واستحقاقه وحده بالتفرد بالألوهية.

وفي هذا لإطار قدمت لنا سورة القصص بعض المشاهد الكونية التي تضع لمسة ذات أثر على حواس الإنسان وجوارحه، وتترك أثرا على قلبه وعقله، من خلال ملاحظة النظام المطلق، والصنعة الإلهية الكاملة، والإحكام الرباني المتميز، الذي يسوق المتأمل إلى التسبيح بحمده، والاعتراف بفضله، والاجتهاد بشكره، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ القصص أية 71-73.

" وفي هذه الآيات تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم الله عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إن وازن بين حال عدمها ووجودها تنبه عقله لموضع المنة"[1].

[1] السعدي. تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص 872.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الخامس: عرض سير الأمم الهالكة

يعمل القصص القرآني على بناء عقيدة التوحيد من خلال وسائل عدة، ومن أبرز تلك الوسائل الحديث عن أهل السفاهة والكفر خاصة، وإفراد سور تتناول هذا الموضوع، وتسهب في توضيح درجة انحرافهم وما كانوا عليه من قيم ضالة ومعتقدات فاسدة، لتبين جوانب القصور والنقص والفقر والعجز التي تظهر في الجانب النفسي والعقلي والفكري والاجتماعي.. لتلك الأقوام، مقابل إظهار كمال الله وعزته وعظيم قدرته وجليل شؤون ربوبيته.

فحين يدعو القرآن إلى تدبر أحوال الأمم الغابرة، كقوله تعالى، ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾القصص أية40. إنما هو بسبب ما تحمله هذه الآيات العظام من تجليات لأسماء صفات الله الحسنى وصفاته العلية، فتسوق من كان له قلب أو ألقى السمع إلى توحيد الخالق، معطيا ومانعا، ناصرا وهازما، رفيقا وجبارا، ودودا وعدوا للكافرين.

هذا هو أجل الفوائد والتي تحمل الإنسان على تزكية النفس وتعديل السلوك والقيام بشؤون الألوهية على أوسع نطاق. قَالَ تَعَالَى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف أية111.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وإلى جانب تلك الوسائل في البناء العقدي اهتدى الباحث إلى وسائل أخرى، منها:-

1. **بيان الطبيعة الإنسانية:** جبلت الطبيعة الإنسانية على الوقوع في الخطأ والتقصير، فاشتدت بذلك حاجته للتوجه إلى الله، طالبا منه أن يغفر له ذنبه ويكفر عنه إثمه، وهو ما فعله موسى عليه السلام عندما قتل نفسا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ القصص أية19.
2. **بيان حقيقة الحياة:** خلق الله الحياة للإنسان، وأودع فيها ما يحبه ويكرهه، وما يسعى إلى تحصيله أو دفعه عنه، فكان ذلك سببا في افتقار العبد إلى الله، فيتوجه إليه طالبا منه حصول المسرات ودفع المضرات، وقد فعله موسى حين عزم الملأ على قتله، فدعا ربه أن يدفع عنه الضر وينجيه من القوم الظالمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ القصص أية21.
3. الحديث عن **عمل الرسل وأتباعهم:** عرضت السورة بعضا من جوانب حياة الرسل الذين قضوا حياتهم في تحقيق العبودية لله وحده، إما بأمر بالمعروف أو نهي عن منكر، يشهد على ذلك فعل موسى عليه السلام في دعوة فرعون، وطائفة أهل العلم في دعوة قارون.
4. **بيان حقيقة الظلم ومصيره:** بينت السورة أن الظلم هو في الإعراض عن آيات الله، وعدم التذكر بها والانقياد له بالطاعة والعبادة، فمصيره الهلاك المحتوم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ القصص أية40.
5. **التحذير من الهوى:** حذرت السورة من إتباع الهوى، فهو الدال إلى طرق الشرك والكفر والضلال، ومنع حصول الاستجابة لأمر الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ ﴾ القصص أية50.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

6. **الثناء على من عمل صالحا من أهل الكتاب:** ذكرت السورة في معرض المدح طائفة من أهل الكتاب التي آمنت بالكتابين _التوراة والإنجيل_ وصبروا وثبتوا على العمل الصالح، فنالوا أجرهم مرتين. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ القصص أية54.

7. **الثناء على من عمل صالحا من هذه الأمة:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ القصص أية67.

8. **مضاعفة أجور الأعمال:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ القصص أية84.

9. **بيان عجز الآلهة وزوالها:** بينت السورة أن الله هو المستحق لتخصيص العبودية له، لأنه هو الباقي الأزلي، وليست الآلهة التي يسري عليها قانون الفناء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص أية88.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الثالث: البناء العقلي

وفيه

المبحث الأول: أهداف البناء العقلي

المبحث الثاني: وسائل البناء العقلي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تمهيد

حين خلق الله الإنسان لم يخلقه عبثا ولم يتركه هملا، بل وهب له عقلا يميز به بين الخير والشر والضر والنفع والصالح والفاسد.

ولما كان العقل محدود الطاقة والمعرفة، محدود القدرات والإمكانيات بحدود العمر المحدود والمنفعة العاجلة، فإنه لا يستغني عن توجيهات الوحي وإرشاد خالق الكون ومدبر الحياة، الذي يعلم ما يصلح الإنسان وما يفسده، وما يضره وما ينفعه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾الملك أية14.

من هنا ندرك حاجة الإنسان إلى منهج الله حتى يمكنه من التعرف على الطرق والوسائل التي يتم من خلالها تصحيح مسار العقل، وإبعاد النقص والخلل والانحراف عنه ما أمكن، ولا يتم ذلك إلا في ضوء توجيهات الوحي التي يمكن أن يستدل عليها من خلال سورة القصص.

لقد برز من خلال هذه السورة دور العقل وأهميته في الحياة، مع توضيح سبل تنميته وتطويره، والتحذير من الطرق المؤدية إلى عرقلته وتشويشه.

وفي هذا الفصل سنتناول بعون الله ذلك بشيء من التفصيل، وذلك من خلال المبحثين التاليين.

المبحث الأول: أهداف البناء العقلي

المبحث الثاني: وسائل البناء العقلي

وبناء عليه فإن هذا الفصل يجيب عن السؤال الآتي:

ما الأهداف التربوية للبناء العقلي، وما وسائله كما تبين من سورة القصص؟

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الأول: أهداف البناء العقلي

إن أي برنامج أو نظام يقصد به بناء العقل وتنميته، لن يرجى صلاحه إلا إذا كان معتمـــدا أولا على المنهج البنائي الذي رسمه القرآن للعقل، والذي حدد فيه الخطوط الرئيسية لهذا البناء من خلال تحديد أهداف البناء ووسائله، وحين يزيغ العقل البشري عن هذه الخطوط تزل قدم الإنـــسان وتختل حياته، وتصبح حياته عرضة للفساد والتخريب.

من خلال سورة القصص ظهرت لنا مجموعة من الأهداف التي تتعلق بالبناء العقلي، والتي يجب على المؤسسات التربوية مراعاتها والعمل على تحقيقها، باعتبارها الضمان الوحيـــد لإيجـــاد العقلية القادرة على بناء الحضارة الإسلامية، ويبرز ذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: تنمية المهارات العقلية.

المطلب الثاني: التدريب على أشكال التفكير السليم.

المطلب الثالث: التحرر من معوقات التفكير السليم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الأول: تنمية المهارات العقلية

يقوم العقل بجملة من المهارات، من شأنها إبراز وظيفته التي أراد الخالق جل وعلا تحقيقها، ومنها:

1. التذكر

التذكر: ويقصد به قدرة الفرد على إدراك الماضي، أو القدرة على استرجاع خبراته.

فالتذكر قدرة عقلية معرفية يتم بها تسجيل وحفظ واسترجاع الخبرات السابقة، فالخبرات السابقة من إدراكات وأفكار وحركات لا تختفي بلا أثر، وإنما يستبقيها العقل في شكل نماذج وصور ومفاهيم في الذاكرة الإنسانية، لذلك تعتبر عملية التذكر ركيزة أساسية مميزة للنشاط العقلي الإنساني[1].

لقد ضرب الله سبحانه وتعالى الأمثلة الواقعية الحية لتيسر على الإنسان عملية التذكر، ولتحصل له العبرة والعظة بما وقع للأمم والمجتمعات السابقة، وأرشد إلى هذه الغاية في ثلاثة مواضع من سورة القصص، وهي:

أ. بعد حصول الهزيمة لفرعون وجنوده واستحقاقهم اللعنة في الدنيا والهلاك في الآخرة، ثم نجاة بني إسرائيل وإيتاء موسى عليه السلام الكتاب، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ القصص أية43. لعلهم يتذكرون" أي يتذكرون كيف تتدخل يد القدرة بين الطغاة والمستضعفين، فتختم للطغاة بالهلاك والتدمير وتختم للمظلومين بالخير والتمكين[2].

---

[1] محمود، محمد محمود. علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1984، ص315.

[2] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2695/5.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ب. بعد أن أخبر الله نبيه محمدا ﷺ بموقف المناداة والمناجاة التي حصلت مع موسى عليه السلام من جانب الطور، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ "لعلهم يتذكرون": يتذكرون رحمة الله بالقوم، وحجته عليهم، كي لا يعتذروا بأنهم أخذوا على غرة، ولم ينذروا قبل أخذهم بالعذاب[1].

ج. بعد أن ذكر الله القوم بالنعمة التي أنعم عليهم بها، بأن أرسل إليهم رسولا ليوصل لهم القرآن الذي شمل أخبار الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ القصص أية51. "لعلهم يتذكرون": يتذكروا ما نزل بمن سبقهم، فيخافوا أن ينزل بهم بمثل ما تنزل بهم[2].

2. التعقل

التعقل: مأخوذ من العقل، والعقل قوة مدركة في الإنسان، تميزه عن سواه من الكائنات، وتجعل منه مخلوقا مسؤولا عن أعماله، وذلك على أساس قدرته على التمييز بين الخير والشر والحسن والقبيح[3].

لم يرد في سورة القصص العقل بهذا الاسم، وإنما وردت عبارة أخرى تفيد مضمون ما سبق، وهي في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ القصص أية60.

---

[1] المرجع السابق، 2789/5.

[2] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، 271/7.

[3] الدغشي، أحمد محمد حسين. نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002، مرجع سابق، 241.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تشير العبارة القرآنية إلى أحد الجوانب الوظيفية للعقل الإنساني، وهي الإدراك الحقيقي لمتاع الدنيا الزائل، فهو لا يساوي شيئا مقارنة مع ما وعد الله به عباده المؤمنين، وتكمن أهمية هذا الإدراك العقلي في الربط بين ظلم المجتمع الإنساني والتدهور الحضاري لهذا المجتمع، وهو ما أشارت إليه الآية السابقة، ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾القصص أية59.

4. النظر في العواقب

وهو يمثل أحد الجوانب الوظيفية للعقل الإنساني، ويرادف مصطلح "التدبر" الذي يدل على النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر يصرف القلب إلى النظر في الدليل، وأما التدبر فيصرفه إلى النظر في العواقب[1].

وبالرجوع إلى سورة القصص نجد أنه عقب هلاك فرعون وجنوده قد أمر الله بالنظر في عاقبة أمرهم، وهذا يقتضي توافر القدرة على قراءة الواقع التاريخي قراءة عميقة، والوقوف على الأحداث الجارية فيه، بقصد العبرة والاتعاظ، وهذا يفيد ما يلي:

1. حصول العبرة والاتعاظ بما وقع للأمم السابقة.
2. التنبؤ بنتائج الأحداث الواقعة في الحاضر من خلال مقارنتها مع أحداث الأمم السابقة.
3. تحقق الامتثال للمنهج الإلهي.

[1] الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر، (د،ط) 1306هـ ، ص24.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الثاني: التدريب على أشكال التفكير السليم

أولا: التدريب على التفكير النقدي بدل التفكير التبريري

التفكير النقدي: هو ذلك النمط من التفكير الذي يحمل صاحبه المسؤولية في النقص الذي يحدث والخطأ الذي يقترف، ولا يبحث صاحبه عن مبررات خارجية [1].

يندد القرآن الكريم بأصحاب التفكير التبريري في مختلف المواقف والممارسات، ومن ذلك تنديده بالتفكير الفرعوني وهو ينسب الانجازات والأعمال النافعة لآل فرعون ونظام فرعون، بينما ينفي مسؤولية المصاعب والمشكلات عن فرعون نفسه وعن نظام الحكم الفرعوني، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾الأعراف أية130-131.[2]

يطيروا بموسى ومن معه: أي يقولوا إنما جاءنا _المكروه_ بسبب مجيء موسى عليه السلام .[3]

فالحقيقة القائمة على أصولها أن ما أصاب الإنسان من شر في الحياة الدنيا إنما يعود في أصله إلى نفس الإنسان وما جبلت عليه من الحرص على الحياة ومقارفة الممنوع والتقاعس في عمل المرغوب، ولقد وضعت لنا السورة نموذجا للتفكير النقدي الذي يلقي بلائحة الاتهام إلى صاحبه، ويفتح أمامه باب المراجعة الذاتية، حتى يستفيق القلب من سكرة المعصية، وذلك ما جاء على لسان نبي الله موسى عليه السلام حين عمد إلى قتل القبطي، فاعترف بما وقع منه، وندم عليه ثم

---

[1] الكيلاني، ماجد عرسان. مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون بها، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، ط1، 2005، ص141.

[2] المرجع السابق، ص141.

[3] السعدي. تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص400.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

استغفر ربه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾القصص أية16.

هذا التفكير النقدي للذات يعطي ثمارا طيبة للإنسان يمكن ذكر بعضها:

1. صحة عقيدة ذوي التفكير النقدي، ويتجلى ذلك عندما يجازي الله العبد بسوء ما عمل فإن من شأن صاحب هذا الفكر إيقانه الجازم بأن الله أعدل الحاكمين، فلا يؤاخذ عبده إلا في حدود كسبه واختياره.
2. إقبال الإنسان على إصلاح نفسه وتعديل سلوكه بدل الانشغال في البحث عن المبررات الخارجية التي تقف خلف سلوكه المعوج.
3. يحفظ كرامة الإنسان ويعزز لديه حرية الإرادة، لأنه يمارس أعماله بمحض إرادته وقوة ذاتيته، دون تحكم القوى الخارجية في سيره، وهو بهذا الاعتبار تأكيد على استقلالية شخصية الإنسان.
4. ينزع من نفس الإنسان الشعور بأنه الضحية وأن غيره هو الجاني، وفي ذلك فساد كبير على الفرد والجماعة، لأنه يعفي الإنسان من تحمل مسؤولية أفعاله وعواقب سلوكه.

يقف محاذاة التفكير النقدي التفكير التبريري، "وهو ذلك النمط من التفكير الذي يخترع التبريرات ليعفي الإنسان من مسؤولية أفعاله ويستر على أخطائه"[1].

لقد أشارت السورة إلى هذا النوع من التفكير وجعلته علامة مميزة للكافرين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ

[1] المصدر السابق، ص67.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾ القصص أية47-48.

ورد في تفسير الآية أنه لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لقالوا لولا أرسلت إلينا رسولا من عندك لما قدمنا على الشرك والمعصية[1].

فادعاؤهم "لولا أرسلت لنا رسولا لما وقعنا في الشرك" يعكس حقيقة فكر هؤلاء القوم القائم على تبرير شركهم ومعصيتهم من خلال إلقاء اللوم عن أنفسهم وتوجيهه إلى رب العالمين، فهم يصرحون أن سبب شركهم ومعصيتهم وتفشي الأوبئة الخلقية لا يعود إلى زيغ في قلوبهم أو انحراف في تصوراتهم، وإنما إلى الله _ جل وحاشاه_ الذي لم يرسل لهم رسولا يميز لهم بين الحق والباطل، ويعطيهم الصورة الكاملة عن حقائق الأشياء.

"لا شك أن هذا النهج في التفكير له خطورته وآثاره المدمرة على مستوى الفرد والجماعة، لأنه يضع الإنسان أمام تحديات يستحيل عليه مواجهتها، فهو يبقيه غافلا عن عوامل المرض والضرر الداخلي الذي يقعده عن العمل ويتسبب له بالعجز والفشل أمام الأذى الخارجي، ويشغله بتسليط مكبرات الصوت التي تهجو الأعداء من الخارج، ومثلهم في ذلك العربي الجاهلي الأول الذي حق عليه القول"أوسعتهم شتما ومضوا بالإبل"[2].

---

[1] الزمخشري. تفسير الكشاف، مرجع سابق، ص804،الصابوني، صفوة التفاسير، مرجع سابق، 340/3.

[2] الكيلاني، ماجد عرسان. مناهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص67.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا: التدريب على التفكير اليقيني بدل التفكير الظني

اليقين: هو العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر[1].

التفكير اليقيني: هو محاولة إدراك الأشياء على حقيقتها، ضمن أدلة قطعية تستند إلى الوحي والعقل والحواس[2].

الإسلام يحترم العقل لأنه تتم به معرفة الله والإيمان به وبرسوله، ومعرفة أحكامه وشرائعه، وبه يتم فهم خطاب الله واستنباط الأحكام والتوجيهات والفوائد منه[3]، كما أنه الأداة الحقيقية لاستنباط المناهج والمضامين التربوية من خلال نصوص الوحي كتابا وسنة.

من مظاهر هذا الاحترام عدم تعطيل العقل عن وظيفته، ومن وظائفه التفكير وقبول الأشياء والأحداث والمواقف بعد امتحانها وفحصها، ومعرفة صدقها من كذبها، أو صحتها من فسادها، أو صوابها من خطئها، وذلك باستخدام أدوات المعرفة وهي؛ الوحي، والعقل، والحواس[4].

ولذا كان من لوازم التفكير اليقيني طلب الدليل على كل قضية وهذا ما أشار إليه القرآن بوضوح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾القصص أية75.[5]

ومن خلال الرجوع لسورة القصص نلحظ أن الله أوجب علينا إحلال التفكير اليقيني محل التفكير الظني، وقد برز ذلك من خلال أمرين وهما:

---

[1] ابن منظور. لسان العرب، مرجع سابق، مادة يقن، 457/13.

[2] موقع المعرفة http://www.almarefefh.net

[3] القرضاوي، يوسف. خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، بيروت، ط1، 2004، ص67.

[4] المرجع السابق، ص68. الكيلاني، ماجد عرسان. فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص335.

[5] القرضاوي، يوسف. خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، مرجع سابق، ص69.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الأول: مقاومة التفكير الظني

الظن: هو الشك في الأمر مع وجود ميل إلى أحد معتقديه. أو هو اسم لما يحصل عن إمارة، ومتى قويت هذه الإمارة أدت إلى العلم، ومتى ضعفت لم تتجاوز حد التوهم[1].

وهذا الظن لا يفيد العلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ النساء أية157.

كما أنه ليس أداة سليمة تصلح لمعرفة الحق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾يونس أية36. لأنه لا يقوم على الدليل الساطع والبرهان القاطع.

وإتباع الظن من أوسع الأبواب التي تورد العبد طرق المهالك، وتولجه سبل الغي والضلال، لأنه يقوم على تلقي العلوم وتقبل المواقف واتخاذ القرار دون أن تمر في مرحلة التثبت والاختبار، أو تمحيص معانيها واختبار دلالاتها وقياس نتائجها، وهو ما جعل فرعون لا يستجيب لدعوة موسى عليه السلام، ويتطاول في البغي والاستكبار ويجحد رسالة السماء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ القصص أية38. الظن هنا بمعنى الشك، فكفر على الشك؛ لأنه قد رأى من البراهين ما لا يُخيل على ذي فطرة[2].

وهو الأمر ذاته الذي وقع به جنود فرعون فاستحقوا به العذاب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ القصص أية39.

قوله تعالى "ظنوا" أي توهموا أنه لا معاد ولا بعث[3].

---

[1] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص317.

[2] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، 265/7.

[3] المرجع السابق، 265/7.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهذا التصور الفكري المبني على أسس ظنية أدى بفرعون إلى استنتاجات خاطئة وقرارات طائشة لا تتطابق مع الحقيقة اليقينية في شيء.

إن قياس الأشياء وفق معايير لم يتم التأكد من صحتها كالظن وأشباهه، يفرز تطبيقات من نسج الوهم والخيال، ومن أجل تجاوز هذا الخلل المعرفي ينبغي أن يصب الإنسان جهده حال ورود المعلومات عليه في معرفة مدى تطابقها مع الواقع.

الثاني: ذكر المصادر الصحيحة للتفكير اليقيني، التي تتمثل الوحي والعقل والحواس[1].

ويندرج تحت كل مصدر منها حشد من الآيات، نورد منها على سبيل المثال:

آيات تحث على الاسترشاد بالوحي، قَالَ تَعَالَى:

1. ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ القصص.
2. ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ القصص أية43.
3. ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ القصص أية51.
4. ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ القصص أية53.

[1] أنظر الكيلاني، ماجد عرسان. فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص335.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

آيات تحث على الاسترشاد بالعقل

لقد أكد القرآن على أهمية العقل، ودوره في عملية الوصول إلى الحقائق اليقينية، وقد تجلى هذا ضمن نموذجين عرضتهما سورة القصص هما[1].

النموذج الأول: الأساليب العقلية المستخدمة في سورة القصص.

النموذج الثاني: الحث المتنوع على إعمال العقل في مواقف كثيرة

النموذج الأول: هناك عدة صور برزت في سورة القصص كان الغرض منها تدريب الإنسان وتأهيله للوصول إلى الحقائق، ومنها:

1. **المحاكمة العقلية:** وفيها يعمد القرآن إلى عرض كلام الخصم، ثم يكر عليه بالرد المفحم البليغ، فيجد الإنسان عاجزا عن الدفاع، عندئذ تستقر الحقيقة اليقينية في قلبه، ومن أمثلة ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾ القصص48.
2. **الاستدلال بآيات الآفاق:** تقدم سورة القصص بعض المظاهر الكونية الطبيعية بهدف استنفار قوى العقل وعملياته العليا للوصول إلى كبرى الحقائق اليقينية، وهي حقيقة خالق الكون ومدبر الحياة، وهنا يسارع الإنسان العاقل إلى تنفيذ ما يطلب منه، وهو القيام بتبعات الاستخلاف في الأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ القصص أية71-72.

---

[1] وردت هذه الأساليب بصفة عامة، انظر إلى الدغشي. نظرية المعرفة في القرآن، مرجع سابق، ص244 وما بعدها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

3. **الاستدلال بآيات الأنفس:** حيث يهدف القرآن من وراء ذلك استنفار العقل وعملياته العليا لمعرفة الحقيقة اليقينية، من خلال النظر في مصائر الأقوام الذين كذبوا برسله وجحدوا آياته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾القصص أية59.

4. **الإعجاز الطلبي:** وفي هذا الأسلوب يعمد القرآن إلى مطالبة الإنسان بالإتيان بفعل ما ويستثيره على ذلك، وعندما يعجز الإنسان عن تنفيذ ما طُلب منه، حينئذ يضع القرآن بين يدي الإنسان حقيقة يقينية تتمثل بأن المعاندين للرسالة الإسلامية إنما فعلوا ذلك بسبب إتباعهم للهوى، الذي هو سبب ضلال العبيد، ومن أمثلة ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾القصص أية49.

النموذج الثاني: الحث المتنوع على إعمال العقل في مواقف كثيرة

وهنا يظهر دور العقل وأهميته في بلوغ الحقائق، عبر سلسلة من التفكير اليقيني، حيث أن هذا النموذج لا يختلف عن النموذج الأول إلا من حيث طبيعة الحث والحض بمختلف الصيغ، ومن بين هذه الصيغ:

1. **استنفار العقل البرهاني:** وذلك للبحث في الأمور الحسية وغيرها، وإثباتها عن طريق الحجة والبرهان والمشاهدة، فهذه جميعا تسوق الإنسان إلى العلم الصحيح عبر التفكير اليقيني المعتمد على الدليل الحسي، ومثال ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾القصص أية75.

2. **الحث على النظر العقلي:** نجد آيات تحث الإنسان على استخدام حواسه للوقوف على أحوال الكون وميادين الخلق بقصد الوصول إلى الحقائق الراسخة، ومثال ذلك:

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

دعا الله تعالى إلى استخدام حاستي السمع والبصر للتعرف على عجائب الخلق وغرائب الكون، وهي دعوة قرآنية لأن يرتاد الإنسان هذا الكون وهو مفتوح العين حي القلب.

فذانك الليل والنهار هما ظاهرتان كونيتان عظيمتان، ومن ورائهما أسرار جديرة بأن يقف عليهما الإنسان، للوصول إلى الحقيقة القاطعة، ألا وهي وحدانية الخالق المختار، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ القصص أية71-72.

نبه القرآن إلى ضرورة تفعيل حاستي السمع والبصر لأنهما أساس الفهم وسبب في حصول الإدراك الصحيح للحقائق والمواقف والأشياء، فالذين يحسنون الاستماع والمشاهدة هم أقدر من غيرهم على تكوين معلومات سليمة، كما لهم القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب، والحق والباطل، والظن واليقين[1].

من المؤكد قطعا أن إعمال حاستي السمع والبصر في تينك الظاهرتين إنما هو بقصد كسر حاجز الإلفة، فالإنسان لطول عهده بتعاقب الليل والنهار ينسى حقيقة هذا الأمر وما ينطوي عليه من نعم عظيمة، جديرة أن يقف الإنسان عندها خاشع القلب منكسر الفؤاد يسبح لله حمدا وتعظيما، الذي خلق الليل والنهار لقيام مصالح الخلق، فالليل يُحتاج إليه لتجديد ما ينفقه الإنسان من طاقة خلال النهار، والنهار يُحتاج إليه لضمان رزق العباد[2].

---

[1] الأهدل، هاشم بن علي. تدبر القرآن الكريم أساليب علمية ومراحل منهجية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (د،ط)، ص77.

[2] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2708/5.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

3. **التحذير من تعطيل العقل:** حذر القرآن من تعطيل عمليات العقل، وقد يحصل هذا حين يعتاد المرء على الانحراف تصورا وتصديقا، حتى ليبدو العقل كأنه مطبوع على الانحراف والفسق، وما ذلك إلا بسبب استفحال العبد في طرق الضلال والمعصية، وحينئذ تنعدم قدرة الإنسان على مشاهدة الحقائق القاطعة بسبب المعاصي التي غلفت القلب والعقل وحجبتهما عن معرفة الحقائق اليقينية، ومن أمثلة ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ القصص أية8.

هذا التعبير القرآني جاء بصدد وصف أتباع فرعون، ابتداء من الرأس الهرمي للدولة المتمثلة في فرعون وهامان وانتهاء بجنودهما بأنهم كانوا خاطئين، ذلك لأنهم عطلوا عقولهم وأغلقوا منافذ الفكر، فوقعوا في الخطأ الفادح، في الكفر والتكذيب، وهو السبب ذاته الذي أخذ الله به جنود فرعون، حين شلوا فاعلية عقولهم وتبعوا فرعون على غيه وباطله وتركوا الحقيقة اليقينية فاستحقوا هذا العذاب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾القصص أية40.

4. **الحث على الفكر المقاصدي:** يمثل الفكر المقاصدي دعوة قرآنية لشحذ العمليات العقلية لدى الإنسان في سبيل الوصول إلى الحقائق اليقينية من خلال التعرف على أسرار ومقاصد الخطاب والفعل الإلهي.

هذا الفقه من شأنه أن يكون له الأثر البالغ في تعديل مسار الإنسان وتنظيم أمور حياته، كما يمكن أن يمارس دورا مهما في حدوث عملية التغيير المجتمعي، من خلال تحسن ظروفه في المجال الأخلاقي والعقلي والنفسي والاجتماعي.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وقد جاء في سورة القصص آيات يظهر فيها الفكر المقاصدي بصورة جلية، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ القصص/13.

وجه الاستدلال في هذه الآية أن الله رد موسى عليه السلام إلى أمه _وهو فعل إلهي_ من أجلا مقصد عظيم، وهو ترسيخ عقيدة أن وعد الله حق، وأنه الغالب على أمره.

في ذلك إشارة قرآنية إلى ضرورة أن يتزود إنسان الرسالة بهذا "النظر المقاصدي" للوقوف على كبرى الحقائق اليقينية، يكون لها الأثر فيما بعد لإحداث التغيير المطلوب في سلوك الفرد والجماعة، وهي أنه إذا تخلت قوى الأرض عن مناصرة المظلوم والدفاع عن قضيته، فإن رب العباد لن يتخل عنه، ويوصل له الحق المغتصب منه.

5. **استخدام العقل لمعرفة حقيقة الدنيا والآخرة:** ظهرت في سورة القصص آيات توضح حقيقة الدنيا بكاملها، وذلك في محاولة لتدريب الإنسان على التفكير اليقيني الذي يسوقه إلى الحقائق اليقينية، ومن أمثلة ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾القصص أية60.

تبين هذه الآية أن متاع الحياة الدنيا بكامله، وعرض الدنيا جميعه، وما مكن الله به الأمم السابقة وما منحهم من ثمرات، إن هو إلا شيء ضئيل إذا ما تمت مقارنته بما عند الله تعالى. المفاضلة بين هذا وذاك تحتاج إلى عقل واع وذهن مبصر، ولذا جاء التعقيب الإلهي في ذيل الآية الكريمة بقوله تعالى " أفلا تعقلون".[1]

[1] المرجع السابق، 2705/5.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كل ذلك يشير بوضوح إلى ضرورة أن يتعلم الإنسان ما سبق ذكره من الفكر المقاصدي وعملية إجراء المقارنات وغيرهما، الذي له انعكاسات طيبة على حياة الفرد، ويمكن إجمالها بما يلي:

أ. التفكير اليقيني له أثر طيب على الجانب العقدي لدى الفرد المسلم، حيث يقوى إيمان العبد، ويزيده ثباتا وهدى، ويوطن قدمه على الصراط المستقيم.

ب. يرتبط النظام الأخلاقي بالتفكير اليقيني ارتبطا وثيقا، فالعلاقة بينهما علاقة طردية، فكلما قوي التفكير اليقيني كلما زاد من ارتفاع منسوب الأخلاق، والعكس هو صحيح، فكلما قوي يقين العبد بأن الله بيده تصريف الأمور في الحياة، تصاغرت مصائب الدنيا في نظره، وزاد صبره عليها، حتى يتساوى لديه الصبر على البلاء والشكر على النعماء.

ج. يمنح العبد شعور الثقة بالنفس ويقوي شخصية الإنسان ويزيد من قناعاته في الفكر والعمل والسلوك، الأمر الذي يطلقه من أسر الآخرين وأحكامهم وتقويمهم، فيصبح أكثر جرأة وإقداما.

د. يمنع الإنسان من الوقوع في أسر الانهزام النفسي، ولا سيما في عصر علا فيه صوت الظلم والباطل، وخفت صوت الحق والعدل، الذي يعني ذلك خلق حالة من التردد في قبول أوضاع وعادات وأفكار المجتمعات الأخرى التي بطرت معيشتها، لتحل مكان نظم وأفكار وعادات المجتمع الإسلامي – بصرف النظر عن فسادها وصلاحها–.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

آيات تحث على الاسترشاد بالحواس

الحواس: جمع حاسة، **والحاسة:** هي قوة طبيعية في الجسم، وعن طريق استخدامها يدرك الإنسان والحيوان الأشياء الخارجة عنه، وما يطرأ على جسمه من تغيرات[1].

فالعقل والحواس هما أداتا السير المعرفي في الميادين وعلى المسارات التي يوجه إليهما الوحي، كما أنهما أداتا التعرف على الحقائق التي تشاهد في ميادين الخلق ومساراته[2]، وهذا يتسبب بحصول اليقين، ولكن بشرط الاسترشاد بآيات الوحي.

لقد استخدم القرآن الكريم في أكثر من موضع الحواس كدليل يوصل العبد إلى بلوغ الفكر اليقيني، ومن أبرزها ما وقع من إبراهيم عليه السلام عندما طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، وفي هذا جاء الرد القرآني بقوله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾البقرة أية260.

وهنا أجاب الله طلبه فأرشده إلى أمر حسي ومشاهد يكون له الأثر البالغ في حصول الفكر اليقيني لدى إبراهيم عليه السلام .

ومن قبيل ذلك برز في سورة القصص حسن توظيف الحاسة الإنسانية لتحقيق اليقين وترسيخه في قلب العبد المؤمن، وذلك بالنظر إلى الظواهر الكونية التي تحيط بالإنسان من ليل ونهار، وحكمة تعاقبهما ودقة نظامهما من غير وقوع خلل أو فطور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ

---

[1] الدغشي. نظرية المعرفة في القرآن، مرجع سابق، ص207.

[2] الكيلاني. فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص335.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

القصص أية 71-72.

أرشد الله إلى حسن استخدام حاستي السمع والبصر ليكونا دليلا على سر عظمته وجميل فضله على العباد، وذلك من خلال فتح المجال لهما للتأمل في آيات الآفاق.

وهنا يتكامل الوحي والعقل والحواس في سبيل تحقيق الهدف، وهو الوصول إلى المعرفة اليقينية من خلال أمور ثلاثة[1]:

1. الإرشاد والتوجيه إلى ميدان المعرفة، وهو النظر إلى بعض الكائنات أو الأحداث أو المظاهر الكونية الموجودة في ميدان الآفاق والأنفس.
2. توضيح غاية ذلك العلم الناتج عن التأمل في ميدان الخلق، وهي حصول الفكر اليقيني حول صفة من صفات الله أو فعل من أفعاله أو قدرة من قدراته.
3. تحديد المؤثر الحقيقي في الظواهر المعرفية وإفراده عن المؤثرات المتخيلة التي لا أثر لها في هذا الكون، وقد أدرجها القرآن تحت أسماء الصنمية والوثنية.

أما الفوائد التربوية المستنبطة من عملية التكامل بين الوحي والعقل والحواس فيمكن إجمالها في نقطتين رئيستين هما:

1. تنقية الخبرات الإنسانية من الوهم والخرافة، وبذلك يحفظ الوحي العقل من فهم الأحداث والأحوال والمواقف فهما عميقا، وفي ذلك قضاء على فكر الخرافة والسحر والشعوذة التي نشأت في بيئات اجتماعية غاب فيها الفكر اليقيني وسيطر عليها الفكر الظني.

[1] أنظر المرجع السابق، ص342.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

2. بناء منهج علمي واضح يتم من خلاله اكتساب معلومات صحيحة حول:

- نشأة الإنسان: كيف خلق.
- حياته: سر وجوده وكيفية العيش بهذا الوجود.
- مصير الإنسان: حقيقته وإلى أين المنتهى.

ثالثاً: التدريب على التفكير السنني بدل التفكير الخوارقي

السنة لغة: السير والطريقة، حسنة كانت أو قبيحة[1].

أما في القرآن فيراد بها القانون المطرد، أو القوانين العامة التي تحكم حياة المجتمعات، ويمكن في ضوئها تفسير الحركة التاريخية والاجتماعية، بحيث نستطيع الوصول إلى تعليلات صحيحة وواقعية، تفسر أسباب وقوع الحوادث ونهوض الأمم، أو أسباب سقوطها[2].

فمن السنن ما يكون الأخذ بها سببا لرقي الأمم وازدهارها، ومنها ما يكون الأخذ بها سببا في تأخر الأمم وانحطاطها، ومن أهم مميزات السنن أنها سارية المفعول لا تتخلف أبدا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾فاطر أية43.

كما أنها لا تجامل أحدا على حساب أحد، فلا تجامل كافرا ولا مؤمنا، ولا قويا أو ضعيفا، ثم إنه لا يقف في وجهها شيء..

ويمكننا ملاحظة بعض هذه السنن بوضوح من خلال سورة القصص، ومنها:

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة سنة.

[2] الصلاحي، أمين نعمان. من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2008، ص62.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

أ. أن الترف سبب في هلاك الأموال

فالتصرف في الأموال على غير إرادة الله سبب في زوال هذه الأموال وهلاكها، فقارون الذي أتاه الله من فضله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ ﴾القصص أية76. فأساء استخدام هذه النعمة بجعلها طريقا للوقوع في السرف والكبر والبطر والتعالي علـــى الخلـــق، والسنة الحتمية التي وقعت له هي الخسف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ القصص آية81.

لقد ذكر الله مظاهر سوء الاستخدام لهذه الأموال، ومنها:

- الفرح الصَّاد عن شكر النعمة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾القصص أية76.
- إضافة التفوق والنجاح إلى نفسه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾القصص أية78.
- عدم الإحسان في المال، وابتغاء الفساد في الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾القصص أية77.

ب. أن إتباع دعوة الرسل سبب في وراثة الأرض

نلحظ أن الله جعل وراثة الأرض للمستـــضعفين فـــي الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ القصص أية5.

فقد وقع بنو إسرائيل تحت الظلم الفرعوني، وما كان باستطاعتهم تغيير هذا الواقع الألـــيم، فصبروا على ذلك، فأراد الله تغيير هذه الأحوال بتمكينهم من وراثة الأرض.

يُظهر هذا أنه لا بد من التسليم بأن وراثة الأرض لا تحصل بقوة طبيعية محكومـــة بقواعـــد العقل والمنطق فحسب، بل هي إرادة إلهية يجليها لخلقه متى شاء وفي أي مكان شاء، ضمن شروط خاصة وظروف محددة _منها قيام الإنسان بواجبه في حمل أمانة الخلافة في الأرض وفق مـــنهج

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الله_ وذلك لإبراز عظيم قدرته في أخذ الكافرين وجميل إحسانه على عباده المحسنين، وهو عينه ما فعله لبني إسرائيل وجعلهم أئمة ومكن لهم في الأرض.

ج. سنة الابتلاء

الابتلاء اصطلاحا: هو اختبار طاعة الإنسان لله تعالى وإتباع تعاليمه الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية في جميع شؤون الحياة[1].

فالابتلاء بهذا المعنى هو المظهر العملي لعلاقة العبودية بين الله تعالى والإنسان.

يهدف الابتلاء إلى انتقاء العناصر الإنسانية الجديرة بالخلود في جنة النعيم الأبدي والرقي التام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ الرعد أية27[2].

كما يهدف _ إضافة إلى كفارة الذنوب وحصول الأجر والثواب للمبتلى ورفع درجاته_ إلى إعداد جيل الرسالة الذي يحمل رسالة الدين وينشرها بين الناس تحقيقا لعبودية الله في الأرض، وهذه سنة ماضية في الذين خلوا من قبل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾آل عمران أية186.

فقد ابتلى الله حبيبه محمدا ﷺ بشتى صنوف الابتلاء، كتكذيب قومه له، وسعي الكافرين في الصد عن سبيله، بشتى الوسائل، تارة بإثارة الشبهات وأخرى باتهامه بالمس والجنون والكهانة، ، وما زال الابتلاء في حالة صعود حتى بلغ ذروته بأن أخرجوه من بلده، كل ذلك واجهه النبي ﷺ بإصرار وثبات دون أن تُكسر له قناة.

---

[1] الكيلاني، ماجد عرسان: مرجع سابق، ص215.

[2] المرجع السابق، ص215.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذا تأملنا سورة القصص نجد أن الله ابتلى بني إسرائيل بالشر، حيث امتحنهم بحاكم _كفرعون_ احتل مركز القيادة وتبنّى سياسات عنصرية وعدوانية تجاه بني إسرائيل، حيث ذبح أبناءهم واستحيى نساءهم وجعلهم شيعا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ القصص آية4.

هذا النوع من الابتلاء يهدف إلى اختبار مدى النفور من الشر والعمل على مكافحته بالوسائل المشروعة التي تتفق مع تعاليم الله وسننه.[1]

إن تكوين عقلية إسلامية سننية مطلب أساسي في الحياة، لأنها هي المؤهلة لاستيعاب أحداث الحياة الاجتماعية ومن ثم فهمها وتسخيرها في إصلاح المجتمع الإنساني وترقية الحياة.

ومن هنا ندرك أن الوعي السنني يعطي ثماره التربوية، ومنها:

- يعطي المسلمين بصيرة ومعرفة نظرية وعملية حتى لا يكرروا أخطاء الأمم السالفة.
- يفتح أمام الناس أبوابا للنجاة من خلال مدافعة السنن بعضها ببعض.
- يحمي المسلم من صدمة الأحداث ومباغتة الأحوال.
- يجعل المسلم أكثر صلابة وأشد تثبيتا عند نزول المصائب وحلول الكوارث.[2]

---

[1] المصدر السابق، ص219-220.

[2] الصلاحي، أمين نعمان. من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع، مرجع سابق، ص66-68، شهوان، راشد سعيد. السنن الربانية في التصور الإسلامي، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008، ص14 وما بعدها، شرفة، حسين. سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2008، ص56 وما بعدها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- التفكير السنني يجعل المسلم يغير تفكيره، حيث يعرفه على عوامل النصر والارتقاء ويؤهله للعمل بمقتضاها، كما يكشف له عن عوامل السقوط والانحدار فيحذرها.
- يشكل عقلية إسلامية واسعة الآفاق تربط بين المسببات وأسبابها الحقيقية، ويبطل الفكر الخوارقي الذي يربط بين المسببات وأسباب وهمية من نسج الخيال والهلوسات.

إذن الملاحظ هنا أن المجتمع الإنساني الذي يسعى نحو التقدم والرقي لا بد له من أن يتزود بالعقلية السننية التي تمكنه من استكشاف الحقائق الواقعية وفهم الأحداث الجارية وتسخيرها لجلب المصالح ودفع المفاسد، ونبذ طرق التفكير القائمة على السحر والشعوذة والأساطير التي هي من مخلفات الفكر الخوارقي.

فيوم أن يسيطر هذا الفكر على الفرد فإنه يقوم بشلّ جوانب شخصيته النفسية والوجدانية والاجتماعية والجسدية فيظل قابعا في سجن التخلف لا يقوى على فعل شيء.

عند التأمل في المناظرة التي تمت بين موسى عليه السلام وفرعون نجد أن من أسباب ظهور هذا الفكر يعود إلى الأسلوب المتبع في العملية التربوية التعليمية، إذ أن الأسلوب الذي مارسه فرعون مع شعبه لا يتقيد بقواعد الأسلوب العلمي في التفكير، لأنه يعتمد أساسا على الحفظ والحشو والتلقين، وهو ما أشارت إليه الآية، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾القصص أية38.

إضافة إلى ما امتاز به فرعون من قدرته على استخدام القوة المفرطة وما يمارسه من بطش وإرهاب ضد كل من خرج عن الخطوط التي حددها هو وأعوانه سلفا.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لا شك أن هذا الأسلوب التربوي لا يمنح العقل فرصة في ملاحظة ما يطرأ على مسرح الحياة من أحوال وما يتعاقبها من ظروف وتعليلها بأسس منطقية، ومن ثم إيجاد الحلول المناسبة لها في ضوء السنن الإلهية.

وهذا هو المسؤول أولا عن شيوع مهنة السحر وانتشارها في أوساط البيئة المصرية وغيرها، حيث وجدت إقبالا متزايدا، وتَشجع العديد من أبناء الشعب على تعلم هذه الحرفة، وأصبحوا يتوارثونها جيلا بعد جيل، وبذلك فسدت عقائد هذا المجتمع وخلت عقولهم من العلم النافع والفقه المستبصر والاعتقاد الصحيح.

رابعا: التدريب على التفكير الشامل بدل التفكير الجزئي

التفكير الشامل: هو التفكير الذي يتناول الموضوعات تناولا شاملا ويحقق الإحاطة التاريخية والرسوخ الحاضر بها[1].

القرآن كتاب الله المعجز الذي تحدى به الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، ومن جملة أسرار إعجازه انه وضع منهاجا شاملا يقوم عليه صلاح البشرية وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، وتتمثل هذه الشمولية من خلال عرض أسس عمارة الأرض الدنيا ونيل رضا الله في الآخرة.

من خلال التأمل لسورة القصص نلمس تطبيقات هذا التفكير الشمولي حيث عالجت أوضاع وتصورات تتعلق بشتى جوانب الحياة؛ العقائدية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية والعبادية، والدعوية، ويندرج ضمن كل جانب من هذه الجوانب عدد من الآيات التي تبرز لنا أهداف ووسائل كل جانب، فهي ليست عرضا لوقائع تاريخية فحسب، بل هي تمثيل حقيقي لحياة إسلامية شاملة، فقيام طائفة من أهل العلم في وجه قارون وتذكيره باليوم الآخر كان لمعالجة المجال الاقتصادي

[1] الكيلاني، ماجد عرسان. مناهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص144.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

للحياة الإسلامية، وزواج موسى عليه السلام هو وضع لأسس الحياة الاجتماعية الناجحة، وتعاقد موسى عليه السلام مع شيخ مدين كان تنظيما لعقود العمل التي تكفل حقوق العمال وأرباب العمل، وغيرها من المواقف التي سوف يتطرق لها الباحث في حدود رسالته[1].

بعد ذكر ما سبق يقف الباحث على طائفة من الرؤى التربوية المستنبطة ، ومنها:

- عرض المفاهيم الإسلامية بهذا التصور الشامل هو امتداد لعطاء الإسلام المتواصل ودور العلماء الريادي على مر العصور وتعاقب الأجيال.
- تناول القضايا التربوية بنظرة شاملة يؤكد قدرة الإسلام على خدمة قضايا الأمة والنهوض من كبوتها، والسير بها نحو التميز والتقدم والرقي في كل زمان.
- وجود الفكر الشمولي عامل مساعد على التقريب بين وجهات النظر المختلفة، سواء كانوا من ذوي الاتجاه المادي أو الشرعي، فأصحاب الاتجاه المادي يجدون في الدين ما يشبع حاجاتهم المادية_ضمن النطاق الشرعي_ كما أن أصحاب الاتجاه الشرعي يجدون ما يتوافق مع ميولهم وفطرهم.

يقف مقابل الفكر الشمولي الذي عكسته السورة الفكر التجزيئي، وهو رجع الصدى لانحسار القوى العقلية وانغلاق أبواب الفكر ومنافذ المعرفة، ويظهر هذا الفكر حين يصرف الفرد طاقته الفكرية في جانب واحد من العلوم والمعارف وإهمال الجوانب الأخرى، وبذلك يخرم الفهم الحقيقي للإسلام.

---

[1] ما منعنا من عرض هذه الجوانب بأهدافها ووسائلها في هذا المقام خشية الحشو والإطالة، لذا يمكن إحالة القارئ إلى الفصول الرئيسية التي عالجتها هذه الرسالة، وذلك بغية الوقوف على الفكر الشمولي الذي برز من خلال سورة القصص.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تبلغ خطورة هذا الفكر العجز عن مواكبة الحياة والتكيف ضمن عالم يموج بالمتغيرات والحوادث، الأمر الذي يقولب المسلمين بقوالب جامدة، ويضرب بينهم وبين متطلبات العصر أسوارا وسدودا لا طاقة لهم باقتحامها إلا بنفض أيديهم من هذا الفكر.

خامسا: التدريب على التفكير الجماعي بدل التفكير الفردي

التفكير الجماعي: هو اجتماع أهل الرأي والفكر من الأمة للنظر في الظروف والأحداث والمواقف، بهدف الحكم عليها وبحث طرق الاستفادة منها وسبل استثمارها للصالح العام.

قدمت لنا سورة القصص نموذجا حيا للفكر الجماعي، فعندما أمر الله نبيه موسى عليه السلام بالتوجه إلى فرعون من أجل دعوته، طلب موسى عليه السلام من ربه أن يرسل معه أخاه هارون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ القصص أية34. فهو أقدر على المنافحة عن الدعوة، وهو ردء له ومعين، يقوي دعواه، ويخلفه إن قتلوه[1].

ولقد وصف الله من أراد الثأر من موسى عليه السلام بوصفين:

1. أنهم ملأ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ القصص أية20.

والملأ لغة: هو اسم للجمع كالقوم والرهط، وسموا بذلك لأنهم ممتلؤون مما يحتاجون إليه منهم[2].

2. يأتمرون: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ القصص أية20.

---

[1] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2693/5.

[2] القرطبي. في ظلال القرآن 222/2.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والائتمار: التشاور، يقال الرجلان يتآمران، لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر[1].

ومن صور التفكير الجماعي في السورة اتحاد الطائفة المؤمنة في مواجهة فتنة الحياة الدنيا، واتخاذهم موقفا واحدا وخروجهم بصيغة مشتركة تعبر عن رفضهم وإنكارهم للممارسات اللاأخلاقية التي وقعت من قارون، وقد عبر الله عن هذا الموقف الإنكاري بصيغة الجمع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾القصص أية80.

فاللجوء إلى هذا النوع من التفكير يعطي ثماره التربوية، ومنها:

1. العمل المعرفي الجماعي هو السبيل لتحقيق الوحدة المعرفية وحصول صفة الرسوخ والإحاطة التي تقود الأمة فيما بعد إلى الحياة الاجتماعية الآمنة الراشدة[2].
2. التفكير الجماعي يفتح قنوات الاتصال بين ذوي الاختصاصات المختلفة، الأمر الذي يعزز اللحمة الجماعية بينهم ويرفع من مستوى كفاءتهم المعرفية بشكل يمكنهم من إيجاد جيل يحمل رسالة "اقرأ" في شتى العلوم والمعارف.
3. التفكير الجماعي عامل مهم في تلاقح العلوم بعضها ببعض، مما يساهم في فتح آفاق جديدة في التعامل مع كتاب الله عز وجل، وذلك من خلال توظيف آيات الآفاق والأنفس، وهو من ضرورات نشر عقيدة الإسلام في ظل عالم سيطرت عليه قيم العولمة.
4. يعطي فرصة لاستثمار الطاقات الفردية وتسخير الإمكانيات المعرفية لكل فرد من أفراد المجتمع، في سبيل حصول التغيير المنشود للأمة، وهو ما يتفق تماما مع التغيير الذي

---

[1] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2002، ص796.

[2] الكيلاني، ماجد عرسان. فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص349.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حصل في البيئة المصرية المتمثل بهلاك فرعون وجنوده ونجاة موسى ﷺ ومن معه من بني إسرائيل، الذي هيأ الله له الأسباب، والتي منها اجتماع موسى وهارون عليهما السلام على هدف تبليغ الرسالة وإقامة الحجة على المخالفين حتى أخذ الله المخالفين بالعذاب.

في مقابل الفكر الجماعي يقف الفكر الفردي، حيث يقوم على المبادرة الذاتية للفرد بالنظر في الظروف والأحداث والمواقف، بهدف الحكم عليها، ودون الاسترشاد رأي الجماعة، أو الاهتمام بمدى صحة النظر أو خطئه.

من شأن هذا الفكر أن يعود سلبا على الفرد والأمة لما يجلبه من أضرار وبيلة، ومنها:

1. يشتت الوحدة المعرفية ويجزئ العلوم ويجعل بعضها ندا لبعض.
2. يضعف وحدة الأمة بما يزرعه من بذور الخلاف والشقاق بين أهل الرأي والفكر.
3. يعرقل مسيرة الأمة نحو التقدم ويبطئ من فاعليتها في إحداث التغيير المطلوب.
4. يبدد الجهود في سبيل العمل للصالح العام، ويجعل الجهود مسخرة للحصول على التميز والتألق الفردي، وذلك عن طريق القدح بالآخرين والنيل منهم، الأمر الذي يورث الكيد والضغينة، ويسلب مصداقية العمل.

المطلب الثالث: التحرر من معوقات التفكير السليم

أشرنا في النقاط السابقة إلى مظاهر التفكير السليم، والتي تعد أسسا يمكن الاعتماد عليها إزاء المواقف والأحداث التي تقع في المحيط الإنساني، بهدف التوصل إلى التصور السليم لها، ومن ثم اتخاذ القرار الصائب اتجاه المواقف المستقبلية.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وسنتناول في هذا المبحث معيقات للتفكير العقلي، والتي لا يصلح الأخذ بها لعدم موضوعيتها، وافتقارها لأبسط قواعد المنهج العلمي في بلورة المواقف والأحداث والأفكار بصورة تكون أقرب إلى الحق والصواب.

أولا: الأنظمة الدكتاتورية

الدكتاتورية هي شكل من أشكال الحكم، تكون فيه السلطة مطلقة بيد فرد واحد، دون التقيد بالسلطة أو القوانين أو أي عمل سياسي أو اجتماعي داخل الدولة التي يحكمها.[1]

من خلال الرجوع لسورة القصص نجد فرعون بحكمه المتجبر وسياسته المتغطرسة قد تجاوزت المظهر الحقيقي للدكتاتورية، حيث أنها لم تقتصر على التفرد بالسلطة، وجعل نفسه فوق القانون العام، بل منح نفسه صلاحية ممارسة القهر والذبح والاسترقاق، ووضع نظاما شاملا ينطوي على عقيدة معلنة وملزمة لجميع أفراد شعبه، متحديا بذلك العقيدة التي جاء بها موسى عليه السلام، وذلك عندما أعلن بوضوح، ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾القصص أية38.

هذه نظرة الحاكم الدكتاتوري إلى من يتولى أمرهم، حيث يفرض إرادته وفكره عليهم، لأنه يعتقد أن إرادته أسمى من كل إرادة، وعبقريته تسبق كل عبقرية بشرية، فينصب نفسه ممثلا للقيم الأخلاقية والمعرفية والاجتماعية والاقتصادية...[2]

لقد مارست هذه السلطة الدكتاتورية ألوانا استفزازية عدة لوضع نظام فكري ذي طابع خاص، ومحاربة أي فكر جديد يدعو إلى التحرر والانفتاح، ومنها:

1. **استخدام القوة المفرطة بدل الرحمة:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾القصص أية4.

---

[1] مؤسسة أعمال الموسوعة. الموسوعة العربية العالمية، (بلا مكان للنشر)، ط2، 1999، 340/10.

[2] بدوي، جمال. الطغاة والبغاة، دار الشروق، بيروت، ط1، 1996، ص136.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ففي ظل غياب الرحمةُ تضطرب الحياةُ ويموج الفساد وتُشيع أعمال العنف والاعتداء، عندئذ يدور اهتمام الفرد حول فلك واحد؛ وهو توفير الأمن لنفسه وعرضه ونسله وماله، مما يؤدي إلى ضمور العلم وغياب مدارسه، لذلك وجدنا موسى عليه السلام في ظل هذا النظام مهتما بالبحث عن مكان أمين يرجو فيه السلامة لنفسه، ففر هاربا إلى أرض مدين، أما حين تتعامل السلطة مع الرعية وفق قواعد العدل والرحمة تتوفر الأرض الخصبة لنشوء العلم والثقافة، وتتطور الحضارة الإنسانية وتزدهر.

2. **مواجهة القيادات الفكرية:** تعتبر القيادات الفكرية هي التحدي الأعظم الذي يواجه سياسة الغطرسة للنظام الدكتاتوري الحاكم ويتصدى للنهج الاستبدادي الذي يمارسونه، من خلال سعيها لإيقاظ الوعي لدى أفراد المجتمع، عبر وسائل مختلفة، منها تشخيص حالة الظلم والاستبداد، وتشخيص العلاج والدواء، فهي بذلك الاعتبار رمز الانفتاح الفكري للأمة على جميع الأصعدة، وهذا يشكل تهديدا لأطماع التسلط والهيمنة، لذلك يلجأ المستبدون إلى تزوير الحقائق وإثارة الشبهات حولها بهدف استقباح أي مفكر وتنفير الناس منه، الأمر الذي يعني وقف التطور المعرفي لدى المجتمعات وبقائها في كمون معرفي وفتور ثقافي، وهو ما مارسه فرعون عندما اتهم موسى عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾القصص أية36. وقوله تعالى على لسان فرعون،﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾القصص أية38.

3. **التصنع في مجاملة الشعب:** الطابع العام الذي يغلب على ممثلي الأنظمة الدكتاتورية استخدام الأحكام العرفية والأساليب القمعية من تجويع ونهب واسترقاق واستنزاف، في

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

سبيل تطويع المجتمع لإرادتهم وفرض أنماط فكرية ذات قوالب محددة، ورفض أي فكر آخر، لكنهم قد يتجاوزون هذا النمط، فيظهرون أمام الشعب في منتهى اللياقة الأدبية، في محاولة لتزييف الحقائق المعرفية ونشر مفاهيم كاذبة وحقائق خاطئة، وهو ما مارسه فرعون عندما أعلن بوضوح، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾القصص أية38.

استخدم فرعون مجموعة من الألفاظ الأدبية في مخاطبة قومه، منها:

_ "الملأ" تطلق على الرؤساء وأشراف القوم ووجوههم، يقال رجل مالئ العين: إذا أعجبك حسنه وبهجته[1]. بمعنى أنه نادى عليهم بأفضل العبارات وأحسنها مدحا.

_ "يا هامان"، "وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالإيقاد على الطين، مناديا باسمه ببـاقي وسط الكلام دليل التعظيم"[2].

_ "ما علمت لكم من إله غيري" ففرعون لم ينف إله غيره، بل نفى علمه بوجود إله غيره، "فقد أجرى علمه مجرى سائر علوم الخلق"[3].

حرص فرعون على أن يظهر بمظهر المتواضع أمام قومه من أجل كسب تعاطفهم وتأييدهم له.

4. **تزييف الواقع التاريخي:** لما كان التاريخ مصدرا مهما من مصادر العلم والمعرفة، حيث يساهم إلى حد بعيد في بلورة أفكار وثقافات ذات طابع محدد، يظهر في سلوك الأفراد والجماعات، لذا كان من أبجديات الأنظمة الدكتاتورية اللجوء إلى التاريخ في سبيل دعم

---

[1] ابن منظور. لسان العرب، مرجع سابق، مادة ملأ.

[2] الزمخشري. تفسير الكشاف، مرجع سابق، ص803.

[3] المرجع السابق، بتصرف طفيف، ص802.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فكرهم وتعزيز ثقافتهم وإضفاء هالة من التعظيم والتقديس عليها، وهو من أفضل الأساليب لحمل الناس على الاقتناع بها ثم اعتناقها ونبذ ما سواها من الأفكار والقيم والتصورات.

وهذا ما قام به فرعون حيث عمد إلى تزييف بعض الوقائع التاريخية ونسج مفاهيم مغلوطة ونسبها للتاريخ، وذلك عندما ادعى الإلوهية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ القصص أية38.

هذا الإدعاء الفاجر قد تلقاه القوم بالتسليم والإقرار، لأن فرعون قد اعتمد على الأساطير التاريخية التي كانت سائدة في مصر من نسب الملوك للآلهة[1]، وبذلك استطاع فرعون إخضاع طائفة من أعوانه لفكره ورفض أي فكر آخر اعتمادا على الأساطير التاريخية المنسوجة من خيوط الوهم والخيال.

ثانيا: الهوى

الهوى: هو ميل النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع[2].

وسمي الهوى بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية[3]، وهو عاطفة جامحة، أوغلت في تمركزها في النفس، وانفردت وحدها في الساحة النفسية، حتى استعبدت صاحبها وسيطرت على تصرفاته وأفكاره[4]، وقد عظم الله من ذم إتباع الهوى والتنفير منه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾النازعات أية40.

---

[1] أنظر قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2694/5.

[2] الجرجاني. التعريفات، مرجع سابق، ص137.

[3] الراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، 712/1.

[4] زريق، معروف. علم النفس الإسلامي، دار المعرفة، ط 1، ص62.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

" نهي النفس عن الهوى هو نقطة الارتكاز في دائرة الطاعة، فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية، وهو أساس البلوى وينبوع الشر، فالجهل سهل علاجه، ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها"[1].

وهذا ما يفسر سبب عدم استجابة القوم لدعوة النبي محمد ﷺ، لأن الهوى كان الحاجز المنيع الذي ضُرب بينهم وبين التفكير السليم الذي يعين الإنسان على فهم توجيهات الوحي، والقبول اليقيني لمحتويات الرسالة الإلهية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾القصص أية50.

ومما يؤكد أن الهوى يمثل سياسة الرفض لكل ما هو جديد من العلوم والمعارف وعائق من عوائق التفكير يظهر من خلال قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾الجاثية أية23.

إذا تفيد الآية أن الهوى يأتي في مقابل العلم، لأن الهوى حين يتعبد الإنسان ويخضعه له ويصبح مصدرا للتصورات والأحكام والمشاعر والحركات، ثم يقابله الإنسان بالقبول والتسليم، عندئذ استحق من الله أن يضله، ولا يتداركه برحمة الهدى، حتى تنطمس فيه تلك المنافذ التي يدخل منها النور_العلم_ وتتعطل فيه أدوات الإدراك[2].

فحتى يحصل العلم للإنسان لابد له من التحرر من قيود الهوى والانطلاق من عقاله، كما أشار إلى ذلك أهل العلم: "افن عن الخلق بحكم الله، وعن هواك بأمره وعن إرادتك بفعله، فحينئذ تصلح أن تكون وعاء لعلم الله"[3].

---

[1] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 3819/6.

[2] المرجع السابق، 3230/5.

[3] ابن تيمية. مجموعة الفتاوى، مرجع سابق، 279/10.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثا: الأبوية

يقوم هذا التفكير على الانحياز العاطفي للآباء، الذي يظهر من خلال الرجوع إليهم، والاحتكام إلى أقوالهم وأفعالهم وتصوراتهم وعاداتهم، في سبيل التمييز بين الخير والشر والصواب والخطأ والحسن والقبيح، من غير الرجوع إلى المنهج القرآني في التمييز بينها.

لقد ذم الله في أكثر من موضع في القرآن الكريم المنهج الآبائي إزاء المواقف الطارئة على مسرح الحياة، في دلالة إلى ضرورة استخدام منهج التأمل والتدبر والتفكر السليم فيها، والتحرر من التبعية الذي يعني الجمود والانغلاق على الماضي، والبقاء في أسر العادات القديمة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ البقرة أية170.

وقد ورد في سورة القصص ما يؤكد وجود هذا "الداء" في الأمم السابقة، الأمر الذي كان سببا من أسباب رفض القيم والمعاني والتصورات الجديدة التي اشتملت عليها الشرائع السماوية السابقة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾القصص أية36.

لقد أخذ الله على قوم فرعون استسلامهم للشر وخنوعهم للباطل بسبب تمسكهم بفكرة "الآباء" فلا يكلفون أنفسهم في التحقيق والنظر فيما جاءهم به موسى عليه السلام، وهي المماراة المكررة في أكثر من موطن يتواجد فيه الحق والباطل، فإذا أدلى الحق بحجته فأعيا الباطل الجواب، فإنهم يلجأون إلى هذا الإدعاء،﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[1]. القصص أية36.

[1] قطب، سيد. في ظلال القرآن، 2694/5.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

هذه العبارة توحي بأنهم أناس تقليديون يرفضون مظاهر التحديث والتجديد والتقدم، ويميلـــون إلى تقديس الأشخاص ورفعهم فوق منزلة النص الإلهي، وهذا بخلاف العقلية التي صاغها الإسلام، والتي تتجاوز حدود الزمان والمكان والأشخاص، حيث تخضع جميعا لسلطان الحجـــة والمنطـــق الإلهي.

رابعا: الاستكبار

الاستكبار: الكبر والتكبر والاستكبار كلها معاني تتقارب، والاستكبار يقال على وجهين:

الأول: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيرا، وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان والوقت الذي يجب فهو محمود.

الثاني: أن يتشبع فيظن من نفسه ما ليس له وهو المذموم. وهذا النوع يشير إلى الحالة التـــي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبر هو التكبر على الله، بالامتناع عن قبول الحق والإذعان له[1].

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن الاستكبار يمنع الإنسان من الاستفادة من ثمـــرات العلـــوم ومعطيات الواقع بحمله على التخبط في وحل المفاهيم القديمة والضيقة، فينشأ عنه قصور في العلم، ويصبح أسير الجهل والتخلف والضياع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾الأعراف أية146.

فالله تعالى يخبر عن مشيئته أنه سيصرف الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق عن آياتـــه، فلا ينتفعون بها ولا يستجيبون، سواء أكانت آياته مبثوثة في كتاب الكون المنظور أم فـــي كتابـــه

---

[1] الراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، 545/1.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المسطور المنزل على رسوله ﷺ، حتى تتلبس عليهم العلوم، فيرى الرشد فيعمى عنه ولا يتدبره، ويرى الضلال والغي فينشرح له صدره ويتبعه[1].

وفي سورة القصص نجد تأكيدا لذلك، فقد ذكر الله أن فرعون وجنوده لم يستفيدوا من محتويات رسالة موسى عليه السلام بسب استكبارهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ القصص أية39.

لقد أورثهم هذا الاستكبار سيطرة الأفكار الخرافية وشيوع المفاهيم الرجعية الضالة في البيئة المصرية حتى حق عليهم الهلاك، وهو ما أشار إليه المقطع القرآني ﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ القصص أية39.

فالاستكبار بحق عائق من عوائق التفكير السليم، ذلك أن المستكبر يتراءى له أنه ملك ناصية العلم والحضارة، وأحاط بكل شيء فهما ومعرفة إلى حد توهم الاستغناء بنفسه عن الاستفادة من خبرات الآخرين وتجاربهم وعلومهم.

هذا الاستكبار الذي يمثل حالة طغيانية موهومة يفرز سلبيتين اثنتين، هما:

1. التكذيب برسالة الله والإدبار عن منهجه[2].
2. ازدراء الآخرين واحتقار ما عندهم من علم ومعرفة، الأمر الذي يحرمهم من مساحات شاسعة من هذه العلوم والمعارف، وهو علامة مؤشرة على بداية التدهور الحضاري، وأخذهم بالسنن الربانية الجارية التي تقضي بهلاكهم.

---

[1] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 1371/3.

[2] الكيلاني، ماجد عرسان. فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص318.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثاني: وسائل البناء العقلي

لقد وضع القرآن منهجا خاصا للبناء العقلي، يجمع بين المتقابلات؛ العلوم النظرية والعلوم التطبيقية، أو التعلم بواسطة آيات الوحي والتعلم بواسطة آيات الآفاق والأنفس، أو التعلم بالموعظة (الذي ينقل الفكرة عن طريق الكلام) والتعلم بالقدوة (الذي ينقل الفكرة عن طريق الفعل والممارسة)، حيث لا نجد لهذه المعادلة أي حضور في النظم التعليمية القائمة في كثير من أقطار العالم المعاصر، الذي تقوم بنيته التعليمية أساسا على صب النظريات والمفاهيم والمصطلحات التي تحقق للمتعلم رفاهية العيش، مع إهمال الحقائق والمفاهيم والمصطلحات التي تحقق للمتعلم رفاهية عيش الآخرة.

يمكن القول بأن التعليم في دول العالم المعاصر يسعى من خلال صب النظريات والمفاهيم إلى صناعة المخترعين والمبدعين والعباقرة فحسب، أما التعليم الذي تحددت أصوله وفق النهج القرآني يسعى إلى صناعة "العالم الرباني" _كالذي وجدناه في العصور الأول من صدر الإسلام_ الذي يعمل على إشاعة المعروف ونصرة المظلوم والصدع بكلمة الحق والزهد في الدنيا والنظر إلى الآخرة.

هذه المفارقة بين النظامين تبعها مفارقة في الأساليب والوسائل التعليمية التي ينبغي أن تحتفظ بطابعها الخاص، وقد اهتدى الباحث إلى مجموعة من هذه الوسائل، ويمكن بلورتها على النحو التالي:

المطلب الأول: التكامل بين العلوم النظرية والعلوم التجريبية.

المطلب الثاني: التكامل بين آيات الوحي وآيات الآفاق.

المطلب الثالث: استخدام الوسائل التعليمية.

المطلب الرابع: تعدد طرق التعليم.

المطلب الخامس: مراعاة قواعد التعلم.

المطلب السادس: إيجاد العقلية السببية.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الأول: التكامل بين العلوم النظرية والتجريبية

العلوم النظرية: هي مجموعة من الأفكار والمفاهيم والمعارف التي تعتمد على الفكر والتأمل، تثبت ببرهان في ميدان مخصوص[1].

أما العلوم التطبيقية: فهي العلوم التي تعتمد على الحس والتجربة والمشاهدة العلمية[2].

لقد وجه الله موسى عليه السلام إلى حصر العبودية والخضوع له، وأرشده إلى ضرورة الإبعاد عن الجهل والأوهام والخرافات التي عشعشت في عقول الناس _التي اعتمد عليها فرعون لتنصيب نفسه إلها_ ثم ألزمه بنشر دعوته من خلال الربط بين العلوم النظرية والعلوم التطبيقية، حيث وظفهما للغاية المذكورة.

وعند التأمل في سورة القصص نجد ما يؤكد هذين النموذجين، نذكر على سبيل المثال:

نموذج للعلوم النظرية: يظهر ذلك عندما تلقى موسى عليه السلام النداء الإلهي المباشر وهو في الوادي جوار جبل الطور، حيث لقنه الله الأساس الأول لعقيدة التوحيد، وهي أن الظواهر الكونية لا تحدث من تلقاء نفسها، ولا تسير حسب إرادتها، بل تخضع لإرادة رب العالمين، فهو وحده الذي يتصرف في أحوال الخلق وفق مشيئته، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾القصص أية30. فقوله تعالى" إني أنا الله رب العالمين" يقوم مقام العلم النظري.

---

[1] قلما تعتمد العلوم النظرية على التجارب العملية ووسائلها في سبيل إثباتها

[2] أنظر عبيدات، ذوقان، وآخرون. البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 2001، ص240، القباني، إبراهيم محمد. دور علماء المسلمين في تطوير العلوم، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، المملكة العربية السعودية، 1994، ص12. الصاوي، صلاح. منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، 1998، ص4.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

نموذج للعلم التطبيقي: تجلى هذا النموذج في قول الله تعالى ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾القصص أية31.

فالمعجزة التي أجراها الله على يد نبيه موسى عليه السلام وهي الأمر بإلقاء العصا ثم تحولها إلى ثعبان عظيم، وإدخال اليد في فتحة صدره واستخراجها، فإذا هي بيضاء من غير سوء، يهدف هذا النموذج إلى ترسيخ عقيدة "إني أنا الله رب العالمين" في أعماق نفسه عليه السلام من خلال القيام بتجربة مادية تقوم على الحس والمشاهدة العلمية.

تظهر أهمية هذا النموذج أنه وضع أسس المنهج العلمي التطبيقي[1]، وهي:

1. **اعتماد الدليل:** فلا تقبل دعوى بغير دليل، والدليل هو البرهان العقلي سواء كان نظريا أم حسيا، لقوله تعالى، ﴿ فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾القصص أية75. وقد أجرى الله هذه المعجزة كدليل على دعوة موسى عليه السلام.
2. **استخدام الحواس:** تحتل الحواس أهمية كبرى باعتبارها مصدرا مهما من مصادر العلم والمعرفة، فمعظم حقائق الكون مدركات حسية[2]. وهو الأمر الذي اعتمد موسى عليه السلام حينما وقعت المعجزة تحت مدركاته الحسية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾القصص أية31.
3. **الربط بين السبب والنتيجة:** وهو أساس في فهم الظواهر والأحداث الكونية، مع الإقرار بأن الله هو المسبب الحقيقي، إما بسبب جهد بذله الإنسان، كسعيه وعمله طلبا للرزق، كما

---

[1] لمعرفة المزيد من هذه الأسس أنظر: القباني، إبراهيم محمد. دور علماء المسلمين في تطوير العلوم، مرجع سابق، ص1 وما بعدها.

[2] الدغشي. نظرية المعرفة في القرآن، مرجع سابق، ص213.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فعل موسى لما عمل أجيرا لدى شيخ مدين، وإما بلا جهد وقع منه، كتحويل العصا إلى أفعى بسبب إلقائها، أو تغير لون يد موسى عليه السلام بسبب إدخالها في فتحة الصدر.

4. **أن الكون كله مسخر في خدمة الإنسان:** فعلى الإنسان أن يُعمل عقله فيه ويسبر غوره ويستفيد مما أودع الله فيه من خيرات ونعم، على أن يجعل ذلك وسيلة للتعرف على وحدانية الله والإخلاص في الخضوع والعبودية له. يستفاد هذا من حسن استغلال موسى عليه السلام لنعمة "العصا"، وسخرها في الدعوة إلى وحدانية الله تعالى .

عندما أخذ المسلمون بهذه الأسس برعوا في العلوم كلها، وتقدموا كثيرا، فأطلقوا عقولهم في الكون بحثا وفكرا وتأملا، وقدموا إسهامات جليلة في مختلف ميادين العلم والمعرفة، فأنشأوا المدارس الفلكية وأقاموا معاهد للأبحاث والدراسات الطبيعية، ووضعوا نظرياتهم في الفيزياء والكيمياء التي أصبحت أساسا تعتمد عليه جامعات أمريكا وأوروبا، وصنعوا بذلك خير حضارة عرفها التاريخ الإنساني، لأنهم أوجدوا توازنا بين متطلبات الحضارة، فكانت حضارتهم حضارة مادة وأخلاق، وعلم دين، وفكر وأدب، شريعة وثقافة، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، ﴿ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَآ ﴾ الفتح آية26.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الثاني: التكامل بين آيات الوحي وآيات الآفاق والأنفس

نقصد بآيات الوحي: أي كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه[1].

أما آيات الآفاق والأنفس: الظواهر التي تحدث في المجتمع الإنساني وفي الكون[2].

إن تفاعل آيات الوحي مع آيات الآفاق والأنفس في سورة القصص من شأنه أن ينتج إنسان التربية الإسلامية المزود بمعرفة قائمة على أسس علمية وعقدية متوافقة بعضها مع بعض، فالاتفاق الحاصل في سورة القصص بين آيات الوحي وآيات الله في الآفاق والأنفس موظف في تحقيق هدف واحد ومشترك وهو غرس عقيدة التوحيد.

أما مظاهر هذا التكامل فنجدها على النحو التالي:

1. توظيف الظواهر الكونية لغرس عقيدة التوحيد في النفس الإنسانية والوصول بها إلى عملية "السمع" و"الشهود البصري" المنشودين، يدل عليه قوله تعالى، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ القصص أية71-72.

"أفلا تسمعون" أي سماع فهم وقبول، "أفلا تبصرون"، أي تبصرون ما أنتم عليه من الخطأ في عبادة غيره[3].

---

[1] القطان، مناع. مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط19، 1983، ص32.

[2] آيات كونية. الليل والنهار، وعمليتي الكسوف والخسوف، وإرسال الصواعق وغيرها. أما آيات الأنفس التي تحدث في المجتمع: قوة الأمم وضعفها، وبناء الحضارات وسقوطها.

[3] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، 283/7.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

2. ذكر بعض الظواهر الطبيعية ثم توضيح الغاية الكبرى التي من أجلها خلقت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾القصص أية73.

فالغاية من ذكر ظاهرتي الليل والنهار هو تعريف الإنسان بنعمة الله عليه، ليحقق "الشكر"، و"الشكر": هو مراقبة الله في التصرف بهذه النعمة، بلا بطر أو استعلاء على الخلق، وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والدنس والفساد[1].

3. الربط بين هلاك الأفراد والأمم وبين خروجها عن منهج الله ومنابذة أوليائه ومناصرة أعدائه، كما فعل بفرعون وجنوده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾القصص أية40. وقد كشف الله عن سر الهلاك المصيري للأمم وهو الظلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾القصص أية59.

4. المراكز الاجتماعية ومظاهر التمكين في الأرض لا تدوم في الدنيا، وسرعان ما يؤول مصيرها الحتمي إلى زوال، ما لم يبتغ بها وجه الله تعالى، أما المراكز الاجتماعية لأولياء الله فإنها تظل قائمة على أصولها في الدنيا، ويوم القيامة يحظون بالنعيم المقيم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القصص أية83.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ القصص أية85.

---

[1] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2089/4.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أي أن الذي أوجب عليك تلاوة القرآن وتبليغه والعمل به، وحملك صعوبة هذا التكليف سوف يثيبك عليه بأن يردك إلى بلدك _مكة_ عزيزا بظهور الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه[1].

5. كشف القرآن عن بعض الحقائق التاريخية، وظهور البراهين العلمية على صدقها وصحتها، ومنها:

أ. لقد استخدم القرآن اسم "هامان" في سورة القصص، قَالَ تَعَالَى:﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ القصص أية 38.

وهامان أحد الأشخاص المقربين لفرعون الذين ورد ذكرهم في سورة القصص، وقد ورد هذا الاسم في العهد القديم على أنه كان مساعد ملك بابل الذي عاش بعد موسى عليه السلام ب(1100)سنة، حيث ظلم اليهود ظلما كبيرا[2].

ولكن بعد حل رموز الكتابة الهيروغليفية (لغة مصر القديمة) قبل 200سنة على يدي العالم الفرنسي "فرانجيس شامبليون" تقريبا سقط هذا الادعاء، وتبين أن هامان كان من المقربين من فرعون، وكان مسئولا عن أعمال الإنشاء والبناء، وهذا ما يتطابق مع ما ذكر في سورة القصص[3].

ب. يظهر في الآية إطلاق اسم "فرعون" على حاكم مصر، وقد أثبتت الدراسات التاريخية أن هذا اللقب كان يطلق على القصر الملكي، ولم يكن يستعمل حكام

---

[1] الزمخشري. تفسير الكشاف، مرجع سابق، ص812.

[2] يحيى، هارون. المعجزات القرآنية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2003، ص74 وما بعدها.

[3] المرجع السابق، ص74.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملكية القديمة هذا اللقب[1]، لكن استعماله ساد في العهد الملكي الجديد، في عهد الأسرة الثامنة(1539-1292ق.م) والأسرة العشرين(945-730ق.م)، وقد عاش موسى عليه السلام في هذا العهد، حيث استعمل لقب "فرعون" لإظهار التقدير والاحترام، وهنا يتجلى الإعجاز الثاني في الآية وهو إطلاق لقب فرعون على الحاكم في المملكة المصرية الجديد[2].

أما فائدة هذا التكامل فتتلخص فيما يلي:

1. إثارة الاهتمام بالعلوم التقنية والاكتشافات الحديثة استنهاضا للعقول واستثارة للتفكير الإبداعي فيها، وتشجيعا للبحوث العلمية التي تعزز فكرة الإيمان وتقوي رابطة العبودية بين العبد وربه[3].
2. كسر الازدواجية الفكرية الحاصلة في النظم التعليمية التي جعلت من العلوم العقلية قسيما للعلوم الشرعية وليست قسما منها.
3. فهم أحداث الماضي والحاضر والمستقبل وفق الفقه السنني التي كشفت عنه سورة القصص.
4. إيجاد نظام تعليمي شامل للعلوم الكونية والاجتماعية تحت مظلة العقيدة الإسلامية.
5. ملاحظة الشواهد الكونية ومشاهدة المعجزات العلمية الدالة على صدق آيات الوحي.

---

[1] عاش يوسف عليه السلام في العهد الملكي القديم، وبما أنهم لم يستخدموا "فرعون" كلقب للحاكم، فقد جاء لقب الحاكم المصري في عهد يوسف "العزيز" قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ يوسف. ولا شك أن مثل هذه الفروقات الدقيقة في الألقاب لا يمكن معرفتها إلا بعد دراسة مستفيضة، كما أنه لم يتوصل لهذه المعلومات إلا بعد حل الرموز للغة الهيروغليفية، التي حلت قبل 200سنة تقريبا، والسؤال: من أعلم سيدنا محمد ﷺ بهذه الفروق؟ أليس اللطيف الخبير.

[2] المرجع السابق، ص74.

[3] شهوان، راشد سعيد. الضوابط الشرعية لقضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والمسائل الحديثة في العلم والإيمان، دار المأمون للنشر والتوزيع، العبدلي-الأردن، ط1، 2010، ص19.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الثالث: استخدام الوسائل التعليمية

الوسائل التعليمية: هي المثيرات التي يتم عن طريقها التعلم الفعال، نتيجة الاتصال المباشر أو غير المباشر بين المرسل (المعلم) والمستقبل (المتعلم) باستخدام أدوات ومواد وأجهزة متنوعة.

وقد أثبتت التجارب أن استخدام الوسائل التعليمية يوفر الجهد والوقت في استيعاب المستقبل (المتعلم) للمادة التعليمية، وتيسير فهم الأفكار المجردة، حيث تتيح الفرصة للمشاهدة والاستماع والتأمل والتفكير، ومن ثم تحقيق الأهداف التربوية المنشودة [1].

ومن خلال التدبر في سورة القصص نجد مواطن عدة قد استخدمت فيها الوسائل التعليمية، منها:

زود الله موسى عليه السلام بالعصا واليد كوسيلتين تعليمتين لإظهار الدليل الحسي على صدق الرسالة وتفوقها على النظم الوضعية والقيم الأرضية التي أفرزتها أهواء متضاربة وعقول محدودة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ القصص أية31. وقوله أيضا، ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ القصص أية32.

وقد رد الله موسى عليه السلام إلى أمه بعد أن غاب عنها الأمد البعيد لتكون بمثابة وسيلة تعليمية لأمه، تتعلم من خلالها بأن قدرة الله ترعاه، وأنه سيحصل وعد الله في حفظه ورسالته[2].

---

[1] الأهدل، هاشم بن علي. تعليم تدبر القرآن الكريم أساليب عملية ومراحل منهجية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص41.

[2] أنظر، السعدي. تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص856.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

وعندما قال كفار قريش مقولتهم، ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ ﴾القصص أية 57. [1]

أجابهم الله بدليل محسوس ومشاهد، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ القصص أية57.

كذلك استخدام الظواهر الكونية، كظاهرتي الليل والنهار للدلالة على عظيم قدرة الله في تصريف الخلق وتدبير شؤونه، وهي من خير الوسائل في البيئة التعليمية المعاصرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ القصص أية71.

ومما يؤكد على جدوى استخدام الوسائل التعليمية ومدى فاعليتها في إثراء البيئة التعليمية أن الله وعد موسى عليه السلام بأن هذه الوسائل ستكون سببا في غلبة أئمة الضلالة ورموز الكفر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ القصص أية35.

"هذا وعد لموسى عليه السلام، .. حتى أنجز لموسى له موعده، ومكنه من العباد والبلاد، وصار له ولأتباعه الغلبة والظهور"[2].

---

[1] سبب نزول الآية أنه اعتذر بعض الكفار في عدم إتباع الهدى حيث قالوا لرسول الله ﷺ : نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين أن يقصدونا بالأذى والمحاربة، ويتخطفونا أينما كنا، فنزلت الآية. أنظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي. تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، (د،ط)0(د،س)، 395/3.

[2] السعدي. تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص861، بحذف بسيط.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

قواعد استخدام الوسائل التعليمية[1]

هناك قواعد لا بد من مراعاتها تربويا عند استخدام الوسائل التعليمية كي تؤدي أثرها المطلـــوب، ومنها:

1. أن تكون واضحة بحيث يسهل على المستقبل فهمها، مما يساعده على اســتيعاب المعلومــة وتذويتها في سلوكه، يستدل على ذلك من خلال الوصف القرآني للآيات التـــي جـــاء بهـــا موســـى عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾القصص أية36. بينات: أي وساطعة[2].

وجه الاستدلال أن موسى عليه السلام قد جاء قوم فرعون بوسائل لترسيخ عقيـــدة التوحيـــد فـــي قلوبهم. وقد وصفها الله بأنها واضحة وساطعة.

2. تحري التنوع في استخدام الوسائل التعليمية، بحيث يرفع من مستوى الفهم التعليمي وإتقان مهارة التعلم، يدل على ذلك أن الله زود موسى عليه السلام بوسيلتين مختلفتين هما العصا ثم اليـــد البيضاء.
3. وجود تناسب بين الوسيلة التعليمية وبين المستوى الثقافي لبيئة المتعلمين، لأنه أدعى لإثارة اهتمام المتعلمين وتحفيزهم على التعلم، واستيعاب المادة، يستدل على ذلك من خلال طبيعة الوسيلة التعليمية (المعجزة) لموسى عليه السلام، فانقلاب العصا إلى ثعبان وتحول لون يـــده إلـــى أبيض لامع يتوافق مع ثقافة المجتمع المصري الذي انتشر فيه السحر[3].

---

[1] يمكن إحالة القارئ لمعرفة المزيد من لقواعد استخدام الوسائل التعليمية إلى، داود، ناصر عبد العزيز. الوسائل التعليمية وعلاقتها بتقبل الطالب للمادة الدراسية، شركة العبيكان، الرياض، 1412هـــ، ص29 وما بعدها.

[2] الصابوني. صفوة التفاسير، مرجع سابق، 337/2.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي ظل البيئة المعاصرة التي نشهد فيها تطورا هائلا في مجال الصناعة والتكنولوجيا يفضل استخدام وسائل تعليمية تواكب هذا التطور، كاستخدام الخرائط والرسوم البيانية والعاكس وجهاز الحاسب الآلي والبطاقات الكترونية ونحو ذلك، مما يثير دافعية التعلم ويجعله منسجما مع الاتجاهات الفكرية لدى المتعلمين.

4. التدريب على استخدام الوسائل التعليمية قبل عرضها أمام المتعلمين، مما يكسب الفرد عرض الوسائل أمام المتعلمين بثقة وامتياز، يدل عليه أن الله أمر موسى عليه السلام بإلقاء العصا وإدخال اليد إلى صدره في جانب الطور وقبل أن يتوجه إلى فرعون.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الرابع: تعدد طرائق التعليم

تسعى التربية الإسلامية إلى إيجاد الفرد المسلم والمجتمع المسلم الذي يجسد رسالة الإسلام في مختلف أطر الحياة، سواء كان في الإطار العقدي أم العقلي أم الاجتماعي أم النفسي أم الشعائري أم الاقتصادي، وفق الرؤية الإسلامية المستوحاة من القرآن والسنة.

وحتى تعطي التربية الإسلامية ثمارها الإيجابية في حياة الأفراد والجماعات كان لا بد من تحديد الأساليب والطرق التي يتم عبرها إيصال المنظومة التربوية الإسلامية إليهم.

وبعد القيام بمراجعة لآيات سورة القصص اهتدى الباحث إلى مجموعة من الطرائق التعليمية وهي:

أولا: التعلم بالملاحظة

يعتمد هذا النوع من التعليم على مشاهدة وملاحظة المتعلم لمواقف تعليمية محددة، حيث يتم من خلالها اكتساب الأفكار والعادات والقيم والسلوكيات وفق للقدرات العقلية لدى الملاحظ[1].

يعد هذا النوع من التعليم من قواعد التعليم الهادف والمؤثر، الذي ينتج عنه إيجاد الإنسان المتوازن والمتكامل الذي يعطي كل ذي حق حقه في الحياة، والذي يدفعه إلى أن ينهض بمسؤوليته ويضطلع بواجباته على أكمل وجه وأنبل معنى، فيجعل منه اللبنة القوية في القاعدة الإسلامية الصلبة التي يتحقق بها عز الإسلام[2].

لقد أبرزت سورة القصص هذا النوع على أنه طريق من طرق التعليم المجدية التي تساعد في ترسيخ عقيدة التوحيد في نفس المتعلم، وذلك من خلال ملاحظة موسىﷺ عملية تحول العصا إلى أفعى، ثم تحول يده إلى بيضاء من غير سوء، ليستدل من خلال هذه الملاحظة التعليمية وباستخدام

---

[1] حجاج، علي حسين. نظريات التعليم دراسة مقارنة، عالم المعرف، بيروت، (د،ط)، 1986، 131/2 وما بعدها.

[2] علوان، عبد الله ناصح. تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، 543/2. مدن، يوسف. التعلم والتعليم في النظرية التربوية الإسلامية، دار الهادي، ط1، ص 428.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حواسه وعقله وتفكيره تجليات القدرة الربانية في خرق قانون السببية بمجرد قوله للشيء كن فيكون، وهذا يعني أن الغلبة لا يشترط لها أن تكون بأسباب تعارف عليها الناس[1]. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾القصص أية31.

ثانيا: التعلم بالقدوة

يعتبر التعليم بالقدوة من أنجح الوسائل المؤثرة في إعداد الفرد الصالح والمجتمع الصالح[2]، إذ أنه من أكثر الوسائل وقعا في النفس البشرية، ويعمل على توجيه السلوك الإنساني في مختلف نشاطات الحياة، بما يصقله في نفسه من أفكار وقيم وتصورات وعادات تنتقل إلى المتلقي عبر الصوت والصورة.

لذا كان أشد التحذيرات القرآنية وجود مساحة بين القول والفعل الإنساني، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾الصف أية2.

فوجود هذه المساحة قد تجعل من التعليم عملية عديمة الجدوى في نفس المتلقي، فلا يهز مشاعره ولا يسبر أعماقه، ولا يعدل سلوكه، لخلوه من التأثير على حامل هذا العلم، لذا كان من مقتضيات وجود هذا التأثير اقتران العلم بالعمل ليكون أنموذجا صالحا يحمل الآخرين على الإقتداء به.

ومن هنا نرى أن سورة القصص قد أبرزت شخصية موسى عليه السلام بصورتها المتكاملة، كأنموذج للشخصية المثالية في أعلى مستوياتها، حيث جمعت من سمات "الكمال البشري" ما جعلها

---

[1] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2693/5.

[2] علوان، عبد الله ناصح. تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط30، 1996، 476/2.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

منهاجا تربويا شاملا، يصلح أن يُقتدى به في مختلف مجالات التربية، سواء في المجال العقائـدي، أو الخلقي، أو الجسمي، أو المهني، أو الاجتماعي، أو غير ذلك.

ففي المجال العقائدي: يقر بعقيدة التوحيد، وهي تفرد الله بالربوبية والإلوهية والأسماء والصفات .

ومن شواهد ذلك، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ القصص أية16.

وفي المجال الخلقي: برزت في موسى عليه السلام مجموعة من القيم الأخلاقية النبيلة كالأمانة ومـساعدة الغير، ومن شـواهد ذلـك، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ القصص أية 26.

وفي المجال الجسمي: برزت شخصية موسى عليه السلام كأنموذج للرجل القوي، ومـن شـواهده، ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ القصص أية26.

وفي المجال المهني: برزت شخصية موسى كأنموذج للعامل المخلص الذي يكتسب بعرق جبينه، ويوازي بين عمل الـدنيا والآخـرة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ القصص أية27.

وفي المجال الاجتماعي: برزت شخصية موسى كأنموذج للزوج الصالح المعين لزوجته، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ القصص أية29.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثا: التعلم بالقصة

يعد استخدام القصة من الطرق الفعالة في التعليم لما لها من أثار نفسية وتربوية عند المتعلم، فالقصة توقظ الانتباه وتستثير دافعية التعلم، وتجعل الفرد يتفاعل معها، وتكمن أهمية هذا التفاعل بحمل الفرد أحيانا على تقمص بعض شخصيات القصة واكتساب بعض عاداتهم السلوكية.

وقد أدرك الإسلام هذا الميل النفسي للقصة فجعلها وسيلة في تعليم العقيدة وغرس القيم والعادات ، الصالحة وتنمية الميول والاتجاهات الإيجابية[1]، فأنزل سورة تحمل هذه المعاني وسماها بسورة القصص، حيث عرض الله فيها مجموعة من القصص التربوية الهادفة، بحيث تتناول كل قصة بشكل رئيس مجالا محددا من قضايا المجتمع، مع احتوائها على بعض الإشارات التربوية الهادفة في مجالات مختلفة بغية تصحيح ما علق بها من تشوهات وتصورات خاطئة.

تدور سورة القصص على قصتين رئيستين تشكلان المحور الأساسي لها، وهما:

أولا: قصة موسى عليه السلام: حيث تهدف هذه القصة إلى إبراز مجموعة من الحقائق، منها:

1. حتمية الصراع بين الحق والباطل، ثم انتهاء هذا بزوال دولة الباطل وظهور دولة الحق.
2. وجوب الأخذ بأسباب النصر وإعداد العدة لمقاومة الباطل.
3. رعاية الله لأوليائه وحفظهم من أسباب الشر والفساد.
4. حفظ الله لأوليائه هو إظهار قدرة الله على خرق قانون السببية، وأن الأسباب لا تعطي ثمارها إلا بمشيئة الله تعالى.

---

[1] النل، شادية أحمد. علم النفس التربوي في الإسلام، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005، ص294، طنطاوي، محمد سيد. القصة في القرآن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1996، ص3 وما بعدها. زايد، فهد خليل. أسرار القصة القرآنية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص28 وما بعدها. السلخي، محمود. طرق تدريس التربية الإسلامية، دار كنوز المعرفة، ط1، 2009، ص99.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثانيا: قصة قارون التي تهدف إلى مجموعة أخرى من الحقائق، منها:

1. تحول المال من كونه وسيلة إلى أن يصبح غاية من أسباب هلاك الفرد والجماعة.
2. أهمية ظهور دور العلماء كمصلحين على مسرح الحياة.
3. إذا أعطى الله عبدا على ما فيه من معصية فإنما هو استدراج.
4. التمكين في الأرض هو حق عباد الله المخلصين، الذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا.
5. عندما يعجز أهل الطاعة في إصلاح المجتمع وتستنفد وسائلهم، عندئذ تتدخل يد الله لوضع الأمر في نصابه.

رابعا: التعلم بالموعظة

الموعظة: هي النصح والتذكير بالعواقب، أو بما يلين القلب من ثواب وعقاب[1]. وهي من أهم وسائل التعليم المؤثرة في تكوين الفرد إيمانيا، وإعداده خلقيا ونفسيا واجتماعيا، فهي منهج قويم من مناهج التربية والتعليم، وطريقا للوصول إلى صلاح الأفراد وهداية المجتمعات[2]، وهو ما اعتمد عليه لقمان في تذكير ابنه وتعليمه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان أية13.

لقد حفلت سورة القصص بمواطن ظهرت فيها الموعظة كطريق من طرق التعليم، ومن ذلك ما وعظ به الذين أوتوا العلم قارون بمجموعة من العبارات التي تعمل على تحريك الحس الإيماني

---

[1] ابن منظور. لسان العرب، مرجع سابق، مادة وعظ ، 466/7،.

[2] علوان، عبد الله ناصح. تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، 511/2-512.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لديه، لكنه زاده عتوا وفجورا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ القصص أية76.

إضافة إلى موقفهم الوعظي تجاه من غرهم ملك قارون، وقد حملت موعظتهم كلمات بالغة الأثر، بدافع الغيرة على مصلحة القوم، الذين تعلقت قلوبهم بمتاع الدنيا الزائل، حتى عن الطمع في ثواب الله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ القصص أية80.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الخامس: مراعاة قواعد التعلم

هناك عدة قواعد تتعلق بصيرورة التعلم والتي يجب مراعاتها من قبل المعلم ووضعها في اعتباره، حيث تسهم في تحسين الأداء التعليمي ورفع الكفاءة المعرفية لدى الطلاب، ومنها :

أولا: مراعاة الفروق الفردية: لقد أثبتت الدراسات أن الناس متفاوتون فيما بينهم بنواحي شتى، ويشمل هذا التفاوت القدرات العقلية، والناحية الجنسية، والجسمية، والاجتماعية، والاقتصادية، والانفعالية[1].

تظهر أهمية هذا التفاوت في تحقيق التكامل للأدوار الاجتماعية والعقلية والجسمية والاقتصادية.. بين أفراد المجتمع، وبذلك تستقيم حياة المجتمعات ويصلح واقع الإنسان، وقد أكد الماوردي هذا بقوله:" فإذا تساوى حينئذ جميعهم _أي أهل الدنيا_ ولم يجد أحدهم إلى الاستعانة بغيره سبيلا، وبهم من الحاجة والعجز..فيذهبوا ضيعة ويهلكوا عجزا، وإذا ما تباينوا واختلفوا صاروا مؤتلفين بالمعونة متواصلين بالحاجة، لأن ذا الحاجة وصول، والمحتاج إليه موصول"[2].

لقد أظهرت لنا سورة القصص أحد جوانب الفروق الفردية، وهو الجانب الكلامي، وأهميته في تحقيق تكامل الأدوار بين موسى وهارون، حيث جعلا من هذه الفروق أساسا للتعاون على المشروع الدعوي أمام فرعون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾القصص أية34.

---

[1] محمود، إبراهيم وجيه. القدرات العقلية، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص2.

[2] الماوردي، علي بن محمد حبيب. أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ص 110، مع حذف بسيط.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا: مراعاة ظروف المتعلم: تتأثر العملية التعليمية بعدة عوامل، ومن بينها العوامل النفسية والحسية لدى المتعلم، وتتدخل جميعا في تحفيز دافعية التعلم ومدى تحقق الاستفادة من المواقف التعليمية.

لقد ورد في سورة القصص الشعور بالخوف كعامل أساسي في التأثير على العملية التعليمية، وذلك حين ألقى موسى عليه السلام العصا فانقلبت إلى جان، فامتلأ رعبا وفر مدبرا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾القصص أية31.

تعتمد العملية التعليمية على القدرات النفسية_إضافة للقدرات العقلية_ لدى المتعلم، بحيث إذا خرجت عن حد التوسط والاعتدال، وحصل فيها الاضطراب من خوف وقلق ونحوه، فلن يتم تحقق التعلم، حيث يختل توازن الإنسان وتنصرف قدراته العقلية إلى اتجاه واحد، وهو الحصول على الأمن والطمأنينة.

ومن هنا يظهر لنا أهمية تبديد مشاعر الخوف لدى المتعلم وضرورة ضبط انفعالاته، من خلال إشعاره بالأمن النفسي والاطمئنان القلبي، اللذين يجعلان الفرد قادرا على استيعاب الموقف التعليمي وإتقان مهارات ومفاهيم التعلم، وهو ما فعله الله مع موسى عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾القصص أية31.

وكذلك أمره أن يضم يده إلى صدره حتى يذهب ما به من خوف، قَالَ تَعَالَى: ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾القصص أية23.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

كذلك نجد أن الله قد راعى النقص الحسي في موسى عليه السلام، حيث كان في لسانه حُبسة[1]. فطلب موسى من ربه أن يرسل معه أخاه هارون عونا له وتعويضا عن هذا النقص، فاستجاب لـــه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾القصص أية35. وأن يزيل الحبسة مـــن لـــسانه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ طه آية28 .

ثالثا: مراعاة أخلاقيات التعلم:

1. **احترام شخصية المتعلم:** كل فرد يولد وهو مزود بحاجة فطرية، وهي الحاجة إلى التقبل والاحترام[2]، وعند إهمال هذه الحاجة يدخل الفرد في صراع نفسي ويـــسيطر عليه القلق، وربما يقع فريسة الشذوذ والانحراف، وفي حال إشباعها يحـــصل لـــه التوازن الانفعالي، ويصل إلى درجة الرضا النفسي، ويجعله يعيش بتوافق وانسجام مع مختلف المواقف.

لذا كان لزاما إشباع حاجة الاحترام للمتعلم، باعتبارها ركيزة أساسية في حـــصول التعلم والإقبال عليه، وقد وجدنا ذلك من خلال مناداة الله لموسى عليه السلام باســـمه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾القصص أية30. فاستخدام أداء النداء مع ذكـــر اســـم

---

[1] الصابوني. صفوة التفاسير، مرجع سابق، 237/2.

[2] أنظر سلم الحاجات عند ماسلو، الوقفي، راضي. مقدمة في علم النفس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 1998، ص346.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنادى يدل على توقير صاحب الاسم واحترام مشاعره، وبترك أثره العاطفي في نفس المتعلم.

2. **الاستماع للمتعلم:** ذلك أن التعليم ليس مجرد قذف مجموعة من الأفكار والمفاهيم وإلقائها في روع المتعلم، مما يجعل المتعلم أشبه بوعاء أصم، وهو ما لا يتوافق مع الطبيعة الإنسانية التي تمتزج بها المشاعر والأحاسيس، وتؤثر بها الظروف والأحوال إيجابا أو سلبا في مختلف المواقف.

لذا كان من مقتضيات هذه الطبيعة الاستماع إلى المتعلم وإتاحة الفرصة أمامه للتعبير عما يجول في مسارب فكره وخبايا نفسه، حتى تعطي العملية التعليمية ثمارها على المستوى الفردي، ولذا نجد أن الله منح موسى عليه السلام فرصة التعبير عن مشاعر الخوف التي ملكت قلبه واستمع له، بل أنعم عليه بأخيه هارون تخفيفا من حدة هذه المشاعر وتقليلا من أثرها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾القصص أية33.

3. **العذر عند الجهل:** فعلى المعلم أن يراعي حال الطالب عند وقوعه في خطأ أثناء العملية التربوية، ولا سيما إذا كان جاهلا له ولم يتوفر لديه أدنى علم بأن ذلك العمل خطأ، قبل أن يقدم على ذلك العمل، وهذا أمر يلقي بالمسؤولية على المعلم أن يُعلم طلابه بكل ما هو محظور من الأقوال والأعمال والممارسات في مستهل السنة التعليمية، حتى يكون كل طالب على علم وبصيرة منها، وهو أدعى لتحقق الامتثال وحصول الالتزام بها، وهو ما أرشدت له الآية الكريمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

﴿ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ القصص أية59.

تفيد الآية عدم مؤاخذة النفس بجناية، واستحال في سنتنا _أي سنة الله_ المبنية على الحكم البالغة، أو ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق أن نعذب أحدا بنوع من العذاب، دنيويا كان أو أخرويا على فعل شيء أو ترك شيء، أصليا كان أو فرعيا، حتى نبعث رسولا يهدي إلى الحق، ويردع عن الضلال، ويقيم الحجج ويمهد الشرائع[1].

المطلب السادس: إيجاد العقلية السببية

السببية: هي العلاقة بين السبب والمسبب[2].

العقلية السببية: هي الملكة الفكرية التي تدرك الحقائق من خلال الربط بين الأسباب والمسببات[3].

هذا الربط هو ميزة طبيعية للإنسان دون سواه من المخلوقات، وذلك بسبب الاختصاص الذي اختص الله به الإنسان، فمنحه نعمة العقل الذي يرجع إليه الإنسان في جميع ما يواجهه في الحياة،

---

[1] الألوسي، شهاب الدين السيد محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 49/15.

[2] شهوان، راشد سعيد. السنن الربانية في التصور الإسلامي، الناشر الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2009، ص75.

[3] المرجع السابق، ص75.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيدرك به مواطن الخطر ومدى حجمه وسبل مواجهته، كل ذلك يتم التوصل إليه من خلال مبدأ السببية[1].

لكن ثمة فروق بين العقلية السببية لدى المسلم الذي ينطلق في تفكيره من التصور الإسلامي، وبين العقلية السببية لدى أصحاب المذاهب الوضعية التي انحرف فكرها عن جادة الوحي وتصورات الإسلام، ومن خلال سورة القصص تبرز لنا العقلية السببية في تصورها الإسلامي، وذلك ضمن النقاط التالية[2]:

أولا: أن الله خلق الأسباب ونظم الكون لإتاحة الأخذ بالأسباب والحصول على المسببات، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ القصص أية73.

فالنهار سبب من أسباب كسب الرزق والمعاش، والليل من أسباب حصول الراحة والهدوء، نظم الله أمرهما لإتاحة فرصة الأخذ بأسباب العيش والسعادة.

ثانيا: الأخذ بالأسباب مطلب شرعي وتحقيق الامتثال لأمر الله تعالى، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص أية7.

---

[1] المرجع السابق، ص75.

[2] قام الباحث بمراجعة دقيقة للفكر السببي في التصور الإسلامي ودوره في الواقع الإنساني، وقد استفاد من معطيات هذا الفكر، ثم قام بتطبيقه بصورة تتوافق مع معطيات بحثه وأهداف دراسته، ومن أراد الاستزادة من هذا العلم وإحاطته من جميع جوانبه فإني أحيله للرجوع إلى مظانه، ومن جملة ذلك، مذكرة ل: القيسي، مروان. معالم التوحيد، مرجع سابق، ص وما بعدها32. شهوان، راشد سعيد. السنن الربانية في التصور الإسلامي، مرجع سابق، 74 وما بعدها. تركي، إبراهيم محمد. السببية عند القاضي عبد الجبار، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2004، ص19 وما بعدها، وغيرها من المصادر.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فإلقاء موسى عليه السلام في اليم الذي هو سبب في دفع أذى فرعون عنه مطلب شرعي؛ لأنه وحي من الله، كما أن إرضاعه سبب في بقائه على قيد الحياة.

ثم إننا نلحظ أن الله على الرغم بوعده لأم موسى عليه السلام برده إليها، ووعد الله حق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص آية7. إلا أنها مع ذلك اجتهدت، فأرسلت أخته تقصه، فأدى اجتهادها هذا إلى الإلتقاء به ثانيـــة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص آية11.

ثالثا: الاعتقاد بأن الأسباب لا تؤثر بحد ذاتها_ ضرا أو نفع_ وإنما يقع تأثيرها بإرادة الله، لذا كان من لوازم ذلك الأخذ بها مع ضرورة التوكل على الله _المالك الحقيقي للـــضر والنفـــع_، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ السَّبِيلِ ﴾ **القصص** أية21-22.

فخروج موسى عليه السلام من مصر وتوجهه نحو مدين سبب من أسباب النجاة، لكنه لما اعتقد أن هذا السبب لا يضر ولا ينفع إلا إذا أذن الله بذلك، توجه إلى ربه بطلب النصرة والمعونة له.

رابعا: الله يخالف بين الأسباب، فيجعل الشيء سببا في وجود نقيضه، ففرعون الذي كان سببا في خوف أم موسى عليه السلام على ابنها، بل كان مصدر تهديد وقتل ل له، وإذا به قد جعله الله مـــصدر حفظ ورعاية له.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الرابع: البناء الأخلاقي

وفيه

المبحث الأول: أهداف البناء الأخلاقي

المبحث الثاني: وسائل البناء الأخلاقي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تمهيد

تعتبر الأخلاق أساس الدين وجوهر الرسالات، فقد أنزل الله الشرائع وأرسل الرسل من أجل نقل أخلاق الناس من طور إلى طور، ورفعها من مستوى البهيمية إلى مستوى تنال به استحقاق اسم الإنسانية، وتحويل البشر من مجرد مجموعة من الأفراد تتحكم بهم غرائز سبعية، وتستبد بهم مطامع ذاتية، إلى أفراد تحكمهم منظومة خلقية قائمة على العدل والإحسان، هدفها تزكية الأفراد والجماعات في الوسائل والرؤى والأهداف.

إن غياب منظومة الأخلاق في واقع المجتمعات قد جعل الحياة البشرية عرضة لموجات كارثية طالت جميع مظاهر الحياة، ففي المجال العقدي، ظهر الكفر وأعمال الشرك من سحر وشعوذة ومعاداة الله ورسله.

وفي المجال الأخلاقي ظهرت العنصرية، والفروق الطبقية، والسفاح، وإيذاء الآخرين واستغلالهم.

وفي المجال الاقتصادي شاع الاستغلال والاحتكار، والرشوة، والإسراف، والتدليس في البيع، وعدم الالتزام بالعهود.

سنتناول إن شاء الله في هذا الفصل الحديث عن بعض الوجوه الأخلاقية التي تضمنتها سورة القصص، وذلك من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: أهداف البناء الأخلاقي

المبحث الثاني: وسائل البناء الأخلاقي

وعليه فإن هذا الفصل يجيب عن السؤال الآتي:

ما الأهداف التربوية للبناء الأخلاقي، وما وسائله كما يظهر من سورة القصص؟

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الأول: أهداف البناء الأخلاقي

لقد أكدت السنة النبوية أهمية الأخلاق ورفعت من شأنها، قال ﷺ:﴿ إن خياركم أحاسنكم أخلاقا﴾[1].

ولعظيم ما جاء به النبي ﷺ من قيم أخلاقية سمحة اندفعت القبائل العربية إلى الإيمان به والتصديق برسالته، حتى إن الرجل كان يدفع قريبه لملاقاة النبي ﷺ للتأمل في حقيقة ما جاء به من الوحي، فإذا ما بلغه انجذب إليه بما يجده فيه من أرقى معاني الإنسانية، ﴿ فلما بلغ أبا ذر ﷺ مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله، فرجع، فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق﴾[2].

لدى التأمل وإمعان النظر في الأخلاق يتبين لنا أن الخلق هو صفة مستقرة في النفس – فطرية أو مكتسبة– ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة.

فالخلق منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، والإسلام يدعو إلى محمود الأخلاق وينهى عن مذمومها[3]، وهو ما سنعالجه في هذا المطلب إن شاء الله.

ويستطيع كل فرد أن يتعرف على مستواه الأخلاقي من خلال قدرته على ما يذوته في شخصيته من الأخلاق الحميدة، التي جاءت الشريعة الإسلامية بهدف تطويرها وتنميتها، وهي ما يلي:

المطلب الأول: تنمية خلق الحياء والبعد عن دواعي الفاحشة.

المطلب الثاني: تنمية خلق الأمانة.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، 108/7، رقم الحديث 6035.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب، حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، 108/7معلقا.

[3] حبنكة، عبد الرحمن حسن. الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، 10/1.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الثالث: تكوين اتجاه إيجابي نحو العمل الصالح.

المطلب الرابع: حفظ اللسان واحتشام الأقوال.

المطلب الخامس: تنمية خلق التواضع.

المطلب السادس: تنمية العزة والشجاعة.

المطلب السابع: مراعاة الأدب مع أكابر القوم.

المطلب الثامن: الانتقال من بيئة الفساد إلى بيئة الصلاح.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الأول: تنمية خلق الحياء والبعد عن دواعي الفاحشة

الحياء: هو انقباض النفس عن القبائح، وهو من خصائص الإنسان، أوجده الله تعالى في الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه الشهوة من القبائح، فلا يكون كالبهيمة[1].

يعتبر الحياء من السمات الطيبة للشخصية الإسلامية، وهو خلق جمالي يُضاف إليها، وقد أرشدت آيات الوحي إلى ضرورة التميز بهذه الصفة الجمالية، أية قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ النور أية30-31.

لقد وجهت سورة القصص إلى ضرورة غرس خلق الحياء في النفوس من خلال قوله تعالى: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ القصص أية25.

لقد عُرف حياء البنت من خلال أمرين:

- قوله تعالى" تمشي على استحياء"، وهي مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال، من غير تبذل ولا تبرج ولا تبجح أو إغواء.
- قوله تعالى" إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا"، فقد طلبته لأبيها في أقصر لفظ وأخصره وأدله، وهو حياء محمود، لأن حياءها لم يسبب لها التلجلج والتعثر والربكة، بل أبانت عن طلبها بكل دقة ووضوح[2].

ما أشد الحاجة إلى أن يُربى النشء على هذا الأنموذج الخلقي الذي هو عاصم المجتمعات، فالمجتمع الذي يخيم عليه خلق الحياء هو أكثر المجتمعات بعدا عن دواعي الفاحشة وأسباب السقوط والوقوع في مستنقع الرذيلة، فالعلاقة بين سلامة المجتمع وامتلاك ناصية الرقي والتقدم وبين الحياء

---

[1] الشرقاوي، محمد عبد الله. الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990، ص167.

[2] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 5/2686-2687.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

علاقة تبادلية، إذ يستمد كل طرف قوته من الآخر، والذي يساعد على ذلك كون الحياء صفة كسبية، يمكن أن يتعلمها المرء في حياته ويتدرب عليها، حتى تصبح من لوازم صفاته، فتسمو به نفسه إلى أفضل درجات الإنسانية.

وحين يغيب الحياء في أي مجتمع فإن ذلك يعني انهدام السدود والحواجز بين المجتمع وبين حياة التوحش والانفلات، وهذا يمثل الخروج النهائي عن أسمى معاني الحضارة الإنسانية، وما وصلت إليه المجتمعات الغربية من تفسخ القيم وما استتبعه من كوارث اجتماعية خير شاهد على هذه الحقيقة.

المطلب الثاني: تنمية خلق الأمانة

الأمانة: هي مصدر أمنه، يأمنه، أمانة، أي وثق به واطمأن إليه ولم يخفه. والأمين هو الثقة المؤتمن. والأمانة ضد الخيانة، وهي خلق ثابت في النفس، يعف به الإنسان عما ليس له به حق.

وقد ظهر من خلال التعريف أن الأمانة تشتمل على ثلاثة عناصر:

1. عفة الأمين عما ليس له به حق.
2. تأدية الأمين ما يجب عليه من حق لغيره.
3. اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه من حقوق غيره، مع عدم التفريط بها أو التهاون في شأنها[1].

[1] ابن منظور. لسان العرب، مادة (أ م ن)، 22/13 وما بعدها. حبنكة، عبد الرحمن حسن. الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، 645/1.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

تحتل الأمانة في الإسلام مكان الصدارة من جملة الأخلاق والسلوك، وتبدو في أعلى مراتبها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ النساء أية58.

تتخذ الأمانة صورا عدة في شرعنا الحنيف، فمن صورها العفة عن النظر إلى عورات الناس، وهو ما جعل البنت تتقدم بشهادة صادقة بين يدي أبيها، تُسجل لصالح موسى عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ القصص أية26.

كذلك من صورها قيام العامل بواجب مسؤوليته تجاه صاحب العمل، بصدق وإخلاص غير مفرط أو متساهل، فالتهاون في هذا الجانب هو بمثابة أكل أموال الناس بالباطل، وهو أمر استقبحته الشريعة الإسلامية ونفرت النفوس منه، لئلا تقع به كما وقعت به نفوس من بني إسرائيل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ النساء أية160-161.

لقد برزت لنا أمانة موسى عليه السلام أيضا في هذا الجانب حين عمل أجيرا لدى شيخ مدين، وفيما تعاقد عليه معه، فقضى المدة التي اتفق معه عليها وزيادة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا ﴾ القصص أية29. والدليل على الزيادة ما رواه سعيد بن جبير، قال: ﴿ سألني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس، فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما ﴾ [1].

ومن صور الأمانة قيام الزوج بحق زوجته التي استرعاه الله إياها، وأداء حقها في الحفظ والرعاية، ودفع عنها ما يؤذيها ويلحق بها ضررا في نفسها أو مالها أو غيره مما هو عزيز عندها،

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الشهادات، باب: من أمر بإنجاز الوعد، 217/3، رقم الحديث 2684.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وقد تحقق ذلك في موسى عليه السلام حين آنس من جانب الطور نارا، فقال لأهلـــه:﴿ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ القصص أية29.

ومن صورها كذلك أمانة النصح لمن احتاج إليها، وتأديتها بصدق وإخلاص، وقد وجدناها في الشخص الناصح لموسى عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ القصص أية20.

وهكذا نجد الأمانة قد دخلت في كل جانب من جوانب الحياة، سواء في القول أو الـــسلوك، أو في نطاق العمل أو الأسرة، وغيرها من مجالات الحياة، حيث تسهم في ترسيخ جذور الحب والتآلف في عقول الناس وقلوبهم، وتدفع المسلم نحو العمل البنّاء والعطاء المتواصل، بسبب ثقته في أفـــراد مجتمعه بأنهم لن يغمطوا له حقا، أو ينصبوا له شباك الغدر، وهذا بدوره يشكل الخطوة الأولى في بناء مجتمع مزدهر تسوده القيم الحضارية.

المطلب الثالث: تكوين اتجاه إيجابي نحو العمل الصالح

إن أدل شيء على قيمة العمل في ميزان الشرع هو اقتران العمل بالإيمـــان، ومـــن بعـــض شواهده، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ البقرة أية277.

فالعمل الصالح دليل ظاهر على اكتمال إيمان العبد، وليس أدل من ذلك من قوله تعالى:﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ الحجرات أية14.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿نزلت الآية في أعراب من بني أسد بن خزيمة، قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة، وأظهروا الشهادتين، ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أتيناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة﴾[1].

فنزلت الآية من أجل أن يعلمهم الله أن الإيمان تصديق بالقلب بالله وبرسوله ﷺ، ثم اندفاع لتحقيق حقيقته خارج القلب وفي واقع الحياة[2].

لقد اكتسب العمل قيمته في ميزان الشرع باعتباره ركنا أساسيا في قانون التغيير والإصلاح في الحياة الإنسانية، فالله بيده خزائن السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، وهو يفتح على العبد من أبوابه بقدر ما يأخذ العبد بزمام العمل وأسباب النهوض.

وفي هذا الإطار ظهر نشاط سيدنا موسى عليه السلام، حيث جعل نشاطه مؤطرا بإطار العمل الصالح، الذي لا يتعلق بمكاسب مادية ومنافع آنية، فهي بالنسبة له ليست هدفه الأكبر، لأنه يطمع بما عند الله من الأجر وحسن الثواب.

ومن هنا وجدنا موسى عليه السلام ينهض بقوة وعزم لسقي أغنام بنات مدين في بيئة قل فيها حب العطاء، وغلبت فيها المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، وباتت حركة الإنسان تتجه فيها نحو بسط السيطرة على مواقع الخير دون الإكتراث بحق الضعفاء، حيث كان الرعاء يسقون أغنامهم، تاركين الفتاتين تذودان أغنامهن إلى حين يصدر الرعاء، من غير رحمة بأبيهن الشيخ الكبير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ القصص آية24.

---

[1] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، 315/8.

[2] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 3349/6.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومن إيجابية العمل الذي قام به موسى عليه السلام مبادرته للعمل فور وقوع ما يوجبه، دون تسويف أو تأخير، ففي اللحظة التي رأى فيها الفتاتين تذودان أغنامهما، هبّ لمساعدتهما، دون أن ينتظر تحسن الظروف أو تغير الحال، حيث بإمكانه الإدعاء بأن الظروف غير مواتية للعمل من أجل الغير، فهو ما زال شريدا، طريدا، ، ضعيفا، غريبا في هذا البلد، لكنه عمل بموجب قوله تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ الحديد أية21.

المطلب الرابع: حفظ اللسان واحتشام الأقوال

من أهداف التربية الإسلامية الوصول بالعبد إلى المستوى الذي يحكم فيه السيطرة على لسانه، فلا يخرج من فيه إلا ما هو حسن وجميل، وهو من صفات أهل الإيمان، حيث جاءت النصوص القرآنية واضحة في ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾ المؤمنون أية1-3.

إن إتيان صفة الإعراض عن اللغو _ وحفظ اللسان باب من أبوابه_ في مقدمة صفات أهل الإيمان هو من باب إدراك طبيعة الإنسان، إذ هو مخلوق ضعيف، وهذا الضعف يظهر في عدة جوانب من شخصية الإنسان، ولا سيما حين تصدر منه فلتات اللسان، وزلات الكلام، " وهذا الضعف ناشئ عن ضعف قدرة الإنسان على الضبط الدائم تجاه دوافع نفسه وغرائزه وشهواته"[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ النساء أية28. فاستحق كل من أحكم ضبط لسانه أن يُدرج اسمه في رأس قائمة الشرف من أهل الإيمان_مع القيام بسائر مطالب الإيمان_.

[1] حبنكة، عبد الرحمن حسن. الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، 370/1.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولذلك فإن حفظ اللسان من أقصر الطرق السلمية لحل مشكلات الأفراد والجماعات، فحين يلتفت المرء إلى أسلوب حديثة وماهية عرضه، وطريقة انتقاء العبارات، وأناقة ألفاظه، فإنه يتجاوز فرص الصدام مع الآخرين، ويفتح مجالا أكبر للتفاهم والتقارب معهم.

وإذا أمعنا النظر في هذه المسألة من خلال المنهج القرآني نجد له منهجا خاصا عند الحديث عن القضايا الشائكة، خاصة تلك التي تتحدث عن وصف العلاقة بين الرجل والمرأة، وقد انعكس ذلك في سورة القصص، حيث نجد فيها أنه قد بلغ الغاية في مراعاة الذوق والأدب، وذلك باستخدام أوفى الأساليب بالمراد والغرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ القصص أية29. حيث أطلق لفظ "الأهل" كناية عن المرأة أو الزوجة، وهو لفظ مستحسن جميل، يضفي على المرأة ستر الهيبة والاحتشام[1] [2].

كذلك نلحظ من خلال توجه موسى عليه السلام في مطالبة زوجته بالمكوث بأنه استخدم معها الضمير المستخدم في مخاطبة الذكور، قائلا لها: "امكثوا" ولم يقل "امكثي"، قال صاحب نظم الدرر:" ولما كان النساء أعظم ما ينبغي ستره، أطلق عليها ضمير الذكور"[3].

---

[1] وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن، حيث جنح عند الحديث عن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة عن ذكر صريح العبارة، إلى ذكر ما يدل عليها على سبيل الكناية والمجاز، فأطلق على الجماع لفظ "المس"، كما هو في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾مريم. أو لفظ "المباشرة"، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴿١٨٧﴾ ﴾ البقرة. روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: المباشرة والملامسة والمس جماع كله، ولكن الله عز وجل يكني ما شاء بما شاء. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، 321/4، رقم الحديث 8380.

[2] عبد الله، عودة عبد عودة. أدب الكلام، مرجع سابق، ص176.

[3] البقاعي، أبو الحسن إبراهيم. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، 1992.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومن صور احتشام الألفاظ الواردة في السورة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ القصص أية24.

فبعد هذا العناء الطويل الذي قطعه موسى عليه السلام من مصر إلى مدين، وبعدما قام به من السقي للفتاتين، آوى إلى ظل شجرة، ثم توجه لخالقه بقوله: "رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير". قاله موسى عليه السلام وقد بلغ به الجوع والتعب كل مبلغ، وعلى الرغم من ذلك، فإنه لم يخاطب ربه بصيغة الأمر، رب أطعمني، رب اسقني..بل إنه عرض حاله على الله تعالى، وترك السؤال، وهذا قمة الاحتشام والأدب في الحديث والمناجاة ولا سيما مع الخالق تبارك وتعالى[1].

وفي صعيد آخر لمسنا مدى قدرة موسى عليه السلام على ضبط لسانه وإحكام سيطرته عليه، وقد بدا ذلك ظاهرا حين تكلم مع الفتاتين بكلام توخى فيه الإيجاز والاختصار، بعيدا عن التفصيل والإسهاب فيما لا طائل من ورائه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ القصص أية23.

ومن صور احتشام الألفاظ انتقاء أعذب الكلمات دون خدش لمشاعر الإنسان وأحاسيسه، يشهد على ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ ﴾ القصص أية25. حيث لم تقل البنت: إن أبي يدعوك لإكرامك أو الإحسان إليك، لأن ذلك بمثابة منة من أبيها عليه، ولكنها قالت له:" ليجزيك أجر ما سقيت لنا" اعترافا منها هو الذي بدأ بالإحسان أولا، وأراد أبوها أن يكافئه على إحسانه هذا[2].

---

[1] المرجع السابق، ص192.

[2] عمارة، محمود محمد. فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 1997، ص78.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الخامس: تنمية خلق التواضع

من مكارم الأخلاق ومحامد السجايا التي دعا إليها الإسلام خلق التواضع، إنه سمة المؤمنين المخلصين، وعلامة واضحة للصفوة من عباد الرحمن الذين أضافهم رب العزة إليه، حيث ذكر أول أخلاقهم أنهم متواضعون في مشيتهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ الفرقان أية63.

إن أهل التواضع هم أحرى الناس بتمكين الله لهم في الأرض، وحبه لهم، فهم مع إخوانهم يتعاملون باللين والرحمة وعدم الاستطالة عليهم، لكنهم يتعاملون بالشدة مع أعدائهم وبلا هوادة[1]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة أية54.

لقد تجسدت قيمة التواضع في شخصية موسى عليه السلام عندما توجه إلى ربه بقول يتضمن سؤالا، قال تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ القصص أية24.

تمثل هذه الصيغة النموذج الأعلى لقيمة التواضع، التي تتمثل في شدة الافتقار إلى الله، حيث يتوجه إلى الله توجه المعدم المسكين، ويسأله سؤال الضعيف الذليل، ويدعوه دعاء من ذلت له نفسه، معترفا بعجزه وفقره.

لا شك أن تواضع العبد بين يدي رب العزة صادر عن شعوره بأنه عبد مملوك لله، وينمي في نفس الإنسان حب الالتزام والانقياد لأوامر الله تعالى، وتزيد من عزيمة الإنسان في العمل على ارتقاء نفسه وتطهيرها من القيم والأفكار والتصورات التي تحمله على عصيان الله ومخالفة أمره.

---

[1] هاشم، أحمد عمر. الإسلام وبناء الشخصية، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1997، ص180.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومن محاسن المواطن التي تجلت فيها قيمة التواضع ما ذكره الله على لسان شيخ مدين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ القصص أية27.

لقد تجلى خلق التواضع في موضعين من هذه الآية، وهما:

1. حين عرض الشيخ إحدى ابنتيه على رجل غريب شريد طريد، بلا مأوى يسكنه، أو مال يملكه، أو عشيرة ترفعه وتعزه.

اجتماع هذه الصفات كلها في شخص تجعل الناس ينأون عنه، ويترفعون عن النسب به _ هذا فضلا عن إقامة علاقة مجردة معه_، لكن الشيخ تواضع لله بسبب ما وجده في موسى عليه السلام من دماثة الخلق، ولم يجد حرجا بأن يزوج ابنته منه، رغم أنها من بيت كريم ذات أدب ونسب.

2. حين تعاقد الشيخ مع موسى عليه السلام للعمل عنده، واعدا إياه ألا يشق عليه، راجيا من الله أن يجده موسى عليه السلام من الصالحين في معاملته ووفائه، وهو تواضع حسن وجميل عند التحدث عن النفس وفي جانب الله، فهو لا يزكي نفسه، ولا يجزم بأنه من الصالحين، ولكنه يرجو ذلك من الله، معلقا ذلك بمشيئة الله وحده[1].

[1] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2688/5.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب السادس: الانتقال من بيئة الفساد إلى بيئة الخير والصلاح

تظهر في كل حقبة زمنية مظاهر الفساد وتشهد فيها المجتمعات حالات مكثفة من الفوضى الأخلاقية وأشكال الانحراف في العقائد والقيم والتصورات، ويمكن أن تعود هذه الحالة إلى أسباب عدة، منها أسباب سياسية، ومنها أسباب اجتماعية، حيث يوفر المناخ الاجتماعي ظروفا مناسبة لتخلف الأمة عقائديا وأخلاقيا.

حين يؤول الحال إلى هذه الوضعية القاتمة وتضعف النظم الاجتماعية عن وضع الأمور في نصابها الصحيح، وتحجم الأجهزة السياسية عن حماية القيم والمثل، إما بسبب عجزها عن ذلك، أو بسبب كونها الجهة التي تقف خلف هذا الترهل الأخلاقي، وضلوعها في أعمال الفساد والتخريب، كما كان عليه الحال في زمن موسى عليه السلام، حيث كان فرعون يعمل على تحطيم القيم والمثل في الحياة العامة والخاصة، وذلك من خلال ما وصفه الله به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص أية4. فحين يقع هذا يصبح الفرد غير آمن على نفسه وما يحمله من عقائد وقيم وأخلاق، عاجزا عن مباشرة عملية الإصلاح، تصبح الهجرة أمرا متعلقا في ذمته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء أية97.

ما تقدم ذكره هو الذي حدا بموسى عليه السلام أن يهجر وطنه وينتقل من أرض إلى أرض بحثا عن بلد تستقر فيه نفسه، وينسجم مع ذاته بما يجده فيها من قيم ونظم قريبة مما يحمله في نفسه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ القصص.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

كما أنه هو السبب الذي جعل قاتل تسعة وتسعين نفسا أن يخرج من بلده التي هي قريةٌ خبيثةٌ، إلى بلد فيها خير وصلاح، حتى تكتمل توبته[1].

المطلب السابع: مراعاة الأدب مع أكابر القوم

اهتمام الإسلام بالآداب في الحياة الخاصة والعامة للمجتمع المسلم حمل علماء المسلمين على تناول هذا الموضوع في مصنفاتهم، وأدرجوها ضمن عناوين خاصة، بل أفردوا لها كتبا تجمع مادته وتفصل أجزاءه، وتوسع مداركه، كما فعل ابن جماعة _على سبيل المثال لا الحصر_، فقد وضع كتابا في الأدب، أطلق عليه اسم "تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم[2].

ومن جملة الآداب الاجتماعية التي حث عليها الإسلام احترام قواعد الأدب أثناء التعامل مع كبار القوم، فهو أصل عظيم وفضيلة سامية، يتسم بها الشخص المسلم في جميع أوقاته ولا تنفك عنه، وهي أساس هام في توثيق العلاقات الطيبة وتوسيع دائرة المحبة بين الناس، وبانعدام هذا الخلق تنفصم عرى المحبة بين الناس، وتتباعد فرص التآلف والوحدة فيما بينهم، وتجعل شبكة العلاقات الاجتماعية عرضة لاقتحام الضعف والوهن .

---

[1] قال ﷺ: ﴿ كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا، ثم خرج يسأل، فأتى راهبا فسأله، فقال له: هل لي من توبة؟ قال: لا، فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينها، فوُجد إلى هذه أقرب بشبر، فغُفر له﴾ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: 4، 179/54، رقم الحديث 3470.

[2] الكناني، ابن جماعة. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من خلال تلمس سورة القصص نجد مدى اهتمامها في إبراز هذه العروة من منظومة الأخلاق العامة، وذلك من خلال أسلوب حديث البنت مع أبيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ القصص أية26.

حيث أظهرت التلطف أثناء حديثها مع أبيها الذي هو شيخ كبير، وذلك بقولها "يا أبت" وهي كلمة طيبة، فيها تأليف لقلب الكبير وجذب انتباهه.

ومن هذا القبيل جاء حديث امرأة فرعون مع زوجها فرعون، حيث تمكنت من استمالة قلبه وكسب عاطفته عندما راعت هذا الجانب في حديثها معه، والتي تتناسب مع مقامه، كزوج أولا، وكشخصية ذات وزن في مجتمعه المصري ، فهو كبير القوم وسيدهم، ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص أية9.

حيث استهلت حديثها بأدب ولباقة، "قرت عيني لي ولك"، ثم تحدثت إليه بصيغة الجمع المخاطب، "لا تقتلوه"، وليس بصيغة المفرد المخاطب، كأن تقول له: "لا تقتله"، وهي لمسة أدبية ينبغي أن تراعى أثناء الحديث مع كبار القوم.

ومن صور احترام الكبير قضاء حاجته، ومعاونته على أداء بعض أعماله والتخفيف عنه في بعض مهامه الخاصة، ولا سيما حين يعجز عنها، وهو ما دفع الفتاتين إلى القيام بسقي الأغنام، وهو عمل نابع من خلال الإحساس بالواجب نحو الكبير، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ القصص أية23.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ممارسة هذا السلوك الأدبي مع الكبير له فوائد جمة، منها:

1. إن انتشار موجة الأخلاق الفاسدة في أوساط النشء تعود إلى أسباب عدة، ومن جملتها عدم إعطاء الكبير حقه من الاحترام والاهتمام والتقدير، إذ كثيرا ما يتجاهل النشء أقوال الكبير، وينظرون إليها نظرة استخفاف وازدراء، والنتيجة وقوع مزيد من المخالفات الاجتماعية وحدوث خروق للقواعد الأخلاقية.
2. يعمل على التقريب بين عالمين مختلفين؛ عالم الكبير وعالم الصغير، الأمر الذي ينعكس إيجابا على كليهما.
3. الحاجة إلى الاحترام حاجة أساسية في شخصية الإنسان، فإشباع هذه الحاجة يُشعر الكبير بمدى قيمته ومركزه الاجتماعي، الأمر الذي يدفعه نحو العمل والإبداع والإنجاز.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني: وسائل البناء الخلقي

إن بناء منظومة خلقية قائمة على ترسيخ أعظم قيم النبل عملية تحتاج إلى وعي رزين ووسائل يتناسق بعضها مع بعض، وتبلغ درجة عالية من القوة والتأثير بشكل تبلور ثقافة العيش الكريم، والحياة الطيبة.

في اعتقادي أن المنهج الرباني هو المنهج القويم الذي يستعلي بوسائله وأدواته فوق العقل البشري، وحدود طاقته الفكرية والعقلية، وهو المنهج الأمثل الذي يبصر الناس ويرشدهم إلى الطرق التي ترفع من كفاءتهم الخلقية وتزيد من فاعلية الإنسان في مواجهة التراجع الأخلاقي وآفات الواقع.

إن العالم اليوم يعيش أزمة حقيقية في عالم القيم والمثل لم يسبقها مثيل، فهو أحسن _ بشكل نسبي _ في وضع بعض مبادئ جزئية في القيم والأخلاق، لكنه _ إضافة إلى ذلك _ لم يهتد إلى الوسائل والأدوات الرئيسة التي توصله إلى تحقيقها، فهو يضع النظريات تلو النظريات وسرعان ما ينقلب عليها، بعدما يثبت له عدم جدواها على أرضية الواقع، حتى أصبح الإنسان أشبه بريشه تحملها الريح تارة ذات اليمين وأخرى ذات الشمال، لا يهتدي إلى شيء.

وفي هذا المطلب إن شاء الله سيتم عرض بعض الوسائل والأدوات التي تساهم في تحقيق غايات البناء الخلقي كما أظهرته سورة القصص، وذلك وفق ما يلي:

المطلب الأول: توفير بيئة القسط والعدل.

المطلب الثاني: تعديل المسار بعد ارتكاب الخطأ.

المطلب الثالث: التربية على الخشونة والبعد عن الترف.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الأول: توفير بيئة القسط والعدل

من المعروف أن العدل يُعد لدى كل شعوب الأرض والحضارات القديمة والحديثة قيمة من القيم الكبرى التي ينبغي على الإنسان أن يسعى إلى تحقيقها في العالم من أجل خير الإنسان وسعادته، فالإنسان بأصل فطرته يميل إلى العدل وينفر من الظلم، وبدونه لا يمكن للإنسان أن يحيى حياة حقيقية[1]، ولذلك جاء أمر الله صريحا بإقامة العدل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأعراف.

فالعدل أساس متين لتعزيز القيم في عصب الأمة، وقد يكون من أعظم الدلالات على مدى الاقتران بين العدل والنظام الأخلاقي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل أية90.

حيث قرن الله بين العدل كنظام اجتماعي تخضع له سلوكيات الفرد والجماعة، ويجعلها تتفاعل مع بعضها بتوازن واتساق دون أن يطغى أحدهما على الآخر، وبين الإحسان كقيمة خلقية تشمل محيط الحياة كلها، سواء في علاقة العبد بربه، أو أسرته، أو جماعته، أو علاقته بالبشرية جمعاء[2].

كما ربط القرآن بين العدل والمستوى الحضاري للمجتمعات، فشيوع علاقات العدل ورسوخها ثمرته النضج الفكري والتقدم الحضاري ضمن مظاهر الحياة كلها، وفي حال غياب العدل يشهد العالم حالة من التراجع الفكري والحضاري في شؤونه كله[3]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ

---

[1] أحمد، فتحي السيد عبده. الإسلام والعدالة الاجتماعية، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، (د.ت)، ص32.

[2] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2190/4.

[3] الكيلاني، ماجد عرسان. فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، 170.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍۖ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ النحل أية76.

فهذا المثل ضربه الله من واقع حياة الإنسان، إذ يصور الله فيه الرجل الآمر بالعدل، فهو عامل مستقيم على الخير، والرجل الأبكم الضعيف البليد الذي لا يدري شيئا ولا يعود بخير[1].

أما الرجل الأول فهو حال المجتمع الإنساني حين تسوده قيم العدل، فتنظم أموره وتسوس أحواله وتدير مؤسساته في مختلف الأصعدة؛ المحلية والدولية، فهو مجتمع حضاري في مجالاته المختلفة، ففي المجال الإنساني تنهض فيه إعمال المؤسسات العاملة لرعاية حقوق الأيتام والأرامل والمشردين واللاجئين وذوي الظروف الصعبة.

وفي المجال الإنتاجي تُطرح فيه برامج لبناء أخلاق وسلوكيات ترفع مستوى الإنتاج، وتوفر فرص العمل للجميع، وتدعم حقوق العامل وأرباب العمل، وتحارب الغش والاستغلال والاحتكار.

وفي المجال العلمي تتوافر فرص التعلم للجميع، ويُهتم فيه بتحسين الوعي بمستجدات الواقع لكافة الشرائح الاجتماعية[2].

أما الرجل الثاني الذي تطرحه الآية وهو الرجل الأبكم الضعيف، فهو يمثل المجتمع حين يشيع فيه الظلم والتسلط في مؤسساته الإدارية والاجتماعية والسياسية، وتجف فيه مفاهيم العدل من نظمه التربوية، ونتيجة لذلك كله تتحطم فيه المساواة في كافة الأطر الحياتية، حتى يصبح مجتمعا عاجزا، وفي أي مجال يُوجه لا يأتي بخير[3]، وعلى رأس ذلك المجال الأخلاقي، حيث تشيع فيه أعمال الغش والاستغلال، وتنتشر فيه مظاهر العنف والبطش، وتنمو فيه الفوارق الطبقية، وتصبح نظرة الازدراء للأجناس الأخرى أمرا مستساغا.

---

[1] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2184/5.

[2] بكار، عبد الكريم. تجديد الوعي، دار القلم، دمشق، ط1، 2000، ص 216-217.

[3] الكيلاني، ماجد عرسان. فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، 171.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

هذه القيم وغيرها قد أفرزتها أنظمة الحكم الفرعوني، فعندما جف مفهوم العدل في البيئة الاجتماعية، وغابت معايير القسط والإحسان، ظهر البغي والفساد، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴿٧٦﴾ ﴾ القصص. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص أية77. والتطاول بنعيم الدنيا على الآخرين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ القصص أية79. وازدادت الفوارق الطبقية اتساعا بين الأفراد، حتى انتشر فيهم داء التعلق بالدنيا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ القصص أية79.

وعلى الصعيد الآخر ظهر الاحتراب الداخلي، وانتشر العنف بين الأفراد، بعد أن غابت قيم المحبة والتعاون، لدى طائفة منهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ القصص أية19. وتتزايد حملات هجرة ذوي العقول الحرة والأخلاق السامية بحثا عن ملاذ آمن وعادل يحفظ لهم وجودهم، ويصون أعراضهم ودماءهم، كما حدث مع موسى عليه السلام، حين هاجر من مصر إلى مدين، فارا من الظلم.

من خلال هذا العرض يتبين لنا أنه كما لا مجتمع بلا نظام، فإنه لا أخلاق بلا عدالة، فالارتباط وثيق بين الأخلاق والعدالة، وفي حال ظهور العدالة وانتشارها في كافة المؤسسات تنتظم أمور المجتمع، ويختفي مجال الجريمة، ويشعر الفرد بكرامته، فلا يكون عرضة للاستغلال، ويُفتح له المجال للمساهمة في البناء والإصلاح.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الثاني: تعديل المسار بعد ارتكاب الخطأ

من الأمور المتفق عليها شرعا وعقلا أن الإنسان مخلوق ضعيف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ النساء أية28.

هذا الضعف صادر عن طبيعة خلق الإنسان، حيث فطره الله وجعل إرادته بين كفتي ميزان، تميل أحيانا إلى ذات اليمين وما يرضي الرحمن، وأحيانا تميل ذات الشمال، وذلك عندما تنزع إلى الشر والعصيان.

أما ميل الإرادة نحو اليمين فيكون حين تقوى فيه دوافع الخير، وينشط فيه عمل العقل، فيدرك الحق والباطل، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة، ويبصر ما يؤول إليه كل من الضدين، فيحمله ذلك على إتباع الخير والفضيلة، مستبصرا بعقله، ومسترشدا بتوجيهات الله التي تتضمن الوعظ والوعد والوعيد، ثم التجارب الشخصية والدروس المستفادة من الحياة الواقعية .

وأما ميل الإرادة إلى ذات الشمال فيكون حين تقوى دوافع حب الاستقلال الذاتي وحب الخروج عن الطاعة، أو حين يجنح به الهوى لتحقيق مطلب دنيوي يعجز عن تحقيقه إلا بارتكاب السيئات، أو بسبب نفس أمارة بالسوء، أو شيطان يسول له[1].

ولما كان الإنسان معرضا للميل ذات الشمال استدعى ذلك إيجاد قاعدة تربوية تمنح الإنسان إمكانية تعديل ميل كفة الإرادة، وتوجه سلوكه نحو الحق والعدل والفضيلة، حتى ينسجم مع مطالب عقيدته، ويحافظ على صفاء روحه ووجدانه، وهذا ما سنبينه من خلال ما يأتي:

---

[1] حبنكة، عبد الرحمن حسن. الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، 165/1.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أولا: محاسبة الذات بعد ارتكاب الخطأ

امتازت الشريعة الإسلامية في صدد معالجتها لمظاهر الانحراف الأخلاقي بأمرين أساسيين، وهما:

- تعميق الشعور بمراقبة الله تعالى.

- تعميق الشعور بالإحساس بالذنب ومحاسبة النفس عليه.

ومن خلال هذين الأساسيين يستطيع المرء أن يحافظ على صفاء نفسه واستقامة سلوكه، وكف ذاته عن مقارفة دائرة الإثم والعدوان، حتى يكون ضابطا لمختلف الأنشطة والسلوكيات الصادرة عن جوارحه، ويتحرك ضمن الأطر المسموح بها.

لا يمكن لأي مجتمع الوصول بمجموع أفراده إلى أقرب نقطة من القيم والمثل العليا إلا حين يُخضع أفراد هذا المجتمع نفوسهم للمساءلة الذاتية في ضوء المفاهيم والأحكام الشرعية، التي لم تترك أمرا إلا بينت ما فيه من مصالح أو مفاسد، ووجوه نفع أو ضرر، وخير أو شر.

حين يدفع الإنسان نفسه لهذه المساءلة ويسبر أعماق الفعل الذي ارتكبه، مستعينا بما يحمله من مضامين وقيم إسلامية، فإنه سيقف على مواطن الخلل في العمل الذي ارتكبه، وحجم الضرر الذي أوقعه، عندئذ يكتسب طاقة تحركه من أجل تعديل المسار، وهو ما سار عليه نهج الصحب الكرام، فاندفع بذلك طابع الظلم والعدوان عن مجتمعهم، وأصبح مجتمعهم مجتمع التراحم والتناصح والتعاون، ومثال ذلك.

قال ابن عباس ﷺ:﴿ قال النبي ﷺ لأصحابه يومئذ _يوم بدر_: إني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم قد اخرجوا كرها، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله_ وعدّ النبي ﷺ رجالا منهم العباس بن عبد المطلب_، فإنه إنما خرج مستكرها، فقال أبو حذيفة ﷺ: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس! والله لئن لقيته لألحمنه السيف، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص، _ قال عمر: والله إنه لأول يوم

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص _، أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف، فقال عمر: يا رسول الله، دعني لأضرب عنقه بالسيف، فلقد نافق، فكان أبو حذيفة ﷺ يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيدا﴾[1].

من خلال ذلك المثال يتضح لنا أن مساءلة النفس ومحاسبتها يعملان على تعديل أوضاع الإنسان، ومداركة التقصير الذي وقع به، وتجعلانه يبتعد عن الأعمال التي تسبب له المتاعب، ويفعل ما يصب في مصلحته ومصلحة المجتمع معا.

وقد لمسنا من خلال سورة القصص ما يؤكد الذي سبق، وذلك حين دخل موسى عليه السلام المدينة، ووجد فيها رجلين يقتتلان، فوكز أحدهما، فأرداه قتيلا، وهنا أحس موسى عليه السلام بخطئه، ووقع في حمأة الشعور بالذنب، فأدرك حجم الخطأ الذي وقع به، فتوجه إلى ربه ضارعا مقرا بما جنته يداه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ القصص أية16.

هذا الاعتراف إنما هو ناشئ عن محاسبة النفس الذي هو أشبه بالضوء الذي يرسل شعاعه إلى الطريق ليتفادى الإنسان استمرار وقوعه في الخطأ، ويحرضه على النهوض بعد كبوته، ليواصل سيره في طريق الهدى والاستقامة[2].

---

[1] ابن هشام، أبو محمود عبد الملك. سيرة النبي ﷺ، تحقيق محمد عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 269/2.

[2] هاشم، أحمد عمر. الإسلام وبناء الشخصية، مرجع سابق، ص74.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثانيا: الاستغفار بعد الوقوع في الخطأ

الإنسان مفطور على الضعف، وهو معرض للخطأ، وقد جعل الله تعالى في النفس البشرية القدرة على إدراك أخطائها ومحاسبتها، ليكون ذلك حافزا لها على التحرر منه شعورا، وذلك عن طريق الاستغفار، والتحرر منه حقيقة وفعلا، وذلك بهجر العمل وعدم العودة إليه.

فالاستغفار ينم عن اعتراف بالخطيئة، مع التوحيد، مضافا إليه الرغبة في التحرر من مشاعر الذنب والقلق المرتبطة به، وعقد النية على التخلي عن الذنوب والمعاصي، والندم على ما فات[1]، وهذا هو مناط رحمة الله، وسبب لنزول مغفرة الله على العبد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ آل عمران أية135-136.

يعد الاستغفار مطلبا أساسيا بعد ارتكاب المعصية، كوسيلة مهمة في تعديل السلوك المنحرف إلى سلوك سوي صالح، وقد ذكر الله في معرض المدح استغفار أدم وزوجه حواء بعدما ظلما أنفسهما، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ الأعراف أية23.

كما وتكمن أهمية الاستغفار بأنه يحافظ على صفاء التوحيد لله، ذلك أن العبد عندما يذنب الذنب فإنما ذلك بسبب طاعته وخضوعه للهوى، الذي بلغت خطورته بأنه اُتخذ إلها من دون الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الجاثية أية23.

---

[1] النل، شادية النل. الشخصية الإسلامية، مرجع سابق، ص349.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولهذا جاء الاستغفار مقترنا مع التوحيد في مواطن كثيرة من القرآن[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ محمد أية19.

كذلك تتجلى أهمية الاستغفار بأنه وسيلة هامة من وسائل العلاج النفسي، لأن الذنب قد يتحول إلى مرض نفسي، يصبغ الشخصية بالحزن والقلق والكآبة بسبب ما اقترفت من ذنب، فالتوجه إلى الله بطلب العفو والغفران يزيل ما في النفس من مخلفات المعصية، كعقدة الشعور بالذنب، وسيطرة مشاعر الإثم والخطيئة، فتستعيد النفس البشرية صفاءها وإشراقها، ويسبب لها حالة من الهدوء والسكينة[2].

ومن هنا نلمس بعضا من الأسرار التي جعلت موسى عليه السلام يلجأ إلى الله بطلب العفو والمغفرة فور تسببه بقتل نفس خطأ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ القصص أية16.

ولهذا عندما أحس موسى عليه السلام بفوائد الاستغفار ودوره في تطهير النفس من مشاعر الذنب، وما سكبه فيه من لذة الهدوء والسكينة وإعادة التوازن له، لهج لسانه شاكرا الله على هذه النعمة العظيمة، معترفا بفضله ونعمته عليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ القصص أية17.

---

[1] ابن تيمية، أحمد بن تيمية الحراني. مجموع الفتاوى، مرجع سابق، 154/10.

[2] النل، شادية أحمد. الشخصية الإسلامية، مرجع سابق، ص349.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثالثا: الإصلاح بعد ارتكاب الخطأ

حصول الوعي لدى الإنسان ببعض أبعاد ما ارتكبه من خطأ، وإحساسه بحقيقة ما جناه بيده، حيث أتى عملا لا يتلاءم أحيانا مع السلوك القويم لهذا الإنسان، حيث أراده الله ليؤدي رسالة نشر قيم الخير والفضيلة في أنحاء الأرض، ويقف حاجزا منيعا في وجه قيم الشر والرذيلة، هذا الوعي يفتح للإنسان مجالا لتجديد مسيرة الإصلاح وبذل الجهد لاستئناف أعمال الخير.

من الطبيعي أن يخفق الإنسان في بعض محطات الحياة، لكن ذلك لا يعني توقف مسيرة البناء الأخلاقي والحضاري، فالانسياق خلف الأفكار السلبية التي تبعث في روع الإنسان اليأس والإحباط، والتي توحي إليه بعدم إمكانية النهوض من جديد، أمر يتنافى مع المنهج الرباني الذي حدد المنهج السليم في التعامل مع الخطأ.

إن أفضل الطرق العلاجية التي طرحها القرآن لا تقتصر على جعل الخطأ أمرا حتميا قد جُبلت عليه فطرة الإنسان فحسب، بل جعل الخطأ جسر عبور لعالم الفضيلة، ووسيلة للتقدم والإصلاح الخلقي في حياة الإنسان، بمعنى أن الإسلام قد استطاع بسمو تشريعاته ورقي تعاليمه استثمار مواطن الخلل التي أصابت جانبا من جوانب حياة الأمة، ليكون سبب نهوض وارتقاء لها في جانب آخر.

هذه الحقيقة الناصعة قد ظهرت من خلال موقف الخطأ الذي وقع فيه موسى عليه السلام، فبعدما أن أقدم على قتل القبطي، وتوجه إلى ربه سائلا منه العفو والمغفرة، ثم شعوره بقبول الله له، صدع بقوله،﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ القصص أية17.

هذا التحول من سلوك غير سوي (قتل النفس) إلى سلوك سوي (عدم مناصرة أهل الإجرام) هو عامل مهم في إعادة الاستقرار النفسي، والارتقاء به من جديد، كما تظهر فائدته في تطهير النفس من أمراضها وقمعها عن مواصلة الشر، ويساعد على إعادة الثقة إليها، فإذا كان الخطأ قد

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أفقد المرء ثقته بنفسه وكشف له عن قصوره وعجزه، فالإصلاح يعيد لها الثقة بقدرتها على التقدم والانجاز المحمود.

المطلب الثالث: التربية على الخشونة والبعد عن الترف

يهتم الإسلام بشكل بالغ بتحصين الإنسان من كل ما يخل في دينه أو يقدح في مروءته، ويعمل على دفع العوامل التي تسلب منه إنسانيته وترديه إلى حياة الأنعام، ويقف على رأس هذه العوامل الخضوع لمظاهر الترف والنعيم في الدنيا.

حين يغرق الإنسان في شهوات الحياة يعدم شخصيته الإنسانية وتنطمس بصيرته في رؤية الحقائق والأشياء، وتتملكه النزوات الهابطة لتمييع أخلاقه، وصرفه عن قيم العفة والطهر إلى ظلمات الفاحشة كما حدث في المجتمعات السابقة والمعاصرة.

لقد أكد القرآن على وجود ارتباط قوي بين الانحراف وشيوع ظاهرة الترف بين أفراد المجتمع، ومن هذه الشواهد ما ذكره القرآن عن امرأة العزيز التي راودت يوسف عليه السلام عن نفسه، حيث صورت لنا ضعف الجنس البشري أمام انفتاح الحياة المادية، حيث حياة القصور وطوفان المال ورجال البلاط، وهذا يمثل طاقة هائلة يجذب معاني الخلق القويم إلى مستنقع الرذيلة، ويدمر البشرية بما يشيعه من فسق وفجور.

يكمن سبب الضعف في قدرة الحياة المترفة على تحويل الوسائل في الحياة إلى غايات، فالمال الذي هو قوام العيش ووسيلة لسد وجوه العوز وجوانب النقص للمجتمع يصبح في الحياة المترفة غاية تحمل الإنسان على ممارسة البغي والعدوان في سبيل جمعه، واستفزاز مشاعر المحرومين من خلال إقامة الموائد الفاخرة والتباهي بالسلطان والثراء، كما فعل قارون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ القصص أية79.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومشاعر الصلة بين الجنسين الذكر والأنثى التي جعلها الله وسيلة الالتقاء بينهما، فيلتقي الطرفان تحت سقف الزوجية وفق أسس صحيحة، ينتج عنها فيما بعد السكون النفسي والاستقرار العاطفي والتماسك الأسري، تصبح هي الأخرى _المشاعر_ وسيلة للحصول على المزيد من المتعة بالزنا والسفاح.

ومن هنا وجدنا أهمية انتقال موسى عليه السلام من بيئة البذخ التي أحاطت به أثناء وجوده في قصر فرعون إلى بيئة الحياة العادية بمنتهى واقعيتها، بما فيها من كد وعنت وخشونة، فيتفاعل معها جميعا تفاعلا يصقل شخصيته، وينمي قدراته ومواهبه، وتجعله أكثر اعتمادا على قواه الذاتية، فعندما رحل من مصر إلى مدين كان وحيدا فريدا بلغ به الجوع كل مبلغ، خائفا على نفسه، مما دفعه للبحث عن ملاذ آمن.

فهذا المشهد يعتبر مسؤولا عن بناء صورة للشخصية التي لا تبطرها الحياة، وتكتفي بأقل نصيب من متاعها وزخرفها، وتقاسي الظروف والأحوال، فتقوى بذلك عزيمتها، وتستعلي فوق الميول النفسية وشهوات الحياة، وتثبت أمام النوازع والدوافع.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الخامس: البناء الاجتماعي

وفيه

المبحث الأول: أهداف البناء الاجتماعي

المبحث الثاني: وسائل البناء الاجتماعي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تمهيد

كانت البشرية قبل بعثة النبي ﷺ تعاني من حالة التشرد والضياع، إذ هبطت معاني الإنسانية إلى أدنى مستوياتها، حيث فقد الإنسان وجوده الحقيقي وأصبح قريبا من عالم البهائم، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾الفرقان أية44.

وهي نتيجة طبيعية يصل إليها المجتمع عندما يعدم صلته بخالقه ويبتعد عن توجيهات الوحي ورسالة السماء، الأمر الذي يعني عدم قدرة الإنسان على التمييز بين الخير والشر، والحسن والقبيح، والحق والباطل، فتختفي عندئذ معايير الخلق والمروءة، ويصبح كل شيء في الوجود الإنساني خاضعا لقانون "الغاية تبرر الوسيلة"، وهذا بدوره كان له أثره الكبير في تكريس فكرة الانقسام الاجتماعي وإحداث حالة من التفسخ في النسيج الاجتماعي، حتى بدت ملامح هذا التفكك والانفصام تظهر شيئا فشيئا، إلى أن انتهى ذلك الأمر بأن يقتل الرجل ابنته ويستحوذ على زوجة أبيه ويتملكها كما يتملك المتاع، وأصبحت القبائل لا تفهم إلا لغة الحرب والسلاح.

هذه الظروف جميعا استدعت تغييرا شاملا يطال الحياة الاجتماعية برمتها، فكان المنهج الإسلامي خير سبيل لولادة مجتمع ينعم بالرفاه الاجتماعي والاستقرار الحياتي.

وهنا سيقوم الباحث بعرض أسس هذا المجتمع كما تصوره سورة القصص، وذلك من خلال المطالب التالية:

المبحث الأول: أهداف البناء الاجتماعي.

المبحث الثاني: الوسائل في نطاق التماسك الأسري.

المبحث الثالث: الوسائل في نطاق التماسك الاجتماعي

وبناء عليه فإن هذا الفصل يجيب عن السؤال الآتي:

ما الأهداف التربوية للبناء الاجتماعي، وما وسائله كما تشير إليه سورة القصص؟

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: أهداف البناء الاجتماعي

يسعى الإسلام في معظم تشريعاته إلى السمو في البناء الاجتماعي، وصيانته من المـــؤثرات الخارجية التي تعمل على تقويض أركانه وهدم بنائه، باعتبار أن الدين لا ينهض على مجموعة من الأفراد، اضطربت بهم الأفكار وتشعبت بهم الطرق والمذاهب، فمن أجل تحقق عملية النهوض لا بد من وجود المجتمع الذي يسمو في بنائه الاجتماعي الذي ينعكس من خلال انتظام أفراده حول مفاهيم وقيم مشتركة، والتزامهم بمسار واحد يحكم مجريات الحياة، وينظم أسلوب العيش بيـــنهم، وأنمـــاط السلوك التي يمارسونها، سواء في نطاق الأسرة بصفة خاصة، أم في نطاق المجتمع بصفة عامة.

وفي هذا المطلب سيقوم الباحث بعرض أهداف البناء الاجتماعي، وهو يتمثل فـــي أمـــرين أساسيين، هما:

المطلب الأول: تحقيق التماسك الأسري.

المطلب الثاني: تحقيق التماسك الاجتماعي.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الأول: تحقيق التماسك الأسري

مفهوم التماسك الأسري: نقصد به تنظيم الأنماط السلوكية للأفراد داخل الأسرة الواحدة، بحيث تعمل مع بعضها البعض بتوافق وانسجام، ودون الخروج عن النظام العام للأسرة.

لا خلاف بين علماء الاجتماع والتربية قديما وحديثا أن الأسرة عماد المجتمع، وقاعدة الحياة الإنسانية، وأنها إذا أسست على دعائم راسخة وشيدت أركانها وفق قاعدة الحقوق والواجبات فإنها تكون لبنة قوية في البناء الاجتماعي[1].

ولما كان من مقتضيات وجود الأمة القوية بناء الأسرة القوية في تماسكها، حيث أنهما يرتبطان معا في الوجود والعدم، حاول فرعون تدمير الأسرة، وإلغاء دورها ورسالتها، والقضاء على إنتاجها، ضمانا لاستمرار فساده، ولكنه في العواقب النهائية أوتي من قبل الأسرة[2]، وذلك بفضل تماسكها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص أية4.

إن ضمان وجود الأسرة المتماسكة يتطلب بناء علاقات أسرية متينة تغمرها المحبة والتفاهم والتعاون والسعادة، إذ بوجود هذه العناصر يحصل التماسك الأسري.

وفي سورة القصص تظهر ملامح التماسك الأسري من خلال علاقة الحب والحنان التي تربط بين موسى عليه السلام وأمه، حيث بلغت قوة الترابط إلى أن أصبح قلبها فارغا بعد أن ألقت به في اليم، بل لم تعد تطق ألم هذا الفراق حتى كادت أن تبدي أمام الملأ ما فعلته تجاه ولدها،

---

[1] جابر، أمينة. التفكك الأسري الأسباب والآثار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عدد 83، جمادى الأولى، سنة 1422، ص39.

[2] التل، شادية، وآخرون. التفكك الأسري، دعوة للمراجعة، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، رمضان، عدد 85، السنة 21، ص18.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ القصص أية10.

كذلك تظهر ملامح هذا التماسك من خلال حالة التعاطف التي سادت أفراد الأسرة، حيث تجسد عمق الصلات الاجتماعية ودفء العلاقات بينهم، وذلك باستجابة أخت موسى عليه السلام طلب أمها، فجدّت في البحث عن أخيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾القصص أية11.

فحصول هذه الألفة بين أفراد الأسرة ابتداء من قمة الهرم "الأم" وانتهاء بقاعدته "الأولاد"، ثم قيام كل طرف بكامل دوره تجاه الأخر، يقود ذلك إلى نجاح عظيم في البناء الأسري المتماسك الذي ينتج عنه ما يلي:

- انسجام أفراد العائلة الواحدة.
- تعاون الأسرة الواحدة على اختيار وتبني بعض المعايير المقبولة دينيا واجتماعيا.
- حماية أفراد الأسرة من الوقوع فريسة التشرد والضياع والانحراف.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الثاني: تحقيق التماسك الاجتماعي

يراد بالتماسك الاجتماعي ذلك الوصف الذي ينطبق على مجموعة من الأفراد، تربط بينهم روابط اجتماعية ودينية وحضارية مشتركة، ويظهر ذلك من خلال عمق الولاء بين أفراد المجموعة الواحدة أو المجتمع الواحد[1].

يقف التماسك الاجتماعي في أعلى سلم أولويات الدين ومصالحه، لما له من آثار إيجابية في حياة الأمة، فهو بمثابة علامة على صحة الأمة وعافيتها، حيث تنعم الأمة بظلاله، وتواجه الصعوبات بكفاءة، وتقل فيها فرص الفشل والهبوط، وتنشط فيها همم أفرادها في مجالي التطوير والتصنيع، مما يؤدي إلى ازدهارها.

لأهمية هذا الجانب ندبت الشريعة الإسلامية المسلمين إلى أداء مناسك العبادة ضمن أطر جماعية، وشجعت على ذلك من خلال مضاعفة أجور الأعمال، في محاولة لترسيخ قيمة التماسك الاجتماعي، قال ﷺ:﴿صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة﴾[2] .

لقد انعكس التماسك الاجتماعي في سورة القصص بعدة صور، نذكر منها على سبيل المثال استقبال شيخ مدين موسى عليه السلام في بيته، واستماعه له، وإظهار التعاطف نحوه، ومحاولته تسلية قلبه وطمأنته، ولا شك أن حسن معاملة الغريب وإكرامه هي علامات بارزة على هذا التماسك، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ القصص أية25. وكذلك في

---

[1] http://www.annabaa.org/nbanews/64/170.htm .

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأذان، باب: فضل صلاة الجماعة، 1/ 179، رقم الحديث 645، ومسلم في صحيحه، كتاب: المساجد، باب: فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، 152/5، رقم الحديث 245.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني: الوسائل في نطاق التماسك الأسري

من المتفق عليه أن الأسرة هي اللبنة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع البشري، فبدون الأسرة تنعدم الحياة الاجتماعية وتتفكك أوصال المجتمع، لذا كان الإنسان مطالبا للحفاظ على تنمية الأسرة وتقوية الوشائج بين أفرادها وتحصينها من أشكال الضرر التي يمكن أن تلحق بها، شريطة أن يتم ذلك وفق خطوات واعية وأسس صحيحة درءا لوقوع نتائج عكسية.

ومن هنا كان لا بد من وضع رؤية تربوية تعمل على تعديل أداء أفراد الأسرة مع بعضهم بعضا، وتحديد أدوار الشخصيات فيها، وفتح قنوات الاتصال التي تتسم بالفاعلية والإيجابية بين جميعهم، وذلك لإحداث التماسك الأسري المنشود، ومما يزيد من تعزيز هذه الرؤية كونها تستند على توجيهات القرآن الكريم، التي يمكن استشفافها من خلال استقراء آيات سورة القصص.

وفيما يلي عرض الأسس التي يتم من خلالها تعزيز قيم التماسك الأسري.

أولاً: رعاية الولد وأداء حقه

يسعى الإسلام إلى حماية الأسرة من عوامل التفكك والانهيار وتقوية أواصرها من خلال غرس قيمة تربوية مهمة في الجسم الأسري، ألا وهي الشعور بالمسؤولية، ولا سيما مسؤولية الوالدين تجاه أبنائهم، فوجود هذا الحس هو المطلب الأول الذي به يتحقق التماسك الأسري، التي ستكون فيما بعد سببا من أسباب عمارة الأرض والنهوض بالمجتمع الإنساني.

ومن هنا تنشأ الحاجة إلى رعاية الولد وأداء حقه كونه طريقا إلى المحافظة عليه وتنشئته التنشئة السوية التي تحفظ له حدا أعلى من الاستقرار والانسجام والتوافق النفسي، وهو ما أوجبه

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

النبي ﷺ:﴿ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها﴾[1].

لقد أبرزت سورة القصص بعضا من جملة حقوق الولد على والديه، يمكن إيجازها بما يلي[2]:

1. **الشعور النفسي نحو الولد:** وهو إبراز ما أودع الله سبحانه وتعالى في قلب الأبوين من حب وعاطفة ورحمة نحو أولادهما، والحكمة في ذلك هي أن عدم توافر هذا العنصر العاطفي سيؤول فيما بعد إلى انقراض العنصر البشري على وجه الأرض، خاصة أن مسؤولية تربية الولد ترافقها متاعب جمة، مما يسبب ثقلا عظيما على كاهل الوالدين، فيتوقفان عن إنجابهم.

ومن هنا برز التصوير القرآني الذي يعكس لنا حقيقة هذا الشعور النفسي لدى أم موسى، ضمن صورة متعددة، منها:

أ. **شدة التعلق بالولد:** فمن شدة وُجدها عليه وتعلقها به تعلقا عاطفيا ملك شغاف قلبها أنها كادت في لحظة من اللحظات تبدي به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾القصص أية10.

ب. **الاهتمام بالولد وإبعاده عن مصادر الخوف:** فالخوف حالة نفسية تعتري الصغار والكبار، والذكور والإناث، وإذا تجاوز الخوف حدوده الطبيعية فقد يؤدي إلى قلق نفسي معقد التركيب[3]، لذا لا بد من معالجة ظاهرة الخوف عن طريق إبعاد الولد عن مصادره، حتى يحصل له الشعور بحالة الأمن النفسي، ويتاح له الاندماج بشكل طبيعي وصحيح في

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: المرأة راعية في بيت زوجها، 3/ 184، رقم الحديث 5200. ومسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل.. 417/12، رقم الحديث 4701.

[2] للتعرف على مزيد من هذه الحقوق راجع علوان، عبد الله ناصح. تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، 39/1 وما بعدها.

[3] علوان، عبد الله ناصح. تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، 237/1.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المجتمع، وهو ما فعلته أم موسى عندما شعرت بتهديد حقيقي لحياة ابنها موسى عليه السلام، فقامت بإبعاده عن مصدر الخوف وإلقائه في اليم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص أية7.

ج. **تفقد أحواله وتقصي أخباره:** حيث يجب ملاحظة الولد في حضوره وغيابه، وعدم تركه هملا، لئلا يقع فريسة التشرد والضياع، ولا سيما عندما يغيب الولد عن أنظار والديه وحدود بيته، إذ يكون في هذه الحالة أشد عرضة لرفقاء السوء، واعتداء الأشرار، والاستغلال وسوء المعاملة، ومن أجل تحصينه من هذه العوامل جميعا كان لا بد من وجود العين الساهرة والقلب اليقظ نحوه، سواء كان في سفره أو حضره، أو حضوره أو غيابه، فإنه أجدر أن يحفظ له دينه ونفسه وخلقه، وهو ما قامت به أم موسى، حيث أرسلت أخته لتقصي أخباره عن بعد،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾القصص أية11.

د. **إظهار الحب والبشاشة للولد:** برز هذا الشعور النفسي عندما عاد موسى عليه السلام إلى أمه بعد غياب طويل، حيث رافقت هذه العودة فرحة عظيمة غمرت قلب أمه، وبددت مشاعر الحزن لديها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ القصص أية13.

2.**الرعاية الصحية:** يقصد بها رعاية أجسام الأطفال منذ الولادة إلى أن يشبوا عن الطوق، ويبلغوا مرحلة اليفاع، سواء كانت رعاية غذائية أم علاجية أم وقائية، وأول ما يتم ذلك عن طريق الرضاع.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فإرضاع الطفل واجب شرعي على والديه وذلك لمدة تكفي لإنبات اللحم ونشوز العظم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ البقرة أية233.

ومن الأمور المهمة التي يجب أن نثبتها هنا أن إرضاع الطفل إرضاعا طبيعيا من ثدي أمه له فوائد عظيمة على المرضع والرضيع، حيث أن تركيب لبن الأم يحتوي على المكونات الأساسية للغذاء السليم، وبخاصة في أيام الرضاع الأولى، إذ يحتوي على أنواع مختلفة من المضادات الحيوية للميكروبات، كما أنه يتناسب مع مراحل العمر التي يمر بها الطفل، كما أنه يزيد من مناعة الطفل ويساعد على الاستقرار النفسي للأم والرضيع معا[1].

لعظم هذه الفوائد وتحصيلها نجد أن الله أمر أم موسى بإرضاع ولدها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص أية7.

ولأهمية رضاعة الولد من أمه الحقيقية نلحظ أن الله تبارك وتعالى قد حرم المراضع على موسى عليه السلام، تمهيدا لعودته إلى الإرضاع من والدته الحقيقية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ القصص أية12.

ولعل في ذلك إشارة إلى أهمية الانتباه إلى مصدر الرضاعة، لأن الرضاعة ليست عملية فسيولوجية فحسب، التي تعني إكساب الطفل جرعات من حليب الأم وطرحها في جوفه، بل هي إلى جانب ذلك تعني تزويده بكل ما يسهم في بناء شخصيته ويحدد ملامحها من مشاعر الرحمة

---

[1] أنظر فيما تقدم الصعيدي، عبد الحكيم عبد اللطيف. الأسرة المسلمة، أسس ومبادئ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1993، ص94 وما بعدها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والعطف والحنان، وتزويده بالقيم والمعتقدات التي توجه سلوكه مستقبلا، حيث تُكتسب جميعا من الأم أولا.

ثانيا: اختيار الزوجة الصالحة

لا شك أن اختيار الزوجة الصالحة هي اللبنة الأولى في المؤسسة الأسرية الصالحة، باعتبار أن تكوُّن الأسرة يحصل بعد نقطة الالتقاء الشرعي التي تتم بين الزوج وزوجه، فينشأ عن هذا الالتقاء الذرية التي قُدر لها مواصلة الحياة وعمارتها.

إن نجاح الذرية في القيام بهذه المهمة إنما يتوقف أساسا على الطريقة التي تمت بها اختيار الزوجة، التي ستكون فيما بعد صانعة _ أو مدمرة_ الأجيال، ولذا أرشد ديننا الحنيف إلى ضرورة مراعاة حسن الاختيار، قال ﷺ: ﴿ تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك﴾[1]. وفي هذا دلالة على أن الاختيار إذا وقع وفق أسس سليمة مستمدة من التصور الإسلامي تحقق التماسك الأسري، وفي حال ارتباطه باعتبارات مادية فإن مآل الأسرة يؤول إلى التفكك والانهيار.

لقد ألمحت سورة القصص إلى بعض ملامح الزوجة الصالحة، وهي وفق النحو التالي:

1. **المرونة:** أي مرونتها التي تتمثل في سهولة تفهمها وتقبلها للمواقف والظروف الحياتية الطارئة، فهي تقبل العيش مع زوجها في الأحوال العادية، كما لا تجد حرجا من العيش معه في أقسى ساعات الحياة، وهذا الموقف مثلته لنا زوجة موسى عليه السلام، عندما خرجت مع

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: الأكفاء في الدين وقوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ الفرقان، 150/6، رقم الحديث 5090. ومسلم في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: استحباب نكاح ذات الدين، 293/10، رقم الحديث 3620.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

زوجها طائعة له، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾ القصص أية29.

ولعل هجرة أرض وطنها ومغادرتها مسقط رأسها التي به ترعرعت وفي أكنافه نشأت وعلى ترابه يقيم الأهل والأحباب، ثم انتقالها من هذه الأرض إلى أرض نائية، لا تعرف فيها أحدا، ولا تعلم خيرها وخير أهلها وخير ما فيها، من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، ليس بالأمر المستهان الذي يجد قبولا نفسيا وترحيبا جياشا في قلب المرء، بل شأنه عظيم يتطلب إرادة نافذة وعزيمة قوية وتضحية غالية.

2. **حسن الطاعة:** من أهم حقوق الزوج على زوجته طاعته، وامتثال أمره، فإن لم تستجب تصبح ناشزا، وبالتالي يسقط حقها في النفقة، ولعل الحكمة من ذلك أن الإسلام لاحظ الأسرة باعتبارها النواة الأولى في تكوين المجتمع، ولا ينتظم أمرها أو يستقيم حالها إلا إذا كان لها قائدا يدبر أمرها، ويوجهها الوجهة الصالحة، ومن الطبيعي أن هذه القيادة لا تصلح إلا لرب الأسرة الذي يملك صلاحية القوامة[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ النساء أية34.

لقد أكدت سورة القصص على هذا الجانب الحيوي في البناء الأسري من خلال زوجة النبي موسى عليه السلام، فعندما آنس من جانب الطور نارا، أمرها بالمكوث إلى غاية أن يأتيها بقبس منها، بغية الحصول على الدفء، فوافقته زوجته على ذلك واستجابت طلبه، دون إظهار شكوى أو تضجر،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ

[1] القرشي، باقر شريف. نظام الأسرة في الإسلام دراسة مقارنة، دار الأضواء، بيروت، ط1، 1988، ص69.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ القصص أية29.

3. **الثقة بالزوج:** كلما توافرت الثقة بين الزوجين تحققت السعادة وراحة النفس، وزادت لحمة البناء الأسري، حيث لا ظنون ولا شكوك ولا سماع افتراءات، ولبلوغ هذه الدرجة لا بد أن يتوافر عنصر الإيمان والخوف من الله تعالى، فيطمئن الزوج إلى زوجته ويثق بها على أمل أن تحفظه في غيبته مهما طالت في نفسها وولدها ومالها، دون أن تأتي بعمل يخدش الحياء ويحطم قواعد الثقة بينهما[1].

وفي سورة القصص نجد موطن الثقة قد برز فيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ القصص أية29.

فالزوجة عندما غاب زوجها عن أنظارها ذاهبا في جنح الليل إلى مصدر النار، وبقيت وحدها في انتظار عودته، دون أن تدع أفكار السوء من الشكوك والريب تسيطر عليها، يؤكد على عظيم ثقتها به، وحسن ظنها، كذلك لولا أن موسى عليه السلام يحمل قلبا مملوءا بالثقة بزوجته لاستحال عليه أن يذهب ويدعها وحدها تحت ستار الليل وليس عليها رقيب.

ثالثا: معاشرة المرأة بالمعروف

ويقصد بذلك حسن عشرة الزوجة، بدءا من مراعاة مشاعرها ومرورا بأداء حقوقها كاملة عن طيب نفس، من غير امتنان وتفضل، ذلك أن الزوجة هي كائن حي، تتمتع بكافة استحقاقات الحياة

---

[1] خلية البحوث والدراسات. استراتيجيات في تربية الأسرة المسلمة، إشراف توفيق الواعي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2006، ص33.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الآدمية من حب وعطف ومعونة وتكريم وغير ذلك، وإلى ذلك أشارت الآيـــة القرآنيـــة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ النساء أية19.

لقد أشارت سورة القصص إلى بعض صور العشرة الحسنة للزوجة، ومنها:

1. **معاونة الرجل زوجته:** لقد قسم الله الأدوار داخل البيت الأسري، وحدد لكل من الزوجين ما يناسبه من الوظائف التي تتفق وعناصر شخصيته، لكنه في ظـل تـزاحم الواجبـات الأسرية يحسن من كلا الزوجين مساندة الآخر، وتقديم ما يحتاج إليه من مـؤازرة، فـي كافة مجالات الأسرة؛ من مأكل ومشرب وملبس وتعليم وعمل، سواء كـان فـي نطـاق المنزل أو خارجه، باعتبار أنه تربطهما مصالح مـشتركة، ويـشكلان بـذلك حلقتـين متشابكتين في العقد الأسري، لا تنفصم أحدهما عن الآخر، ما دامت بهم حياة، الأمر الذي يساعد على تعزيز العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة الواحدة، كما انه عامل مساعد فـي تقوية أواصر الحب والود بين الزوجين، وهو ما قام به موسى عليه السلام، حيث عمـل علـى خدمة أهله عندما آنس من جانب الطور نارا، ثم أحضر قبسا منها لتحصيل الدفء لهـم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ القصص أية29.
2. **المكاشفة والمصارحة:** نقصد بالمكاشفة بأن يعبر كل من الزوجين عن مشاعره وعواطفه وأفكاره وطموحاته ومواقفه ودوافع سلوكه، بحيث يفهم كل منهما وجود الآخر بوضـوح وجلاء، دون لجوء أحد الطرفين إلى التأويل والتحليل.

هذا النوع من التعامل من الأهمية بمكان حيث لا يفسح المجال أمام أحد الزوجين بالانـسياق خلف تخرصات وظنون تودي بالحياة الأسرية، وبقدر حصول المكاشفة بين الزوجين تحظى بقـدر

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذلك من التماسك والتلاحم، وفي حال افتقاد عنصر المكاشفة يؤول ذلك إلى زعزعة أركان الأسرة وتهافت تماسكها، وهذا ينعكس بدوره سلبا على علاقة الأفراد بعضهم ببعض.

ومن هنا نرى المصارحة الحقيقية التي تمت بين موسى عليه السلام وزوجته في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾القصص أية29.

حيث كشف موسى عليه السلام لزوجته عن سر ذهابه في ساعات الليل إلى ذلك المكان، وذلك طلبا لقبس من النار يصطلون بها.

وتظهر أهمية المصارحة في هذا الموقف تحديدا بأن الليل تُستر به الأعمال، وربما تُغيب به بعض جوانب الحقيقة، وهذا يبعث في نفس الإنسان الشك والريبة، ومن هنا يتأكد لنا أهمية مصارحة الزوج لزوجته في مواطن التهمة والريبة، للحفاظ على قدر عال من الطاقة العاطفية والوجدانية ورفع منسوب الثقة بينهما.

رابعا: تربية الولد

من أعظم الأمانات التي أناطها الله بعنق الإنسان تربية الولد تربية صالحة، بحيث ينشأ الولد وهو يتمتع بصحة حسنة في جميع جوانب شخصيته؛ الإيمانية والخلقية والنفسية والاجتماعية والعملية.. وذلك ليتسنى له دخول معترك الحياة وفق النهج الإسلامي الذي حدده الله في كتابه وبينه النبي ﷺ في سنته.

ومن خلال مراجعة سورة القصص وجدنا أنها قد ألمحت إلى بعض الخصائص التي ينبغي أن تمتاز بها التربية، حتى تعطي ثمارها الإيجابية في عالم الولد وواقع الأمة.

وفيما يلي سنقوم بتحديد هذه الخصائص وفق ما يلي:

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

1. تربية إيمانيـــة: من الطبيعي أن تجيء التربية الإيمانية في المقدمة لأنها الأساس في كل شـــيء ولما يأتي من بعدها، وهي الميزة الأولى التي تميزها عن غيرها مـــن الـــنظم التربوية الأخرى، إذ يجب توجيه الطفل أثناء تربيته توجيها إيمانيا، بهدف عبادة الله وطلب رضاه والاعتماد عليه في المسرات والمضرات.

هذا الإيمان إنما هو في حقيقته شعور نفسي يشعر به الإنسان نحو خالقه[1]، وهو يجعل حيـــاة الإنسان كلها رحلة عبادة، فكل حركة أو سكون يمارسها مع نفسه أو غيره من أفراد بيئتـــه تكـــون بقصد التقرب لله، ووفق تعليمات الكتاب الكريم، يحل حلاله ويحرم حرامه، وهي الترجمة الحقيقية لهذا الإيمان.

لقد تجلت الخاصية الإيمانية للنهج التربوي في قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص أية7.

هذه البشارة التي أوحى الله بها إلى أم موسى عليها السلام بأنه سيكون من المرسلين لا شـــك أنه يتطلب منها ذلك بإعداد هذا الابن إعدادا إيمانيا، وتزويده بهذه العقيدة وترسيخها في قلبـــه منـــذ نعومة أظافره، حتى يصبح سلوكه الصادر منه مستقبلا مظهرا حقيقيا للتربية الإيمانية.

ومن خلال مراجعة قصة موسى عليه السلام وجدنا تطبيقات عملية كنتيجة لهذا الإعداد الإيماني[2].

2. تربية تقوم على الشمول: إذ أنها تشمل جميع جوانب الشخصية الإنسانية، وتعمل على تنميتهـــا وصقلها بتوافق وانسجام، فهي إذ تعنى بتربيته روحيا لكن لا تدعوه إلى الانقطاع عـــن

---

[1] علي، سعيد إسماعيل. أصول التربية الإسلامية، دار المسيرة، للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2007، ص283.

[2] للمزيد من ذلك أنظر ص25 وما بعدها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدنيا والانعزال عن متطلبات الحياة، والتقوقع على الذات بين جدران أربعة، كما فعلت رهبانية الدين المسيحي.

فالرقي الروحي وعمق الاتصال مع الله لا يتم بأداء الشعائر التعبدية وإهمال مطالب الناس وخدمة المجتمع، بل إن خدمة الناس والقيام على مصالحهم مطلب أساسي لتعميق الصلة مع الله تعالى، وهذا ما نلمسه في بعض مشاهد السورة، حيث وجدنا موسى عليه السلام يسقي لبنتي مدين أغنامهما، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾القصص أية24.

ومن مظاهر شمول التربية الاهتمام بمطالب الجسد وعدم إهماله، لأن قوة الجسد ونشاطه تؤدي إحداث قوة روحية وتنشيطها، وقد برز لنا ذلك من خلال شهادة إحدى بنتي مدين لموسى عليه السلام بالقوة الجسمية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ القصص أية26.

كذلك تقتضي شمولية التربية الاعتناء بالناحية العقلية وتنمية الفرد تنمية علمية تمكنه من خدمة الأمة وبناء المجتمع، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾القصص أية14.

فبلوغ الأشد هو اكتمال القوى الجسمية، والاستواء هو اكتمال النضوج العضوي والعقلي، حيث آتاه الله الحكم والعلم[1].

3. تربية عملية

ويمثل هذا الجانب جوهر التربية ومحك نجاحها، فالإيمان تصديق بالقلب مضافا إليه العمل بالجوارح، وتقاس جودة العلم بمدى تأثيره في السلوك الإنساني، لذا كان النبي ﷺ يستعيذ ربه دائما

[1] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2681/5.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

من علم لا ينفع، فكان يردد في دعائه وأعوذ بك من علم لا ينفع[1]، فلا بد للعلم من أن يكون سببا في تفجير طاقات الخير وإثارة حوافز العمل الصالح المتمثل في اتجاهين:

_ التعود على الالتزام بالسلوك المستقيم.

_ التعود على الابتعاد عن السلوك الشاذ ليكون مرآة حقيقية للمنهج التربوي الإسلامي.

لقد تجلت هذه الخاصية حين مدح الله فريقا من الذين أوتوا الكتاب بسبب استعدادهم في ترجمة التوجيهات التربوية إلى واقع عملي محسوس، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ القصص آية 51-55.

لقد استحق هذا الفريق من أهل الكتاب الأجر مرتين لأنه بمجرد وصول "الذكر" إليهم يؤمنون به ويصدقونه، ثم يبادرون إلى تطبيق ما آمنوا به عمليا، فهم يصبرون على ما يلاقونه من عنت، ويقابلون الإساءة بالإحسان، ويبذلون أموالهم رخيصة في مرضاة الله، وينأون عن الحديث الذي لا طائل من ورائه.

تكمن أهمية هذه الخاصية للتربية أنها تضفي عليها صفة الواقعية، فهي ليست مجموعة من المبادئ والتصورات التي تسبح في عالم الضمير ضمن مفاهيم نظرية لا تأثير لها في عالم الواقع، بل تصميم حقيقي لواقع يدعونا الله إلى إنشائه وإيجاده[2].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء، باب: التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، 43/17، رقم الحديث 6844.

[2] عبد المعطي، يوسف. تربية المسلم في عالم معاصر، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ط2، 1998، ص62.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

4. تربية عمرانية تنموية:

فهي تهدف إلى تنمية المجتمع وازدهاره والوصول به إلى أقصى ما يسمح به الكمال الإنساني، ذلك أن الله لم يخلق الأرض عبثا وما تركها هملا، بل اوجب على المسلم عمارتها، إذ هي منشأ خلقه وإليها يعود ثم منها ينشأ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾هود أية61.

وحين نتأمل في ثنايا السورة نجد أن الله تعالى قد نبه الإنسان على بعض نعمه التي هي مطالب رئيسة لتحقيق عمارة الأرض، إعلاما منه بضرورة استثمارها ضمن المجال التربوي لتحقيق النهضة العمرانية وتشجيع الحركة التنموية في المجتمع المسلم.

إن تحقيق هذه النهضة يقوم على توفر عنصرين أساسين هما:

- توافر العنصر الأمني.

- توافر العنصر الاقتصادي.

إن عدم توافر العنصرين إنما هو قتل حقيقي للمجتمع المسلم وشل عجلة التقدم فيه، وتعطيل فاعليته عن السير نحو العلا والازدهار. وإلى هذا أشارت الآية الكريمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ القصص أية57. "الحرم الآمن"يشير إلى الوضع الأمني المستقر، الذي يشعر الفرد من خلاله بالأمن على نفسه وماله وعرضه، فيؤدي ذلك إلى إطلاق مواهبه وتفجير طاقاته في الابتكار والإبداع. كما أن "الثمرات" تشير إلى الوضع الاقتصادي القوي الذي يدعم عجلة التطور والازدهار ويدفع بها نحو الأمام.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

كذلك في الآية الكريمة: قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾القصص أية29. حيث تشير الآية إلى ضرورة استغلال الثروة الطبيعية التي أودعها الله في الأرض، فالنار التي آنسها موسى عليه السلام قد استغلها لدفع البرد عنه.

والنار بهذا الاعتبار لا تمثل وقاية للإنسان من البرد فحسب، بل تمثل مصدرا من مصادر الطاقة التي لا تقوم نهضة عمرانية بدونها، وبدونها لا يقطع الإنسان شأوا في عالم الصناعة والتقنية الحديثة.

5. تربية تقوم على التوازن:

حيث نجد مظاهر هذا التوازن بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، فلا يطغى جانب الدنيا على الآخرة، كما أن طلب الآخرة لا ينبغي أن ينسي العمل للدنيا، ولو حققنا النظر في أسباب شقاء البشرية لوجدناه بسبب جنوح المجتمع الإنساني إلى أحد الجانبين وترك الجانب الأخر، فالمجتمع الغربي جنح للدنيا وترك الآخرة، والمجتمع المسلم أهمل مطالب الدنيا وطمع بالآخرة.

ومن هنا جاء التذكير بأهمية إحداث التوازن بين الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾القصص أية77.

كما نلمس مظهرا آخر لهذا التوازن، وهو توازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، فالتربية الإسلامية لا تسعى إلى إشباع حاجات الفرد على حساب حاجات الجماعة، تلبي مطالب الجماعة مع إهمال مطالب الفرد، فتضيع الحقوق وتستبد الأنانية والجشع بالإنسان، وينتشر الاستغلال والاحتكار، لذا كان من حكمة الله تعالى أن يأخذ فرعون وأعوانه بعذاب أليم، ويخسف الأرض بقارون وأمواله من أجل ألا تذهب مصالح الجماعة هدرا أمام مصالح الفرد الذاتية. قَالَ

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾القصص أية81.

6. تربية خلقية:

فالتنمية الخلقية من أهم خصائص التربية، وليس المراد تنمية مطلق الأخلاق التي تعارفت عليها بعض المجتمعات وأنكرها البعض، بل نريد الأخلاق القائمة على التدين الصحيح والمنهج الإسلامي القويم، فالأخلاق من الدين، وهي تعمل على تهذيب النفوس وتوجيهها إلى الخير والسمو بها وبميولها وغرائزها[1].

وعلى الصعيد العملي نجد ملامح التربية الخلقية في سورة القصص من خلال:

أ. بر الوالدين: فالتربية الإسلامية تحث الولد على معرفة حق والديه، وذلك ببرهما وطاعتهما والإحسان إليهما والقيام بخدمتهما[2]، ويعد هذا من أهم متطلبات العبودية لرب العالمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ الإسراء أية23. كما يعتبر من أهم دعائم الأسرة، وحصول التوافق الأسري، وبغياب هذا الخلق يضطرب نظام الأسرة وتقف على أعتاب التفكك والتشتت والانهيار.

ومن هذا المنطلق وجدنا أخت موسى عليه السلام قد برت أمها، حيث سارعت إلى تلبية طلبها وقامت بالمهمة التي أوكلتها لها في صورة تعبر عن مدى الاستعداد النفسي في تقبل واحترام مركز الأمومة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهُ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص أية11.

---

[1] عقلة، محمد. تربية الأولاد في الإسلام، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط1، 1990، ص106.

[2] علوان، عبد الله ناصح. تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، 291/1.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ب. تعاطف الأخوة وتعاونهم: تسعى التربية الإسلامية إلى تعليم الولد المحبة والتعاطف والميل القلبي والفعلي نحو أي فرد من أفراد الأسرة، فيحس كل فرد من أفراد الأسرة بإحساس أخيه، فيتعامل مع المشكلة الأسرية على أنها مشكلته ذاتيا، فيبلغ أقصى درجات الاستنفار ويقوى لديه الاستعداد في إطار إيجاد حل للمشكلة الراهنة والتخفيف من آثارها السيئة، وهو ما نلمسه في سورة القصص، حيث عمدت أخت موسى على خوض مغامرة لا تعرف نتائجها في سبيل تخليص أسرتها من المأزق، وجمع شمل العائلة بإعادة موسى عليه السلام إلى أحضان أسرته، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ القصص أية11-12.

المبحث الثالث: الوسائل في نطاق التماسك الاجتماعي

منذ أن بزغت رسالة الإسلام في آفاق العالم أخذت على عاتقها إنقاذ المجتمع البشري من قاع الهاوية، والانتقال به إلى مرحلة جديدة يكون فيها قادرا على السمو والتحليق من جديد، وهذا يتطلب جملة من التغييرات الجوهرية التي يجب أن تطال الحياة الإنسانية بجوانبها المختلفة.

من أجل ضمان نتائج التغير كان لا بد من تحديث آليات جديدة وإيجاد وسائل جديدة ذات فاعلية كبيرة في ترسيخ القيم الاجتماعية، وفرض قيود للتفاعل المتبادل القائم على معاني البر والحسنى بين الكتل الاجتماعية عامة، بحيث تزيد المجتمع صلابة، وتقوي تماسكه، وتضمن مسيرة عطائه الحضاري.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد عملت سورة القصص على صياغة مجموعة من الوسائل الفاعلة، القادرة على تحقيق أقصى ما يأمله المجتمع من حياة ملؤها المثابرة والعزيمة، واستثمار الوقت في العمل الإيجابي، والمبادرة الفردية، وتقديم العون للمحتاج، ونحو ذلك.

سيقوم الباحث بعرض ما تقدم من خلال ما يلي:

المطلب الأول: ربط الإنسان بالرفقة الصالحة.

المطلب الثاني: تكوين اتجاه إيجابي نحو العمل.

المطلب الثالث: تنمية روح المثابرة والعزيمة.

المطلب الرابع: تنمية المبادرة الفردية.

المطلب الخامس: الارتقاء بالوعي الاجتماعي.

المطلب السادس: الإصلاح الاقتصادي.

المطلب السابع: تكامل المؤسسات التربوية.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الأول: ربط الإنسان بأناس صالحين

يعتبر هذا من عوامل توجيه السلوك الإنساني، لما لها من قوة في صهر الأفراد في بوتقة واحدة تربطهم خصائص ومشاعر وأفكار وسلوكيات غالبا ما تكون مشتركة بين الجميع، وكثيرا ما تتحدد علاقة الإنسان بخالقه والكون والحياة والمجتمع بناء على ما يكتسبه من جماعة الرفاق من قيم وتصورات وأفكار.

ولعظم درجة التأثر والتأثير بين أفراد الجماعة استخدم الإسلام منهجا وقائيا خاصا للحفاظ على العقيدة والأخلاق وشبكة العلاقات الاجتماعية، وذلك من خلال التحذير من مخالطة الأشرار ومعاشرة قرناء السوء، قال ﷺ :﴿ مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك، إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة﴾[1].

ومن هنا برز لنا أهمية طلب موسى عليه السلام في أن يرسل معه أخاه هارون عند ذهابه إلى فرعون، وذلك ليرتبط معه ارتباطا تنشأ عنه مصلحة تخدم المجتمع، وتحفظ الدين الذي هو قوام المجتمعات وكرامة الإنسان، فاستجاب الله طلبه، وأرسل معه هارون عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾القصص أية34-35.

إذن بين لنا من خلال هذا المقطع من سورة القصص سبب هذه الارتباط، وهو من أجل أن يأخذ هارون بأزر موسى عليه السلام، ويشد من عضده، وهو من أهم المطالب والحاجات النفسية التي يتم اكتسابها من خلال هذا الارتباط، إذ أن سلوك الفرد يتشكل وفق إشباع هذه الحاجة، وذلك ضمن

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: في العطار وبيع المسك، 22/3، رقم الحديث 2101.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صور عدة، منها الإقدام على سلوك ما، أو الإحجام عنه، وقد رأينا أن موسى عليه السلام قد تلاشت عنده مشاعر الخوف بسبب ذلك الارتباط، وتحفز للذهاب إلى فرعون من أجل دعوته وتبليغه آيات الله البينات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ القصص أية36.

المطلب الثاني: تكوين اتجاه إيجابي نحو العمل

العمل: هو بذل الجهد المطلوب لكسب القوت، أو ما يفيء بمنفعة القائم بالعمل، بحيث تكفل له إشباع رغباته المشروعة[1].

لقد جاء الإسلام بمبادئه السامية للسير بالمجتمع الإنساني في سبل الحضارة والتقدم والنهضة المدنية، من أجل تحقيق رفاهية الإنسان ضمن أطر شرعية، فقاد الإنسان إلى العمل ورغبه في مزاولة المهن التي تضمن حياة حرة له وتوفر له حياة كريمة، تصونه من العوز والاستجداء، وجاءت في ذلك نصوص شرعية تحث على السعي في الأرض والتماس سبل الرزق الحلال من خلال استغلال ما أودعه الله من خيرات ونعم في البر والبحر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الجاثية أية 12-13.

كل ذلك في محاولة النهوض بمقتضيات العيش في الحياة وعمارة الدنيا بشكل يحقق مصالح الدنيا والآخرة، وتحقيق الإنعتاق لإنسان الرسالة من السير خلف الأمم الأخرى، لأنه متى فقد

---

[1] المرصفي، سعد. العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1980، ص43. الطويل، محمد. لعمال في رعاية الإسلام، مكتبة ومطبعة الغد، الجيزة، ط1، 1998، ص19.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المجتمع القدرة على الحركة والعمل يقع أسير الشعوب الأخرى، ويفقد قدرته في صناعة القرار، ويلتزم السير شبرا بشبر وذراعا بذراع خلف الأمم التي تحمل فأس العمل وتحسن صناعة القرار.

ومن هنا نرى أن موسى عليه السلام لم يجد حرجا في ممارسة مهنة رعي الأغنام لشيخ مدين، وهي من أبسط المهن التي يحصل بها المرء على كفاف من العيش وسد الرمق، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴾ القصص أية27-28.

تظهر إيجابية هذا التوجه في العمل أنه شمل على معظم المعايير الخلقية التي يتم بها تنظيم العمل.

1. **إبرام عقد العمل:**[1] العقد الذي تم بين موسى عليه السلام والشيخ قد أطلق عليه أهل العلم "عقد إجارة الأشخاص".

وهو عبارة عن عقد عمل يتم بين طرفين أحدهما مؤجر الخدمات وهو صاحب العمل، والآخر مستأجر الخدمات وهو العامل والأصل في مشروعيته قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ القصص أية27.

فقد كان شيخ مدين هو مؤجر الخدمات، أما موسى عليه السلام كان مستأجر للخدمات، وقد نص هذا التعاقد على أبرز المعايير التي يتم بها تحديد العقود، منها:

---

[1] للمزيد من الواجبات والحقوق المتعلقة بالعمل وعقد العمل أنظر، بكر، عبد الرحمن. علاقات العمل في الإسلام، المؤسسة الثقافية العمالية، القاهرة، 1970، ص61 وما بعدها. المرصفي، سعد. العمل والعمال، مرجع سابق، ص204 وما بعدها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تحديد أطراف العقد:

أ. **أطراف العقد:** عرفت الشريعة العامل بأنه كل من أدى عملا شريفا لقاء أجر معين، وهو ما أكدته سورة القصص، حيث جاء على لسان إحدى بنات شيخ مدين تعريف العامل، وفق المدلول التالي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾القصص أية26-27. فالأجير هو موسى عليه السلام، والمؤجر شيخ مدين.

ب. **بيان نوعية العمل:** يظهر ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ﴾ القصص أية27. "قال المهلب: العمل عندهم كان معلوما من سقي وحرث ورعي وما شاكل من أعمال بدوية في مهنة أهلها، فهذا متعارف وإن لم يبين له أشخاص الأعمال ولا مقاديرها"[1].

ج. **بيان مدة العمل:** وهو ما جاءت الآية الكريمة بتأكيده بموجب العقد المبرم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ ﴾ القصص أية27.

د. **تحديد الأجر:** من المؤكد أن الأجر عنصر جوهري في عقد العمل، وتحديده يبعث في نفس العامل القوة والنشاط على إنجاز المطلوب طمعا في الحصول على الأجر المتفق عليه سلفا، ولذا جاءت الآية الكريمة مؤكدة على تحديد الأجر، وأن العمل له كامل الحق في الكامل في الحصول عليه بعد أن ينجز عمله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن

[1] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، 253/7.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ القصص أية27. يشير ذلك إلى أن التزام العامل بأداء العمل يقابله التزام صاحب العمل بأداء الأجر.

ه. **مناسبة الأجرة للعمل:** فلا ينبغي أن يكون هناك تفاوت بين طبيعة العمل المؤدى وبين نوعية استحقاق الأجر، فعدم حصول هذا التوافق هو ظلم حقيقي للإنسان.

لذا ناسب عمل موسى عليه السلام عشر سنين مع طبيعة الأجر الذي ناله وهو الزواج من ابنة صاحب العمل.

2. عدم الحرج ورفع المشقة: فالأصل في كافة العقود أن تكون خالية من المشقة، وأن تكون مبنية أساسا على قواعد الرحمة والسعة والرفق، وهو الأصل العام في الشريعة الإسلامية، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ** ﴾ الحج أية78.

وبموجب هذا النص القرآني يحظر تكليف العامل فوق حدود طاقته، أو طلب منه أداء عمل لا يتوافق مع آدميته، أو استغلال ظروفه، أو مطالبته بأداء عمل يعطل عمل الجوارح ويلحق خللا في البناء الجسمي، كل ذلك مرفوض شرعا وعقلا وذوقا، وقد جاء نص ذلك في العقد المبرم بين موسى عليه السلام وشيخ مدين، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾ القصص أية27. تدل الآية على أن الشيخ لم يكن يريد أن يشق على موسى عليه السلام بإلزامه بالأخذ بأطول السنين، كما أنه سيراعي الأوقات التي يكلفه فيها بأداء الأعمال وكذلك طبيعتها، كما سيجد منه حسن الصحبة ولين الجانب ولطف المعاملة[1].

3. تحري طرق الكسب المشروع: فقد أطلق الإسلام حرية الإنسان في اختيار أي مهنة يزاولها لدفع شظف العيش عن نفسه، شريطة أن يتم ذلك في دائرة الكسب الحلال الذي يقوم على تحقيق العدل

[1] خان، صديق حسن. فتح البيان في مقاصد القرآن، مطبعة العاصمة، القاهرة، 1965، 7/144-145.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والإنصاف والتزام طريق الحق، وقد حظر استخدام الوسائل غير المشروعة لجمع الأرباح وتضخيم الثروة، من رشوة واختلاس ونهب واحتكار وغير ذلك، واعتبرها جرائم ضد إنسانية الإنسان يعاقب عليها القانون الشرعي.

إن عمل بنات شيخ مدين في سقي أغنامهن[1]، ثم عمل موسى عليه السلام في رعي الأغنام يفتح مجال الكسب المشروع للأيدي العاملة في المجتمع، وتجعل من تلك المهن نموذجا للعمل الشريف الذي يسهم في تطوير المجتمع من غير أن يفسد النظام العام للمجتمع، كما أنه دلالة على سعة مجالات العمل ووفرة أسباب الرزق، وما على الإنسان إلا أن يبحث عنها تاركا وراءه أسباب الكسب غير المشروع، الذي يفسخ شبكة العلاقات الاجتماعية ويفسد أخلاق الناس.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

---

[1] لقد خلق الله الذكر والأنثى ليبلوهم أيهم أحسن عملا، فالمرأة مكلفة بالعمل، قال تعالى:" فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى" آل عمران/195، وعلى هذا لا يجوز لأحد أن يمنع عمل المرأة بغير نص، فقد يكون عملها جائزا إذا وقع ضمن شروط محددة، بل قد يرتقي إلى طلب استحباب، أو طلب وجوب في بعض الحالات، كأن تكون أرملة ولا مورد لها أو لأولادها.

أما الشروط التي يجب أن تتوفر في العمل حتى يكون عملها مشروعا فنوجزها بما يلي:

1. أن يكون العمل مشروعا، بمعنى ألا يكون حراما أو مفضيا للحرام، كأن تكون سكرتيرة لمدير خاص، وتقتضي الوظيفة أن يخلو بها، أو تسافر سفرا بعيدا بغير محرم.
2. أن تلتزم الآداب الإسلامية عند خروجها من منزلها، في مشيتها وكلامها وحركتها.
3. ألا يكون عملها على حساب واجبات أخرى، كأن يشغلها عن حق زوجها أو أولادها. أنظر القرضاوي، فتاوى معاصرة، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1993، ص303، زيدان، عبد الكريم، المفصل في أحكام المرأة وبيت المسلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 2000، 288/7 وما بعدها.

المطلب الثالث: تنمية روح المثابرة والعزيمة

لا شك أن العجز والكسل داءان ينخران في الإنسان، ويقعدانه عن السعي في مصالح الدنيا والآخرة، وحين يعتاده المرء يصبح سجية لازمة له، فتثقل همته وتتراخى نفسه وتبرد عزيمته، ويصبح عالة على المجتمع.

لذا أُعتبر العجز من أحد العوامل الذي يعمل على تفكيك المجتمع، لأن طموحات العاجز محدودة، ونفسه مستكينة، وعقله خامل، وحركته بطيئة، وإذا عمل فإنه لا يملك روح الاستمرار في العمل[1]، وبذلك يشهد المجتمع حالة من الانحسار في كافة الأطر، وتتباطأ عجلة التطور، ويندفع المجتمع نحو الموت الحضاري الذي يعني شيوع الانحراف.

وفي سورة القصص وجدنا مظهرا من مظاهر المثابرة والعزيمة قد تجسد في نبي الله موسى عليه السلام حيث عمل في خدمة الشيخ عشر سنين، دون أن يستجيب لأي شكل من أشكال التقاعس والعجز إلى انقضاء الأجل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾ القصص أية29.

---

[1] بكار، عبد الكريم. عصرنا والعيش في زمانه الصعب، دار القلم، دمشق، ط1، 2000، ص123. الدويش، محمد بن عبد الله، تربية الشباب الأهداف والوسائل، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 2002، ص163.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

المطلب الرابع: تنميةُ المبادرةِ الفرديةُ

تبدأ رحلة المبادرة الفردية نحو العمل الصالح بمدى ارتباط العمل وجدواه في حل المشاكل الاجتماعية وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، ثم حصول القناعة التامة بضرورة القيام بالعمل، مع التحلي بالعزم والجلد اللذين يدفعانه لإنجاز العمل.

هذه هي الأسس التي أرستها قواعد العمل في التربية الإسلامية التي تسعى لتحقيق تنمية شاملة وواعية تبدأ من الفرد وتنتهي بالمجتمع الإنساني لإعمار الدنيا وإصلاح الحياة.

إن ضمان وجود روح المبادرة للفرد المسلم نحو العمل يتوقف على مدى قدرته على مدى فهمه لمطالب مجتمعه، واستشعاره بمواطن النقص فيه، فيسعى إلى سد وجوه النقص في نطاق تخصصه وحدود إمكانياته.

من أبرز المواطن التي ظهرت فيها روح المبادرة الفردية ما قام به موسى عليه السلام عندما رأى امرأتين حول البئر لا تسقيان أغنامهما، فبادر في سؤالهن، ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾القصص أية23. فلما سمع مقالتهن وفهم مطلبهن، ثارت عنده مشاعر العطف، ومن ثم بادر إلى مساعدتهن بسقي أغنامهن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾ القصص أية24.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الخامس: الارتقاء بالوعي الاجتماعي

من أجل ازدهار شبكة العلاقات الاجتماعية وازدياد فرص التلاحم الاجتماعي لا بد من تخليص الإنسان من حالة الانعزال الاجتماعي، وهذا أمر لا يتأتى إلا بنشر الوعي الاجتماعي، وتشجيع الفرد على حسن استخدام العين والأذن والفكر في قراءة الواقع الاجتماعي واستيعاب محتواه، من أجل التعرف على طبيعة مجتمعه، وفهم سبل التكيف معه، كما أنه يوفر له القدرة على فهم مشكلاته وطرق معالجتها، ثم العمل على تطوير مجالات عيشه.

بارتقاء الوعي الاجتماعي حقق الإسلام نجاحا عظيما في صنع أمة حضارية، قد تحولت من أمة بلغت أدنى درجات التخبط والانحطاط إلى أسمى مراقي الحضارة الاجتماعية، وهي مهارة فكرية لا يتقنها الفرد إلا إذ لم يكن ارتباطه بالمجتمع ارتباطا مجردا من معاني الحب والانتماء، فتحقق الحب والانتماء في نفس الفرد يدفعه إلى فهم ما يدور في الساحة الاجتماعية، ومن ثم البحث عن آليات جديدة في تغيير أوضاعه.

ما ذكره الله في مستهل سورة القصص يهدف إلى الارتقاء بالوعي الاجتماعي، والوصول إلى رؤية شاملة لأبعاد القضية المفروضة في المجتمع المصري، وهي حالة الذل والمسكنة التي ضربت على شعب بني إسرائيل الأعزل، دون أن يملك أدنى مقومات الدفاع عن نفسه، فجعل فرعون يستعبد هذا الشعب، وينشر فيه أعماله الإجرامية من قتل وذبح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ القصص أية1-4.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فالدور الأساسي الذي قام به موسى عليه السلام هو فهم طبيعة هذا الواقع الاجتماعي ومعرفة الأصول النفسية والسياسية التي أفرزت هذه الحالة، وإلى ذينك الأصلين أشارت الآية السابقة، فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ القصص. إشارة إلى ما جبلت عليه نفس فرعون من حب الفساد، وهو الأصل النفسي، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ ﴿٤﴾﴾ إشارة إلى الأصل السياسي، حيث جعل من تفرقهم وسيلة لتكريس سلطانه على بني إسرائيل الذين باتوا يهددون عرشه وملكه[1].

المطلب السادس: الإصلاح الاقتصادي

غاية الاقتصاد في التصور الإسلامي هو تحقيق الحياة الطيبة بكل مقوماتها وعناصرها للإنسان، في كل مراحل حياته، ابتداء من الطفولة وانتهاء بمرحلة الشيخوخة، وفي كل مجالات حياته من فكر وسياسة واجتماع، فيحيا الإنسان حياة ربانية وإنسانية معا، فيقوم بواجبه نحو ربه ونفسه وأسرته ومجتمعه ومن ثم البشرية جمعاء.

والحياة الطيبة التي يعمل النظام الاقتصادي على توفيرها إنما تقوم على أمرين، هما:

أولا: توفير وسائل الراحة المادية، من خلال الاستمتاع بما في الأرض من خيرات ونعم، واستغلالها لإيجاد المأكل والمشرب والمركب والملبس الطيب.

ثانيا: وسائل الراحة المعنوية: هو حصول السكينة والسعادة وغياب أعمال الغدر والاستغلال والحقد والحسد، فلا فائدة من توفر وسائل الراحة المادية في ظل عدم وجود الوسائل المعنوية[2].

---

[1] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2677/5.

[2] القرضاوي، يوسف. دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، مرجع سابق، ص71 وما بعدها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فعندما يستشري الفساد في النظام الاقتصادي وتنحرف أخلاق رجال الأعمال وتخرم القواعد التي تنظم وجوه النفع الاقتصادي، عندئذ تختفي وسائل الراحة المعنوية، حيث يصاب المجتمع بأزمة التفكك الاجتماعي، بسبب ما ينشره الفساد الاقتصادي من ممارسات وأعمال غير مسؤولة بين الأفراد، فتشيع أعمال الاحتكار واستغلال النفوذ وتنتشر ثقافة السرف والاستهلاك، الأمر الذي يحدث ثغرات اجتماعية ويخلق فروقا فاحشة بين فئات المجتمع مما يجعل انتحار المجتمع أمرا مؤكدا.

ولضمان عدم وقوع ذلك قدمت لنا سورة القصص "نظرية" موجزة في الإصلاح الاقتصادي، بهدف الحفاظ على بقاء المجتمع على قيد الحياة في جميع المجالات، وهي على النحو التالي[1] :

في مجال العمل:

1. **منع ظلم العامل:** فالظلم من رذائل الأخلاق الإنسانية، ومن أسباب هلاك الأمم والمجتمعات، فإذا انتشر في مجتمع فإن مآله إلى التفسخ والانهيار، حيث يحمل الإنسان على القتل والانتقام، ولذا حذر القرآن من الوقوع في مغبة الظلم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ القصص أية37.
2. **استشعار العامل بالمسؤولية:** من معاني الاستشعار بالمسؤولية في نطاق العمل أن يقوم العامل بما اتفق عليه مع صاحب العمل، مهما كان محل الاتفاق، فموسى عليه السلام كان نموذجا في تحمل المسؤولية حيث عمل عند الشيخ المدة المتفق عليها وزاد عليها سنتين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ القصص أية29. جاء عن سعيد بن جبير أنه قال:﴿ سألني

---

[1] للمزيد من هذه القيم أنظر المرجع السابق.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى، قلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله. فقدمت فسألت ابن عباس، فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله إذا قال فعل﴾[1] .

3. **أمانة العامل:** الأمانة هي مرتبة من مراتب الإسلام العظيمة، وقد حث الإسلام أتباعه على أدائها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ النساء أية58.

والأمانة المثالية لا تنحصر دائرتها في نطاق ضيق من الحياة، بل تتسع لتشمل كل أنشطة الحياة العملية كافة، ومن أبرزها في دائرة الأعمال والمهن، بحيث إذا وجدت تصح العقود ويطهر المال ويقضى على عوامل الغش والتدليس، ويظهر المجتمع الإسلامي المنتج الذي يحقق الإنماء الاقتصادي ويضع حلا للمشكلات التي تواجه الاقتصاد في العالم المعاصر.

ويتعزز خلق الأمانة في قلب الإنسان عندما يحس بمراقبة الله، ويستشعر بأن الله شهيد على أعمال قلبه وجوارحه، وإذا ما انعدم ذلك فإن الإنسان يقدم مصلحة نفسه على مصلحة الشرع، ويجعل من مصالح الشرع ونصوص الوحي قرابين يقدمها لنيل المزيد من متاع الدنيا الزائل، لهذا كان مما قاله موسى عليه السلام لشيخ مدين: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴾ القصص أية28.

4. **إتقان العمل:** إتقان العمل من مميزات المجتمع الذي يسعى نحو المدنية والحضارة، ولن يتمكن أي مجتمع من تحقيق مكاسب حضارية أو قطع أشواط في عالم الإنجاز والإبداع وهو ما زال يعيش في طور الغش والتدليس، يؤدي أعمالا لا ترتقي إلى المستوى المطلوب في الأداء والجودة، وهذا عائد إلى أشكال وألوان من طرق التفكير لأفراد ذلك المجتمع، فالتفكير القائم

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الشهادات، باب: من أمر بإنجاز الوعد وفعله الحسن، 216/3، رقم الحديث 2684.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

على الاستخفاف بالعمل وازدراء طبقة العمال وعدم تقدير جهودهم هو المسؤول عن غياب قيم الإجادة والإتقان.

ومن هنا جاء الحث من الله تعالى لترسيخ قيمة العمل في نفوس الأفراد والجماعات، كأساس أول لتثبيت قيمة الإتقان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ القصص أية67.

كما بين الله أنه عليم بصدور العباد، وما يجول في خفايا نفوسهم، كأساس ثان لتفويت فرصة التفكير في أداء العمل من غير إعطاء حقه من دقة الحسن وروعة الإنجاز، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ القصص أية69.

ومن صور إتقان العمل الواردة في بعض أحداث سورة القصص، أن الله لما أوحى إلى أم موسى عليهما السلام أن تلقي ولدها في اليم، صنعت له صندوقا وقيرته، لئلا يدخل إليه الماء، وأحكمته، وأودعته فيه، ثم ألقته في اليم[1].

5. **اختيار الأكفاء من العمال:** يجب اختيار أصحاب الكفاية والإتقان في العمل، لما له من أثر في رفع مستوى الإنتاجية وزيادة الجودة، كما أنه يؤدي إلى نتائج باهرة في فاعلية العمل وانخفاض كلفة أدائه، وهو ما تطرحه النظم المالية المعاصرة، وقد سبق إليها النظام الإسلامي الذي حث على توفير الكفاية من خلال إتقان العمل والتخصص فيه، حتى يغني المسلمين عن طلب خدمات غيرهم من غير المسلمين، وهو ما أشارت الآية في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ

[1] البقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، 244/14.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ القصص أية26. قال ابن عباس ﷺ:﴿قوي فيما ولي، أمين فيما استودع﴾[1].

قال صاحب الكشاف تعقيبا على الآية:"كلام حكيم جامع لا يزاد عليه؛ لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، أعني الكفاية والأمانة، في القائم بأمرك، فقد فرغ بالك وتم مرادك"[2].

في مجال النظر للمال:

1. **المال لله وحده:** الركن الأساسي الذي قدمه الإسلام للبشرية للإصلاح الاقتصادي ووضع حل جذري لسوء استخدام الإنسان للمال، هو تحديد النظرة الصحيحة للمال، فالمال مال الله، والرزق كله من عند الله وحده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ القصص أية57. فالثمرات غيرها من سائر الأموال رزق من الله يهبها لمن يشاء، فهي ملك له وحده.

هذه هو الخط الفاصل بين النظرة الشرعية والنظرة الوضعية نحو المال، فبينما الأخيرة ترى أن المال ملك خاص للفرد، الذي أفرز فيما بعد الاقتصاد الحر، الذي لا يخضع للقانون الأخلاقي والذوق الإنساني، بل خاضع لعبودية المال وجني المزيد من الأرباح وتحقيق المستوى الأعلى من رفاهية العيش، في صورة تمثل شكلا من أشكال الجشع المادي، أفرزت الأولى (النظرة الشرعية) إلى جانب وفرة الحياة المادية وانتعاش الاقتصاد، المجتمع الحضاري الذي ارتسمت فيه معالم العدل في الاستثمار والإنتاج والإنفاق، فبعد أن كان الإنفاق خاضعا للمنفعة الذاتية أصبح محكوما بالصالح العام للمجتمع المسلم، إذ أن إسناد الرزق والمال إلى الله تعالى تقضي صرف

---

[1] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، حقق أصولها وأجازها عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، بيروت، ط1، 4،1996/440.

[2] الزمخشري. تفسير الكشاف، مرجع سابق، ص798.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المال في مستحقه، وقبول جميع أفراد المجتمع من أغنياء وفقراء بفكرة التعايش والالتحام، بصرف النظر عن نصيب كل فرد من الأموال والممتلكات.

2. **التفاضل بالأعمال لا بالأموال:** الناس لا يتفاضلون بما يملكون من ثروات وأموال، أو بما يتمتعون به من جاه وسلطان، وإنما محل التفاضل هو الوعد الحسن من الله، الذي يوجبه الله لعبده بناء على ما قدمه من أعمال صالحة في الحياة الدنيا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ القصص أية61.

والآية تفيد "إنكار التشابه بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله، أي أبعد هذا التفاوت الظاهر أن يسوي بين الفريقين"[1].

وقد أهلك الله قارون، وأهلك من قبله من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾القصص أية78. في إشارة إلى أن متاع الدنيا الزائل وحده لا يقيم للإنسان وزنا ولا يحفظ له كرامة.

أما انعكاسات ذلك على الحياة، فهو إيجاد الإنسان الصالح في نفسه، المسخر ماله في خدمة الأمة وصلاح المجتمع، وسد الفرص أمام من يستعلون بأموالهم ومراكزهم، ويستطيلون بها على الآخرين، كما أنه مجفف لعمليات سفك الدم التي غالبا ما تقوم على أساس تفضيل جنس على آخر وفق اعتبارات مادية.

3. **المال ليس غاية، بل وسيلة لإيجاد النفس الشاكرة:** عندما يتحول المال إلى غاية بذاته ينشأ عن هذا التحول ممارسات لا أخلاقية، كالربا والاختلاس والسرقة والاستحواذ على المباحات بما يضر بمصلحة المجتمع، ويؤدي إلى زيادة نسبة الأرباح بشكل فاحش، يفوق أضعافا كثيرة مما

---

[1] الألوسي، شهاب الدين السيد محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)،(د.ت)، 99/20.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بذله العمل من جهد وتعب ولو أضر ذلك بطبقة أهل العوز والحاجة، وكل ذلك يؤدي إلى شيوع أنماط من العلاقات الاجتماعية التي لا تتفق وتوجهات تعاليم الإسلام، لذا أكد الله على أن المال ليس غاية، وإنما وسيلة لإيجاد الإنسان الشاكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ القصص.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾القصص أية77.

فالله جعل الليل للسكن، كما أنه جعل النهار لابتغاء الفضل والسعي في طلب الرزق، والغاية من وراء ذلك كله تحقيق الشكر لله. وتحقيقه عندما يحسن صاحب المال التصرف فيه وفق ما يريده الله تعالى، فيجعل منه وسيلة لفعل الخير ونشر الفضيلة ومقاومة الرذيلة والتصدي لأعمال الزيغ والفساد، وهذا من معاني قوله تعالى "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة".

في مجال الإنفاق والاستهلاك:

1. عدم الإسراف: إن ترشيد الإنفاق والاستهلاك سنة إسلامية حميدة، سواء كان في المأكل أو المشرب أو الملبس أو غير ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الأنعام أية141.

وبذلك أباح الإسلام التمتع بطيبات الحياة الدنيا خلافا للمذهب المسيحي الذي توجه تعاليمه إلى نبذ الدنيا وتجميد الحياة وترك مشاريع العمران والازدهار[1].

[1] القرضاوي، يوسف. دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، مرجع سابق، ص233.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إلى جانب ذلك منع الإسلام من أعمال السرف وأشكال البطر، لما لها من أثر سلبي في نفس الإنسان، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ القصص أية58.

ومن آثار السرف:

- حصول الاستخفاف بالآخرين وتحقير شأنهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ القصص أية76. بغى عليهم: أي استخف بهم بكثرة ماله وولده[1].
- نسيان شكر الله تعالى، ثم استحقاقهم للهلاك، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾القصص أية 58. بطرت معيشتها: أي جهلت شكر معيشتها[2].

وبناء على ذلك فقد قدمت سورة القصص حلولا لمشكلة الإسراف، ومنها:

- النظر والاعتبار في سنة الله في أخذ المسرفين بعقوبات عاجلة، والاستفادة من مؤشراتها التي تفيد بضرورة عدم الانبهار بمتاع الدنيا لأنه ليس مصدرا لشعور المرء بالسعادة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ القصص أية82.

---

[1] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، 284/7.

[2] المرجع السابق، 276/7.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- تزكية القلب من التطلع إلى أساليب العيش المرفه، والنظر إلى الدار الآخرة التي جعلها الله لمن رغب عن الاستعلاء بالمال والمركز والمتعة في الدنيا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القصص أية83.
- التسامي بشهوة الإسراف والاستهلاك وتحويلها إلى هدف أسمى، كالاستزادة من العمل الصالح والسعي الجاد للحصول على ثواب الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۖ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ القصص أية80.

2. **الإنفاق في مشاريع الخير:** لقد كثر الحديث في القرآن عن الإنفاق، ولعظم أهميته ودوره في الحياة الإسلامية قرنه الله بعقيدة الإيمان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ القصص أية53-54.

من أسباب هذا الاقتران أن الإنفاق له أثره الكبير في إيجاد الحياة الطيبة، وذلك من خلال:

- تحرير الإنسان من أسر الأشياء وعبودية المادة وما يستتبعه من أثرة وأنانية وشح، ثم حصول الإشراق الروحي والارتقاء الخلقي والعمل من أجل الصالح العام.
- يعمل الإنفاق على سد نواحي العوز والنقص في المجتمع المسلم، وهو خير وسيلة للقضاء على الجريمة التي تهدد شبكة العلاقات الاجتماعية.
- لما كان العامل النفسي سبب هام في نشوء الجريمة، فإن الإنفاق من خير أنواع العلاج النفسي، فعندما يضع المرء صدقته في مشاريع الخير والتطوير تزال عنه عقدة الشعور بالذنب، التي هي من أسباب الاضطرابات النفسية، ويشعر بالسعادة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والرضا النفسي، كما أنها تذهب ما في قلب الفقير من حسد وضغينة تجاه الأغنياء، اللذين هما من أبرز عوامل نشر الجريمة .

3. **ترشيد المستهلكين وتقديم النصائح لهم:** تعتبر النصيحة من أهم وسائل التغيير في المجتمع، فهي تنبع من خلال الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين والإيمان العميق بأن وقوع الفرد بسلوك منحرف في أي نشاط من أنشطة الحياة ليس مسألة فردية، بل مسألة جماعية، لأن انعكاسات ذلك السلوك ستظهر سلبا على حياة الأمة عامة، لقوله ﷺ:﴿ مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم يؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا﴾[1].

ومن هنا نجد طائفة من بني إسرائيل تقدموا إلى قارون بمجموعة من النصائح المهمة التي تنظم تعامله المالي في دائرة الإنفاق والاستهلاك، **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص أية77.

شملت هذه النصائح على أهم استراتيجيات الاستهلاك، وهي:

أ- **تحديد أولويات الاستهلاك:** والانتقال من الأهم إلى المهم، بحيث يؤخر ما لا يستحق تعجيله، ويعجل ما لا يحتمل تأخيره، ولذا جعل القوم الإنفاق على أمور الآخرة في مقدمة وجوه الإنفاق، فهي تحتل الصدارة في سلم الأهمية.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة، والاستهام فيه، 152/3، رقم الحديث 2493.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب. **تحري جدوى الاستهلاك:** أي الاستهلاك من أجل الانتفاع وإصلاح الحال، وليس الاستهلاك من اجل مجرد الاستهلاك، أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴿٧٧﴾ ﴾ القصص. "وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك"[1].

ج- **حظر بعض صور الاستهلاك:** حظرت الآية الكريمة بعض صور الاستهلاك، وهو ذلك الاستهلاك الذي يؤدي إلى مظاهر التلوث والفساد البيئي، سواء كان في البيئة الطبيعية أو السياسية، ولا سيما في البيئة الاجتماعية، أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص أية77.

حيث تشير بعض كتب التفسير إلى مسؤولية قارون عن محاولته في توظيف المال من أجل تلويث البيئة الاجتماعية، روي ابن عباس انه قال:﴿ لما أمر الله تعالى برجم الزاني عمد قارون إلى امرأة بغي وأعطاها مالا، وحملها على أن ادعت على موسى عليه السلام أنه زنى بها وأنه أحبلها، فعظم على موسى عليه السلام ذلك، وأحلفها بالله الذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت، فتداركها الله فقال: أشهد أنك بريء، وأن قارون أعطاني مالا، وحملني على أن قلت ما قلت، وأنت الصادق وقارون الكاذب..﴾[2].

د- **تخصيص ادخار فردي:** وذلك بتحديد مخصص مالي وادخاره للاستعانة به في مواجهة الظروف الطارئة والأزمات المستقبلية، وهو السبيل الأمثل لتوفير الحاجات الأساسية على الأمد البعيد، وهذا ما نلمسه من خلال قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ القصص أية77.

---

[1] الزمخشري. تفسير الكشاف، مرجع سابق، ص809.

[2] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، 285/7.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

نصحه قومه "بتقديم ما ينفعه في الآخرة"[1]. فالآية الكريمة قد وضعت أساسا للنظرية التنموية الاقتصادية الناجحة، وهي التي تستشرف آفاق المستقبل وتعرف حاجاته، ومتى تجاهلت التنمية فكرة المستقبل تصبح متخلفة، سرعان ما تجتاحها أزمات العجز والكساد.

ح- **الاستهلاك في الصالح العام:** ينبغي أن يصرف المال في المشاريع الخيرية التي تساهم في تحسين ظروف المجتمع وازدهاره في مجالات شتى، كتطوير المجال المعرفي أو دعم المؤسسات الأسرية أو تطوير للبنى التحتية للمجتمع ونحوه، وإلى ذلك أشار قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ القصص أية77.

المطلب السابع: تكامل المؤسسات التربوية

بما أن الحديث يتناول وسائل التماسك الاجتماعي والطرق المؤدية إلى تمتين شبكة العلاقات بين جميع شرائح المجتمع، لا بد من التأكيد أن هذا لن يعطي ثماره الإيجابية في واقع الاجتماع الإنساني إلا في ظل العبور التام مرحلة التناقض المؤسساتي ثم الانتقال إلى مرحلة التكامل المؤسساتي في كل ما يتعلق بعملية التغيير والبناء التربوي.

إن حصول تصادم في الرؤى والأهداف والوسائل والخطط والبرامج التربوية في المجال الاجتماعي لهو من أخطر العواصف التي تقرع أبواب العملية التربوية وتجهض حملها، فكان من لوازم النجاح التربوي اجتماع ممثلي المؤسسات التربوية وتحديد القضايا التربوية التي تسهم في إيجاد الشخصية المسلمة التي تنهض بمسؤولية القيادة وتبعات الخلافة في الأرض.

لقد وجدنا بعض مظاهر التكامل بين المؤسسات التربوية في سورة القصص، التي ظهرت لنا من خلال:

---

[1] الألوسي. روح المعاني، مرجع سابق، 113/20.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

1. **مؤسسة الأسرة:** تمثلها أم موسى عليهما السلام.

2. **طبقة الحكام والمسؤولين:** تمثلها زوجة فرعون.

3. **طبقة العلماء:** يمثلها الطائفة التي واجهت قارون.

4. **جهاز الإعلام:** يمثله الرجل الذي جاء ساعيا إلى موسى عليه السلام من أقصى المدينة.

لقد ركز العاملون ضمن هذه المؤسسات على تقوية الجبهة الداخلية للمجتمع، وحمايته من العوامل التي تخلق فيه حالة من الفوضى والاضطراب، من خلال تثبيت القيم التي تضمن وجوده وبقاءه، وفيما يلي سنعرض بعض الإسهامات التي قاموا بها على هذا الصعيد:

1. **مؤسسة الأسرة:** فالأسرة هي البيئة الأولى التي تدعم أنماط السلوك الاجتماعي، ويمكن أن تعطي التأثير الإيجابي في حياة الفرد والمجتمع، وقد لمسنا أثر ذلك في الدور الذي قامت به أم موسى عليهما السلام، وهو غرس شعور الإحساس بالآخر، والسعي في سد حاجته والوقوف إلى جانبه في المضرات، وهو عمل ينطوي على جانب عظيم في الحفاظ على وحدة المجتمع، الذي يقوم أساسا على الارتقاء بالإنسان من درجة الأنانية والعمل من أجل الذات إلى درجة التضحية في سبيل الغير، حيث أرسلت ابنتها لتقصي أخبار أخيها موسى عليه السلام، وكانت هذه المحاولة بمثابة الخطوة الأولى في جمع شمل العائلة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص آية11.

2. **طبقة الحكام والمسؤولين:** وهم أصحاب السلطة والكلمة النافذة في المجتمع، ولهم دور عظيم في ضمان صحة وسلامة الناحية الاجتماعية، وقد مثل هذا الدور زوجة فرعون، حيث تقدمت إلى زوجها بنصيحة كان لها الأثر في حفظ حياة موسى عليه السلام وحمايته من القتل، وقد قُدر له أن يحيا ويشب ليكون سببا فيما بعد في وضع حد لمعاناة شعب بني إسرائيل، وتخليصهم من أبشع عمليات الذبح والترهيب، وهو من أحسن صور العمل التي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تحفظ بنيوية المجتمع وتماسكه، وتمده بماء الحياة والبقـاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص أية9.

3. **طبقة العلماء:** يمثل هذا الدور طائفة من أهل العلم من بني إسرائيل، حيث قدموا مجموعة من الرؤى التربوية التي تعالج عدة مجالات في الواقع الاجتماعي، ومن بينها تكوين مشاعر إيجابية بين الأغنياء والفقراء، وذلك بإحساس الغني بحاجة الفقير والإحسان إليه وعدم الإسراف الذي يضر بالفقير، وهي نصائح هامة في تدعيم الكيان الاجتماعي وتحويله إلى لحمة واحدة في الجانب الحسي والمادي، وقد ذكر الله بعضا من هذه المواقف، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص أية77.

4. **جهاز الإعلام:** يساهم الإعلام إلى حد كبير في تحولات الحياة وتغيرات المجتمع، لما يتمتع به من سلطان هائل على عقول الناس وقلوبهم، إما بتغيير طريقة تفكيرها، أو تحديد ميولها، أو تنمية اتجاهات جديدة، وتكمن أهمية التأثير الإعلامي في قدرته على بناء المجتمع والمساهمة في زيادة تماسكه واستقراره، وذلك من خلال تجلية الحقائق، ومواكبة الأحداث وكشف المؤامرات التي تحاك ضده بهدف اختراقه وإحداث الخلل.

رأينا الشخصية التي مارست الدور الإعلامي على مسرح الأحداث متمثلة في ذلك الرجل الذي جاء من أقصا المدينة ساعيا إلى موسى عليه السلام، حيث في ظل انعدام أجهزة الاتصال الحديثة في تلك المجتمعات كان الأفراد هم العامل الأول في العملية الإعلامية، حيث يتم نقل المعلومات والبيانات من فرد إلى آخر بهدف رفع كفاءة العيش وتحسين ظروف المجتمع، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ القصص أية20.

أما ميزات الإعلام الهادف الذي يستهدف حماية المجتمع من عوامل التفكك فهي:

1. **الشعور بالمسؤولية نحو المجتمع:** وذلك بالاهتمام بقضايا المجتمع واستجلائها، وقد ظهرت مسؤولية الرجل عندما خرج "يسعى"، أي راكضا على قدميه[1]، إشارة على رقي شعوره بالمسؤولية في سبيل مصلحة المجتمع.
2. **المصداقية:** أي تحري الصدق في نقل الخبر وتصوير الأحداث على حقيقتها دون زيف أو تضليل، وهو ما قام به الرجل حين نقل الخبر إلى موسى عليه السلام بصورة تتطابق مع الواقع، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾القصص أية20.
3. **تقديم الحلول:** لا تقف مهمة الدور الإعلامي في تشخيص الحالة الاجتماعية وكشف أبرز قضايا المجتمع بنزاهة وأمانة، دون الاهتمام بتقديم أي عروض تساعد على مواجهة هذه الحالة وسبل معالجتها، ومن هنا رأينا اهتمام "الرجل الساعي" بتقديم رؤيته الخاصة أمام موسى عليه السلام لمواجهة الموقف الطارئ وكيفية تجاوزه، وهو ضرورة المغادرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾القصص أية20.

[1] السعدي. تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص858.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

عندما يتم التكامل بين هذه المؤسسات؛ الأسرة، والحكام، والعلماء والإعلام ويحصل بينها التوافق في الرؤى والوسائل والأهداف، فإن ذلك يؤدي إلى:

1. إزالة التناقض بين عمل هذه المؤسسات، الذي يعتبر المسؤول الأول عن وجود مجتمع يعج بالمتناقضات وعدم الاستقرار، بسبب ما تطبعه في نفوس أفراده من قيم وأخلاق متناقضة.
2. الحفاظ على وجود هذه المؤسسات، وزيادة فرص نجاحها وقوة تأثيرها في شبكة العلاقات الاجتماعية.
3. وجود الأفراد الذين يتمتعون بقدر عال من ثبات الشخصية، واستقامة السلوك، وهو مطلب أساس للارتقاء في الأداء الاجتماعي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل السادس: البناء الدعوي

وفيه

المبحث الأول: أهداف البناء الدعوي

المبحث الثاني: وسائل البناء الدعوي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تمهيد

الدعوة إلى الله من ضروريات الدين وقواعد الإسلام، ولا سيما حين يدخل الدخن في عقيدة المسلمين أو في تصوراتهم أو في عاداتهم أو ما يتعلق بنظم حياتهم، عندئذ ينبغي أن يشحذ الدعاة عزائمهم لرد جموع الأمة إلى جذورها الأصلية، منهجا وعلما وفهما وسلوكا وتطبيقا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾آل عمران أية104.

فهذا هو وحده السبيل للحفاظ على خصائص الأمة والارتقاء بها إلى مقام الخيرية من بين أمم الأرض جميعا، حيث تنعدم فيها مظاهر الكفر والشرك، وتتلاشى مشاعر الحقد والبغض، وتختفي معالم الأثرة والأنانية، ويظهر المجتمع المسلم بمظهر يسكب الشعور بالسعادة والراحة للغادي والرائح، وهي طبيعة ملازمة لأي مجتمع يقوم فيه جهد الدعوة وتنشط فيه همة التبليغ إلى الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ آل عمران أية110.

وفي هذا المبحث سنقوم بعرض الحقائق الأولية التي تتعلق بطبيعة البناء الدعوي وطريق أدائه، والتي لها الأثر الكبير في جني ثمرة الجهد الدعوي، التي تتمثل في تلقي الناس للدعوة، واستجابتهم لها في واقعهم البشري بكل قناعة وإصرار.

وقد جعلنا هذا الفصل ضمن مبحثين، وهما:

المبحث الأول: أهداف البناء الدعوي.

المبحث الثاني: وسائل البناء الدعوي.

وبناء عليه فإن هذا الفصل يجيب عن السؤال الآتي:

ما الأهداف التربوية للبناء الدعوي، وما وسائله كما يتضح من سورة القصص؟

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: أهداف البناء الدعوي

ما دامت الدعوة إلى الله تنتهي في الدنيا إلى رسم المعلم الحقيقي لمنهج الله في حياة الأفـراد والجماعات في الدنيا، ونيل الرضوان الأكبر من الله في الحياة الآخرة، وهو أمر يتطلـب إعـدادا مسبقا وتهيئة كاملة، كان لا بد من ضرورة وضع خطة مسبقة تنتظم فيها مسيرة الدعوة إلـى الله، وتهيئ الداعي للعمل في هذا المجال بلا ارتجالية أو عشوائية، وذلك من خلال تحديد الغايات التـي يجب العمل على تحقيقها.

ومن خلال الرجوع لسورة القصص وجدنا أنها قد حوت على بعض القواعد الناصعة التـي تستحق أن تكون أهدافا عامة للمشروع الدعوي، بحيث يعني الالتزام بها ضمان عدم حصول تبديل أو تحريف أو تغيير في سير الدعوة، مع ضمان موافقتها لإرادة الله، وهي على النحو التالي:

المطلب الأول: تهيئة الإنسان لمهمة نشر الدعوة.

المطلب الثاني: تنمية المهارات الدعوية.

المطلب الثالث: تنمية دافع حب النصيحة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الأول: تهيئة الإنسان لمهمة نشر الدعوة

تحتاج الدعوة إلى تهيئة النفوس لها، وذلك بشحذ الطاقات وتعبئة القدرات، وهو أمر تقتضيه طبيعة العمل الدعوي، الذي لا يقتصر السعي فيه على حث الناس فيه على أداء الشعائر العبادية فحسب، وإنما هو سعي جاد لتغيير ما في النفوس من قيم وأفكار مألوفة، وعادات ونظم قد جرى عليها البشر منذ عهد طويل، حتى ضربت بجذورها في أعماق النفس ، مما يجعل تغييرها لا يقابل بالرضى والتسليم، بل يواجه باستنكار على مستوى الأفراد والجماعات أو على صعيد المؤسسات والحكومات.

إن هذه الرؤية لطبيعة الدعوة تفيد بضرورة تهيئة الأشخاص لهذه المهمة الشاقة، وإعدادهم إعدادا خلقيا وبدنيا ونفسيا قبل خوض غمارها، بصورة تمكنهم من مواجهة التحديات ومقاومة الصعاب التي تعترض طريقهم أثناء الدعوة بجدارة واقتدار.

تعتبر سورة القصص نموذجا لمنهج الإسلام في هذا الإعداد، الذي تم عرضه من خلال الأداء الفني لقصة موسى عليه السلام.

ومن أبرز الأمثلة على بعض نواحي الإعداد الإلهي لموسى عليه السلام ما يلي:

1. **القدرة على الاتصال بالآخرين:** وهي من أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في شخصية الداعي، حيث أن فقدانها يعني تعطيل مشروع الدعوة، وقد كان لهذه الصفة الأثر الكبير في استجابة الناس وجلب قلوبهم نحو العقيدة الإسلامية، وقد رأينا أن الله قد هيأ موسى عليه السلام لهذه الصفة في أشد الظروف حلكة، حين خرج من مصر طريدا متوجها إلى مدين، وقد قُدر له هناك أن يتصل بشكل مباشر مع بنات مدين، ويستطلع أحوالهن في حدود الذوق والأدب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ القصص أية23. وكذلك حين التقى مع أبيهن وعرض له من خلال هذا الاتصال معلومات تتعلق بمشاكله التي واجهته، وقد أثمر حسن هذا الاتصال بأن زوجه من ابنته،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ﴾القصص أية27.

وقد لمحنا أيضا حسن هذا الاتصال عندما حث أهل العلم قارون على العمل الصالح، فاختاروا أعذب الكلمات وألطفها، واعتمدوا الرفق في النصح والتوجيه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص أية77.

2. **حسن التصرف في حل المشكلات:** لقد شاء الله أن يمر موسى عليه السلام ببعض المواقف التي تكسبه القدرة على مواجهة المشكلات الجديدة وإعطائه فرصة لوضع الحلول المناسبة والسريعة لها، بناء على ما يعقبها من نتائج، كتدريب له على ممارسة ذلك ضمن مجال أوسع في المستقبل، ومن جملة ذلك عندما حاول فض النزاع بين رجلين يقتتلان، مستخدما أسلوب الدفع الجسدي لحل هذه المشكلة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ القصص أية15. ولما تبين له أنه أساء التصرف في حل المشكلة الراهنة هتف قائلا، ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ القصص أية16.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الثاني: تنمية المهارات الدعوية

هناك عدة مهارات يقوم الجانب الدعوي على تنميتها في شخصية الإنسان، حيث تساعد فيما بعد على تحسين كفاءة الفرد في محيطه الداخلي والخارجي، ومن جملة هذه المهارات ما يلي:

1. **تنمية المهارات القيادية:**[1] القيادة من المسائل المهمة في حياة الأمة، حيث يتعلق بها مصير الأمة ودرجة انحدارها أو ارتقائها، ولذا فإن مستقبل الأمة يتوقف على وجود الشخصيات القيادية فيها، وقد وجدنا اعتناء سورة القصص بإظهار بعض المهارات القيادية التي يجب العمل على غرسها وتنميتها في نفس الإنسان، ومنها:

أ. **الإخلاص والتجرد:** مما ينبغي صب الجهد عليه تنمية حب الإخلاص والتجرد لدى الشخص المسلم، وهو يشكل مفتاح الشخصية القيادية الإسلامية، كما أنه سر نجاحها وعظمتها في مختلف نظم الحياة، بحيث يمكن الشخص من زيادة تفوقه الشخصي والاجتماعي، وحين يكون الدافع على أي نوع من أنواع السلوك هو ابتغاء رحمة الله ورضوانه فإن مشاعره للقيام بهذا السلوك تتعاظم، ويزداد عنده الاندفاع نحو العمل والاستثمار، كما يعمل على إبقاء الحالة النفسية في درجة التوازن والاعتدال، ولا سيما حين ينعدم المردود المادي أو لا يرتقي إلى مستوى الجهد الذي بذله الفرد.

لقد أظهرت سورة القصص مهارة التجرد والإخلاص حينما قام موسى بسقي الأغنام لبنات مدين ثم تولى إلى الظل دون أن ينتظر منهن جزاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ القصص أية24.

---

[1] مزيدا من هذه المهارات ينظر إلى مبحث أهداف البناء الخلقي، ومبحث الوسائل في نطاق التماسك الاجتماعي، حيث اقتصر الباحث على المهارتين المذكورتين في متن الرسالة تجنبا للحشو والتكرار.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

ب. **العلم والحكمة:** لما كان من طبيعة العمل الدعوي مواجهة تحديات خارجية، تتمثل في تيارات فكرية ضالة، ومذاهب منحرفة تقوم بين الفينة والأخرى بهجمات شرسة تستهدف قلب الحقائق وتلفيق التهم وإثارة الشبهات، مستخدمة كافة الوسائل المادية من أموال وإعلام ومؤسسات، في محاولات للصد عن سبيل الله، وزعزعة ثقة المرء بنفسه ودينه، وإدخاله في حالة من الحيرة والإرباك، التي ربما تنتهي بالعزوف عن دينه، كان لا بد من تهيئة الداعي تهيئة كاملة في مجال العلم والفكر، بحيث يصبح متميزا في العقل، فاهما للواقع، أخذا بالدليل والبرهان، عدوا للخرافة والوهم، مستفيدا من علوم النفس والاجتماع والاقتصاد بما يمكنه من عرضها أمام الناس بصورة تظهر مدى تفوق شريعة الله على كافة الشرائع والنظم.

ومن هنا نلمس أهمية الإعداد الإلهي لنبيه موسى عليه السلام في مقتبل شبابه وقبل تكليفه بالرسالة، حيث أعده لهذه المهمة بأن رزقه العلم وزوده بالحكمة، كضرب من ضروب التهيئة للمشروع الدعوي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ القصص أية14.

ج- **التأقلم مع الظروف الاستثنائية:** لما كان خط الحياة لا يسير وفق نمط محدد، مما يعني تغير الظروف وتداول الأحوال على الإنسان، فتارة تجعل من حياة الإنسان آمنة مطمئنة، وتارة تجعلها قلقة، وتارة تجعلها سعيدة وتارة حزينة، فكان لا بد من أن يصاغ إنسان الرسالة صياغة قيادية تمكنه من تفهم الحياة وتقبل ظروفها _ مع الاحتفاظ بحق العمل من أجل توفير حياة أفضل _ دون أن تسيطر عليه الأفكار السلبية ومشاعر اليأس والإحباط، بل تتحفز عنده همة العمل والسعي من أجل النجاح والإنجاز.

ومن هنا وجدنا موسى عليه السلام قد بلغ أسمى درجات التكيف مع الظروف الاستثنائية عندما واجهها جميعا بحزم، دون أن يدع مجالا للإحباط بالنيل من عزيمته، ثم مضى قُدما من أجل أن ينعم بحياة أفضل، فقد كان يعيش في أحضان أسرته، فتغيرت الظروف وألقي به في النهر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِى ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص أية7. ثم انتقل منه إلى حياة القصور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص أية9. ثم تطورت الأحداث فيخرج مضطرا إلى خارج وطنه شريدا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ القصص أية22. ثم يعمل أجيرا لشيخ مدين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ ﴾ القصص أية27. ثم أخيرا يقفل راجعا إلى موطنه بمصر، ليتحقق وعد الله في حياة أفضل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ القصص أية5. كل ذلك قد عايشه موسى عليه السلام لحظة بأخرى، دون أن يدع للظروف مجالا أن تثنيه عن سجاياه أو تغير طبائعه أو يستسلم لها.

د. بعث الأمل في النفوس: تبلغ الآمال درجة هامة في حياة الإنسان وتحقيق مطالبه، فما أضيق العيش لولا فسحة الأمل، وهذه نقطة مركزية ينبغي أن تتظافر فيها الجهود التربوية من أجل تشكيل شخصية قيادية ناجحة، تندفع بحماس نحو التميز والإبداع، إذ لا سبيل من رفع الهمم إلا عن طريق زرع الأمل في النفوس أولا، الذي يعني فتح رؤى مستقبلية أمام الفرد أو الجماعة تتسم بالتفاؤل والإيجابية، مما يحفزهم على تحقيق هذه الرؤية.

ومن هنا نجد في مستهل قصة بني إسرائيل _الذين ظُلموا_ ما يوقد في نفوسهم شعلة الأمل، ويبدد منها سحب الخوف والعجز، وذلك بوعد الله لهم "بالظفر والتمكين في الأرض، يتصرفون فيها كما

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

شاعوا "[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ القصص أية5.

ومن وسائل بعث الأمل في النفوس التذكير بقدرة الله على إهلاك الكفر وأهله، وتدمير جنده وأعوانه، وفق تقدير إلهي يعجز البشر عن إحاطته، فقد يشاء الله للجبابرة والمتغطرسين في الأرض أن يدمروا أنفسهم بأنفسهم، ويخربوا بيوتهم بأيديهم، والشاهد على ذلك أن القابلة التي أولدت أم موسى عليه السلام كانت من أقباط مصر، والنجار الذي صنع الصندوق حتى تضع ولدها به من الأقباط، والذي التقط موسى عليه السلام من النهر كان من آل فرعون، والذي فتح الصندوق بنفسه هو فرعون أو امرأته، والمكان الآمن الذي حضن موسى عليه السلام هو قصر فرعون[2].

2. **تنمية مهارة الإلقاء والإقناع:** يعتمد جانب الدعوة إلى الله تعالى على تبليغ الرسالة والقدرة على إقناع الآخرين بها، فوجود هذه الملكة من أهم مؤهلات الداعية الناجح، بحيث يحتاج إليها الداعية في معظم محطات الدعوة إلى الله، فلا مندوحة عنها في مجال النصيحة والحوار الفردي، أو الكتابة، أو إدارة المؤسسات الدعوية، أو الحديث العام أو الخطابة[3]، وقد لمسنا في سورة القصص مهارة الإقناع من خلال قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا

---

[1] الألوسي. روح المعاني، مرجع سابق، 44/20. بتصرف.

[2] الشيرازي، ناصر مكارم. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مطبعة الأميرة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005، 121/12.

[3] الدويش، محمد بن عبد الله. تربية الشباب، مرجع سابق، ص129.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ القصص أية57-61.

يذكر أن سبب نزول الآية أن بعضا من قريش ﴿قالوا للنبي ﷺ: نعلم أن قولك حق، ولكن منعنا من إتباعه والإيمان به مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا﴾[1]، فأنزل الله الآية.

لقد استخدمت الآيات وسائل عدة لإقناع القوم بخطأ تصورهم هذا، وهي على ما يلي[2]:

أ. **الله وحده واهب الأمن والرزق:** وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ القصص أية57.

ب. **نفي وقوع الضرر بحصول الطاعة**[3]: الضرر الذي ظنوه أن سائر العرب سوف يهلكونهم ويخرجونهم من أرضهم إن أدوا الطاعة لمحمد ﷺ، وهي الإيمان بالرسالة.

ج. فبين لهم الله أن طاعة العبد لله لا تأتي إلا بكل معاني الحسن والكمال والجمال، وسبب في حصول الأمن، وهو وعد سينجزه الله لعبده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾القصص أية61.

د. **وقوع الهلاك لا يكون إلا بمعصية الله:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ القصص أية58.

بطرت: أي جهلت شكر معيشتها[4]، وهو أحد مظاهر المعصية، فاستحقوا بذلك الهلاك.

---

[1] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، 275/7.

[2] أنظر حبنكة، عبد الرحمن حسن. فقه الدعوة إلى الله، 1/ 591 وما بعدها.

[3] http://www.nabulsi.com/text/03quran/1friday/028kasas/kasas-10.php

[4] المرجع السابق، 275/7.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ه. **استخدام وسيلة الأحداث الجارية:** حيث كان العرب في الجاهلية يغير بعضهم على بعض، فيقتلون ويسرقون، إلا أهل الحرم كانوا في أمن من هذا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ ﴿٥٧﴾ ﴾ فإذا نعموا بالأمن في الجاهلية، فهل يُتصور عقلا أن يسلب الله منهم هذه النعمة بعد أن يؤمنوا بهذه الرسالة ويؤدوا لها الطاعة.

و. **استخدام وسيلة الواقع التاريخي:** فالواقع التاريخي ينبغي أن يستثمر في سبيل تعديل أفكار الناس وتصويب تصوراتهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ في هذه الآية شهادة التاريخ على أن ظلم الأمم السالفة، وتكذيبها لله ورسله أوقعهم في العذاب والهلاك.

3. تنمية مهارة اتخاذ الحيطة والحذر

يأتي دافع الأمن على النفس في مقدمة الدوافع النفسية، وأكثرها أهمية على الإطلاق، لذلك يحرص الإسلام على إشباع هذا الدافع لأنه عنوان الحياة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴾ قريش أية3-4.

فقد قرن الله دافع الجوع مع دافع الأمن، فكما أن الحياة البشرية تستحيل بدون الطعام، كذلك فإن انعدام الأمن يفوت على الإنسان فرصة البقاء في الحياة[1].

لذا أكدت سورة القصص على ضرورة أخذ الحيطة والحذر خاصة في الظروف الاستثنائية وتحيق بالمجتمع المسلم ممارسات أهل الشر والفساد، تصديقا لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴾ النساء.

---

[1] التل، شادية أحمد. لشخصية من منظور نفسي إسلامي، مرجع سابق، ص184.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومن هذا المنطلق عنيت سورة القصص بتنمية هذا الجانب لاكتمال البناء الدعوي، ومن صور ذلك

أ. **تجسس المسلم لمعرفة أخبار العدو**[1]: أي حشد الطاقات المادية والمعنوية لرصد أخبار العدو وحركته، بغية الوقوف على معرفة حقيقته وماذا يخطط له، وهو أحد أنواع الأخذ بأسباب دفع الشر عن النفس، وتحقيق النصر على العدو، ومن هذا المنطلق كان ثمة رجل يرصد حركة فرعون وأعوانه، ويعنى بجمع المعلومات عنهم حتى أطلع موسى عليه السلام على حقيقة أمرهم ونصحه بالخروج من مصر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ القصص أية20.

ب. **التخفي عن أعين العدو**: كشفت السورة عن ضرورة الأخذ بمبدأ السرية والكتمان، وضرورة الاختفاء عن أعين العدو المتربص، وذلك من أجل تفويت فرصة تنفيذ المخطط وإمضاء التهديد، وهو ما فعله موسى عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ ﴾ القصص أية15.

ج. **الابتعاد عن مصدر الخطر**: قد يكون التخفي عن أعين العدو لا ينهض بتلبية الحاجة الأمنية، حيث ما زال الخطر قائما، وهنا لا بد من القيام بخطوة أكثر فاعلية في مواجهة الخطر الداهم، وذلك بالابتعاد عن مصدره والانطلاق إلى موطن يتوافر فيه عنصر الأمن، إما بسبب مادي كوجود ملاجئ وحصون، أو بسبب معنوي كمركز اجتماعي عال، وهو ما قام به موسى عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ القصص أية21-22.

---

[1] ابن الطاهر، نور الدين بن محمد. أساليب التعامل مع الخصوم في ضوء السنة النبوية، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، إربد، ط1، 2005، ص150.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

4. تنمية مهارة إنكار المنكر

المنكر: هو ضد المعروف وهو ما عرف قبحه نقلا وعقلا. قال ابن جرير:" وأصل المنكر ما أنكره الله، ورأوه _أي أهل الإيمان_ قبحا فعله، ولذلك سميت معصية الله منكرا، لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها، ويستعظمون ركوبها"[1].

لما كان الإسلام دين هدى وفلاح، جاء لمصلحة الإنسان وهداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة، لذا فقد سمى بأهدافه ووسائله عن كل دين ونحلة على وجه الأرض، ومن مجالات هذا السمو ما كان داخلا في نطاق النهي عن المنكر، والتعامل مع الطرف الآخر في دائرة الخلاف والمخالفة، الذي هو أحد مظاهر الحياة الإنسانية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ هود أية118.

ولما كانت أهداف إنكار المنكر واضحة، وهي ما يلي[2]:

- إعلاء كلمة الحق.
- إزهاق الباطل.
- كسب المخالف.
- المعذرة أمام الله.

فقد أشارت سورة القصص إلى مجموعة من وسائل إنكار المنكر في مجالات الفكر والأخلاق والعقيدة وهي:

أ. **الوعظ بالكلام اللطيف:** من أجل كسب قلب المخالف لا بد من التوجه إليه بكلام يبعث في نفسه الإيمان والحب لسماع النصيحة، فالنفس مجبولة على النفور من خشن الكلام وشدة

---

[1] الطبري، محمد ابن جرير. جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق محمود شاكر، مطبعة دار المعارف، مصر، 100/3.

[2] الطريقي، عبد الله إبراهيم. فقه التعامل مع المخالف، دار الوطن، الرياض، (د.ط)،(د.ت)، ص25.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الألفاظ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران أية159.

ومن هنا نجد القوم الذين توجهوا إلى قارون بالنصح قد أحسنوا انتقاء الألفاظ، وامتلكوا الوسيلة الحسنى في التوجه إليه، دون تعنيف أو توبيخ، وغير ذلك مما يضيع غايات الدعوة ومقاصد الهداية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص أية77.

ب. **هجرهم والابتعاد عنهم:** ومن صور هجرهم عدم مجالستهم، والابتعاد عن مجاورتهم، وعدم الكلام معهم، وذلك اتقاء لشرهم، ودفعا لفسادهم، ومن باب تضييق الخناق عليهم حتى لا يفشو منكرهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ القصص أية55.

ج. **التدخل المباشر:** من أجل دفع الظلم ورد الحق وحفظ الأعراض والنفوس قد يلجأ الشخص إلى خيار آخر وذلك باستخدام الجوارح، كسبيل إلى الجمع بين المصالح المختلفة وعدم هدر أحدها، وهو ما قام به موسى عليه السلام عندما سقى الأغنام لبنات مدين، ذلك أن استخدام الوعظ والكلام اللطيف قد لا يجدي نفعا وسط جلبة الصوت والزحام على الماء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ القصص أية24.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثالث: تنمية دافع النصيحة

النـــصيحة: أي إخلاص النية من الغش للمنصـــوح له، أو هو تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه، فالمؤمن ينبغي أن يحب الخير لنفسه وللناس جميعا، وينزع دائما إلى حب التوجيه والنصح للآخر، ليشيع الخير ويسود التعاون بين الناس على البر[1]، قوله ﷺ:﴿ الدين النصيحة، قلنا: لمـــن، قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم﴾[2].

ويعبر عنها ابن حجر العسقلاني بقوله:" النصيحة مشتقة من النصح، وهي الخياطة، والمعنى أنه يلم شعث أخيه بالنصح كما تلم المنصحة، ومنه التوبة النصوح، كأن الذنب يمزق الدين والتوبة تخيطه، وقوله: الدين النصيحة، يحتمل أن يكون محمولا على المبالغة، كما جاء في الحديث"الحـــج عرفة"، ويحتمل أن يحمل على ظاهره، لأن كل عمل لم يرد به عامله الإخلاص فليس من الدين"[3].

وعند التأمل في سورة القصص وجدنا النصيحة قد طالت مجالات عدة من شرائح المجتمع، وهي:

أ. **النصح للأمراء أو الحكام:** وذلك بتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنـــه، مـــن حقوق الله وحقوق الناس، ورفع الظلم عن العباد، وهو ما قام به موسى عليه السلام عندما توجـــه إلى فرعـــون، قَالَ تَعَالَى:﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ القصص أية36.

ب. **النصح لأرباب الأموال:** وذلك من أجل إرشادهم إلى ما أحل الله وما حرمه مـــن الأمـــوال سواء كان في دائرة الاستثمار والكسب أم الإنفاق والاستهلاك، والهدف من ذلك حماية حق

---

[1] طاهر، علوي عبد الله. الأنموذج القيادي التربوي الإسلامي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2007، ص336.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ:"الدين النصيحة.." 24/1، رقم الحديث 43. ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، 225/2، رقم الحديث 194.

[3] العسقلاني. فتح الباري، مرجع سابق، 187/1 بتصرف طفيف.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفقراء، ومقاومة الطغيان المادي وتحقيق العدل في التوزيع والثروة، وهو ما قام به أهل العلم تجاه قارون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص أية77.

ج. **النصح لعامة الناس:** وذلك بتقديم ما يلزمهم من توجيهات وإرشادات بهدف درء أشكال الضرر عنهم، والوقوف إلى جانبهم في الشدائد والمحن، قال ابن رجب:" فأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويشفق عليهم. ويحب ما يصلحهم وألفتهم ودوام النعم عليهم، ونصرهم على عدوهم، ودفع كل أذى ومكروه عنهم"[1].

وهو ما قام به الرجل الذي جاء سعيا إلى موسى عليه السلام بقصد تنبيهه إلى حجم الخطر الذي يتهدده، وإعانته على مجاوزة هذا الخطر بسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ القصص أية20.

د. **النصح لذوي القربى:** من أجل دعم العلاقات الاجتماعية وتوثيق الصلات بين كافة أفراد العائلة والحفاظ على ديمومة التواصل الأسري في أعلى مستوياته ومعالجة المواقف المستجدة دون حدوث خلل يودي بمصير الأسرة، لا بد من فتح قنوات النصح داخل البناء الأسري، الذي يمنع الأسرة من عوامل التمزق والسقوط، وقد ظهر ذلك جليا من خلال النصيحة التي أسدتها البنت لأبيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ القصص أية26.

---

[1] ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 1996، ص89.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني: وسائل البناء الدعوي

مما ينبغي أن يعلم أن أهداف البناء الدعوي لا تتحقق من فراغ، ولا تظهر على السطح بشكل مباغت، فقد اقتضت سنة الله في الخلق خلق الغايات وإيجاد وسائلها، وخلق المسببات وإظهار أسبابها، وهذه سنة تنطبق على كافة أطر الحياة الإنسانية.

والبناء الدعوي خاضع بدوره لهذه السنة الإلهية، فقد حدد الله لنا من خلال سورة القصص بعضا من غايات البناء الدعوي، وصاغها صياغة موضوعية، بما يدخل في نطاق الوسع الإنساني وقدرته على تحقيقها، ثم وضع لها الوسائل المناسبة التي تعمل على توفيرها وإيجادها في عالم الإنسان.

وسيقوم الباحث بعرض أهم وسائل البناء الدعوي في سورة القصص وفق النحو التالي:

المطلب الأول: انتقاء العناصر الصالحة للقيادة والدعوة.

المطلب الثاني: المرور بالخبرات العملية.

المطلب الثالث: دراسة التاريخ والخبرات الماضية.

المطلب الرابع: دراسة الشبهات المثارة ضد الإسلام ودحضها.

المطلب الخامس: الهجرة.

المطلب السادس: اعتماد الناطق الرسمي للدعوة.

المطلب السابع: عرض الإسلام بصورته الشاملة.

المطلب الثامن: تنوع أساليب الدعوة.

المطلب التاسع: تعاون الدعاة في المشروع الدعوي.

المطلب العاشر: الالتزام بقواعد أدب الدعوة.

المطلب الحادي عشر: استخدام الحكمة في الدعوة إلى الله.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الأول: انتقاء العناصر الصالحة للقيادة والدعوة

إن مهمة القائد أمر ذو بال في حياة الأفراد والجماعات، فبرغم جميع نظريات العدالة والمساواة إلا أن هناك العديد من الرجال الذين يعانون جليا من حاجتهم إلى الاعتماد على من يتفوقون عليهم، لأنهم يشعرون بالارتباك والتردد عندما لا يجدون حولهم من يأخذ بأيديهم ويشجعهم ويعتمدون عليه، لذلك فإن حضور القائد الجدير بلقبه هو بالنسبة لكل فرد بمثابة السند والقوة والطمأنينة، حيث يجب العمل على اختياره بدقة وروية من بين أجناس البشر[1].

إن اختيار العناصر الصالحة للقيادة أمر غير يسير المنال، وهي مهمة شاقة ودقيقة تحتاج إلى فن ومهارة في الوقت ذاته، لأنها لا تعني مجرد اختيار، بل هي اختيار أشخاص يتركون بصمة بارزة في تاريخ الإنسانية، ويتطلب ذلك إلى وضع الخطط والمناهج والبحوث التي تعمل جميعا على صياغة الشخصية صياغة قيادية، بحيث تتمكن فيما بعد على تنسيق الجهود مع الهدف التي ترغب في تحقيقه، رغم ما تواجهه من صعوبات وعراقيل، وتحمل المسؤولية الكاملة، وتكرس التضحيات المستوجبة لنجاح المشروع الذي تؤمن به[2].

إن اختيار الله لموسى عليه السلام بحمل الرسالة الخالدة إلى من تجاوز بطغيانه كل الحدود، هو شهادة من الله بأن موسى عليه السلام هي الشخصية التي اجتمعت فيه الصفات المنشودة التي رشحته لتولية القيادة، ومن جملة هذه الصفات:

- عدم اليأس من دعوة الأشخاص الذين بالغوا في التطرف والانحراف، والعمل على دمجهم في المشروع الإصلاحي ليكونوا وسائل داعمة للمشروع، وقد ظهر ذلك من خلال دعوة موسى عليه السلام فرعون.

---

[1] ج- كورتوا. الطريق إلى القيادة وتنمية الشخصية، ترجمة سالم عيسى، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1999، ص7.

[2] المرجع السابق، ص9.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كذلك عدم اليأس من البيئة التي طغى فيها الفساد ووصل ظلمها إلى عنان السماء، فقد يوجد في شر بقاع الأرض وأكثرها كفرا وعدوانا، من يدرك الحق ويناصر أهله، ويعمل على إحباط المؤامرات التي ينسجها أهل الباطل، كأمثال الرجل الذي جاء ساعيا إلى موسى عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ القصص.

- الإيمان بنجاح المشروع والشعور بإمكانية التفوق، وهو ما حصل لموسى عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ القصص أية35.
- الجرأة والحماسة في خوض المهمات الصعبة والمواقف الشرسة مع عدم المبالاة بالمخاطر التي تتهدده، إن كانت على حساب أداء واجبه، أو كرامة من يتولى قيادتهم وحريتهم ونصرتهم.
- إذا كان من صفات القائد معرفة كفاءة الرجال بشكل علمي دون الوقوع في غمرة العواطف والمحسوبية، فقد وجدنا أيضا هذه الصفة قد تجلت في شخصية موسى عليه السلام القيادية، وذلك حين طلب من ربه أن يرسل معه أخاه هارون عليه السلام، حيث كان يعي جيدا بجسامة العمل المطلوب منه، وهو إذ طلب من ربه ذلك، فإنه ليس بحكم القرابة أو الزمالة أو الجوار، وإنما بحكم ما يتمتع به هارون عليه السلام من كفاءة عالية تؤهله للقيام بالدور المنوط به، حيث كان فصيح اللسان، وهي صفة أساسية فيمن يتصدى لمواجهة الباطل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ القصص أية34.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الثاني: المرور بالخبرات العملية

المنظومات المعرفية والفكرية والتقنية تنمو وتتطور ضمن أطر واسعة[1]، فكلما تقدم عمر الإنسان وازدادت مساحة احتكاكه مع أحداث الحياة، فإنه يكتسب بذلك خبرات جديدة، ويضيف إلى مخزونه المعرفي كمّا من العلوم والمعارف والقيم الفكرية التي كانت في يوم من الأيام في طي الجهل.

لقد شاء الله بحكمته ألا يعيش الإنسان بصورة انفرادية في مغر الجبال أو قيعان الأودية أو ظلمات الكهوف، لا يتفاعل مع متغيرات الحياة وأحداث البيئة، ذلك الوضع الذي يجعل تشابها كبيرا بين نهاية عمر الإنسان وبدايته، فيموت على الحالة التي ولد عليها، دون أن يستفيد من معطيات الحياة، ودروسها الغزيرة.

إن عيش الإنسان وسط المحيط الاجتماعي وتفاعله مع مختلف المواقف والأحداث يعود بالنفع عليه، حيث يساهم في رفع كفاءته المعرفية، ويقلل من احتمالات وقوع الأخطاء في المستقبل، ويساعده على اتخاذ القرار المناسب في الموقف المناسب.

من خلال التأمل في سورة القصص وجدنا أن موسى عليه السلام قد مر بجملة من الأحداث والمواقف التي أكسبته مجموعة من الخبرات والأفكار، تساعده في رسالته الدعوية، ومن ذلك على سبيل المثال:

- اتخاذ موسى عليه السلام ولدا لفرعون ثم عيشه كواحد من أفراد الأسرة المالكة، أكسبته الشعور بقيمة الحياة الحرة والكريمة، وضرورة العمل على توفيرها والسعي من أجلها.

[1] بكار، عبد الكريم. تجديد الوعي، مرجع سابق، ص248.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- تولي فرعون تربية موسى عليه السلام الذي سيكون فيما بعد هلاك ملكه على يديه، علمه إمكانية تغير الصورة النمطية لبعض المواقف، وأن النتائج قد تأتي على خلاف ما يتوقعه الإنسان.
- محاولة فض النزاع بين الخصمين كرّس فيه الشعور بحاجة الضعيف، وضرورة العمل على نصرته بالوسائل المادية المتاحة.
- محاولة موسى عليه السلام فض النزاع التي انتهت بقتل موسى عليه السلام لأحد أطراف النزاع عن غير قصد، علمه أن الإخفاق في أمر ما لا يعني التوقف عن محاولات الإصلاح، إذ أن مجالات الإصلاح كثيرة، لكنها بحاجة إلى خبرة ومعرفة حتى تعطي نتائجها الطيبة.
- خروج موسى عليه السلام من مصر خائفا متوكلا على الله علمه أن ينظر إلى الحياة بعين التفاؤل، مهما اشتدت الأزمات والنكبات، وهذا هو أساس التغيير والنهضة.
- توجه موسى عليه السلام إلى مدين علمه أن فرص السلامة والنجاح ما تزال مفتوحة أمام الإنسان، برغم ما يكتنفه من عسر وشدة، وأن على الإنسان أن يبحث عن هذه الفرص دائما وفي كافة الأصعدة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الثالث: دراسة التاريخ والخبرات الماضية

لقد شمل القرآن العديد من قصص الأنبياء والأقوام الذين أرسلوا إليهم، وقد أرشدنا القرآن إلى التدبر في قصصهم بغية التعرف على أوضاع الأقوام ومدى تطابقها مع توجيهات الوحي، وما هو المصير الذي آلوا إليه.

وسورة القصص شأنها في ذلك شأن غيرها من سور القرآن، فقد شملت على بعض أهم الوقائع التاريخية، منها ما يتعلق بولادة موسى عليه السلام وما واجهه من تحديات جسام إلى أن أتاه الله النبوة والحكمة، وأرسله إلى فرعون شاهدا ومبشرا ونذيرا، التي تلغي فكرة حتمية الأسباب، وأن الأسباب بيد الله وحده، يفعلها متى شاء ويبطلها متى شاء[1]، وأن الله ناصر المستضعفين وقاهر الطغاة والمتجبرين، أو ما يتعلق بما دار بين النبي محمد ﷺ وقومه من حوارات تهدف إظهار العقلية الشركية التي تختلق الأعذار للصدود عن سبيل الله[2]، أو ما يتعلق بقارون، الذي انعم الله عليه بالأموال والخيرات، فبدل نعمة الله كفرا، كذلك تستهدف قصته إظهار حقيقة علمية هي أن الإعراض عن ذكر الله يؤدي إلى سوء الأوضاع الاقتصادية، وتصحيح التفكير العلمي حول الكوارث الطبيعية التي تقع للمجتمعات البشرية، فهي تقع وفق السنن الربانية لتصحيح مسار حياة الإنسان، ورجوع البشرية في نظمها التربوية والاجتماعية والاقتصادية إلى تعاليم خالقها وأصول دينها.

هذه النماذج البشرية وغيرها التي تناولتها مواضع مختلفة من القرآن الكريم تساهم في رفع المنسوب المعرفي للدعاة، وتساعد في إثراء المنهج الدعوي القائم على التذكر والاتعاظ واستقصاء

---

[1] فقد كتب الله السلامة والحفظ لنبيه موسى عليه السلام عندما ألقته أمه في اليم وهو ما زال طفلا صغيرا، لا حول له ولا قوة، ثم تسخير فرعون –العدو الحقيقي له– للقيام على تربيته ورعايته.

[2] حيث قالوا لسيدنا محمد ﷺ ما ذكره القرآن على لسانهم: ﴿قَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ القصص.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

العبر من أفعال الله في الإنسان والكون والحياة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف أية111.

إن دراسة التاريخ والخبرات الماضية وسيلة أساسية من وسائل البناء الدعوي لأن كل فرد يتعلم منها ظروف ومواقف ومفاهيم ومبادئ وحقائق جديدة، ومن خلالها يتمكن من معالجة موضوعات ومشكلات عديدة، أو تفسير ظواهر جديدة، ومن ثم تزويده بقدرة التنبؤ على بعض الأحداث المستقبلية[1].

المطلب الرابع: دراسة الشبهات المثارة ضد الإسلام ودحضها

هناك فرق ظاهر بين ما يثار حول الإسلام من تساؤلات موضوعية حول فكرة ما، تستهدف الوصول إلى الحق والعدل، وبين ما يثيره خصوم الإسلام من تساؤلات وشبهات ليس لها تفسير سوى التبيل منه، والتشكيك في مصداقيته، وتصويره تصويرا منبعثا من نفس حاقدة أو عقل متربص بالإسلام، يستهدف تنفير الناس منه، مستخدمين في ذلك كافة السبل المتاحة، ماديا ومعنويا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال أية36.

"هذا النوع الأخير من التساؤلات أطلق عليه في الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري عنوان "الغزو الفكري"، وقد مارسه أعداء الإسلام منذ بدية موكب الرسالات وانتهاء بالوقت الحاضر، حيث ما زالوا ينتشرون في كل بلدان العالم، وأقاموا لهم مؤسسات ذات تنظيم دقيق،

[1] الأميري، أحمد البراء. فن التفكير رؤية إسلامية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1426هـ، ص23.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وسخروا الإمكانيات المادية الضخمة واستأجروا المنافقين وتغلغلوا في مراكز قوى المسلمين الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، من أجل نشر الفوضى الدينية والأخلاقية في العالم كلـــه، ولا سيما العالم الإسلامي"[1].

وهنا يجدر بالدعاة في مختلف الحقب الزمنية أن يصلوا إلى مرحلة النضج الفكري وتسخير الإمكانيات الفكرية والمادية والإعلامية، التي تؤهلهم للتعرف على وجوه هذا الغزو ومجالاته ومن يقف من خلفه وسبل مقاومته.

قد كشفت سورة القصص عن شبهتين أثارهما خصوم الإسلام وعملت على دحضهما، وهما:

ـ الشبهة الأولى: التشكيك في القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾ القصص أية48.

عندما نزل القرآن مفرقا على النبي محمد ﷺ أثار الكفار والمشركون شـــبهة للتـــشكيك فـــي مصداقية القرآن، فقالوا: لولا أُنزل عليه الكتاب جملة واحدة، كما أُنزل على موسى من قبل، فنزوله مفرقا دليل على كونه ليس من عند الله.

وجاء الرد الإلهي لدحض هذه الشبهة وإبطالها، أنه كيف تطلبون أن ينزل عليكم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى عليه السلام، بالرغم أنكم قد كفرتم بها أيضا، وادعيتم بـــأن التـــوراة والقرآن سحران وإضلال للناس[2].

---

[1] حبنكة، عبد الرحمن حسن. فقه الدعوة إلى الله، مرجع سابق، 597/1، بتصرف.

[2] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، 864.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **الشبهة الثانية:** التعرض للهلاك حال إتباع الإسلام: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ القصص أية57.

وهي شبهة أخرى أثارها بعض خصوم الإسلام حيث قالوا: إن نتبع دينك يا محمد فإننا نواجه بالقتل والأسر ونهب الأموال، فإن الناس قد عادوك وخالفوك، فلو تابعناك لتعرضنا لمعاداة النـــاس كلهم، وليس لنا بهم طاقة.

وقد جاء الرد الإلهي في إبطال هذه الشبهة، أولم نجعلهم متمكنين في حرم، يكثـــر المنتـــابون إليه، ويقصده الزائرون، ويحترمه القريب والبعيد[1].

وبذلك يكون القرآن قد فتح المجال أمام المسلمين لمعرفة ما يتقوله خـــصوم الإســـلام، ومـــا يثيرونه من شبهات، قد تنطلي على قطاع من أفراد البشر وتسويقها بينهم، وذلك لإشباع رغبـــاتهم في تشويه حقائق الإسلام، وتحقيق السيطرة الكاملة على عقول الناس، ثم قام بالرد على هذه الأوهام ودحضها، في إشارة منه إلى ضرورة تهيئة أوضاع جديدة من خلال إقامة مؤسسات علمية ومراكز دراسات ومعاهد بحوث لبناء عقلية إسلامية معاصرة تفهم دينها وتدرك أبعاد القضية، حتى لا تقـــع فريسة سهلة أمام هذا الغزو الجارف.

[1] أنظر المرجع السابق، 869.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الخامس: الهجرة

أراد الباحث بمفهوم "الهجرة": مغادرة المكان الذي يعيش فيه الإنسان، ومغادرته عند شيوع الفسق والفجور والظلم.

تتضح أهمية الهجرة أنه من أجل حصول الفكر الصحيح والخلق القويم والسلوك الطاهر من الشوائب، قد يتطلب الأمر أحيانا التخلي عن المكان ومغادرة محل الإقامة.

يقوم هذا المفهوم على أساس أن الإنسان غالبا ما تتحكم فيه عادات وثقافات مجتمعه، ويتأثر إلى حد بعيد ببعض معطيات الواقع، حيث ينعكس ظلها على توجهاته الفكرية والاجتماعية والأخلاقية، فيكون سلوكه بمثابة صدى المجتمع الذي يتحرك من خلاله، وهذا ناتج عن استشعار الفرد بضعفه أمام ما يطغى على مجتمعه من توجهات سلوكية، فيتعلق بها بصورة إرادية أو غير إرادية، حيث يمنحه هذا التعلق الاندماج في المجتمع وينفي عنه الشعور بالاغتراب.

لقد أشار القرآن إلى أهمية المحيط البيئي ومدى أثره في توجيه القيم الفكرية والاجتماعية والأخلاقية في حياة الإنسان من خلال ما جاء على لسان نوح ﷺ، وهو يدعو ربه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ نوح أية27.

فهم لا يلدون إلا أولادا فجرة وكفرة، حيث لا يصلح لهم خُلق، ولا ينفعهم دين، لأنهم يولدون في بيئة يملؤها الكفر، وجو مشحون بالفجور، وتتحكم بحياتهم نظم وعادات فاسدة، فأنى لهم الهدى والرشاد؟.

لذا كان من أحد مستلزمات العلاج التربوي الذي ينبغي أن يلتفت إليه الدعاة "العزلة المؤقتة" عن واقع البيئة حين يستشري فيها الفساد وينتشر فيها الزيغ والانحراف، إلى حين تُصقل فيه شخصية الإنسان ثم يعود إلى بيئته موجها ومصلحا.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

لقد طرحت سورة القصص هذا المبدأ من خلال مغادرة موسى عليه السلام أرض مصر، بعدما عم فيها الفساد والظلم _ وقد قدر الله أن يكون قتل القبطي على يد موسى عليه السلام سببا لهذا الخروج _ ثم لجأ إلى أرض مدين، لترتسخ فيه قيم عالية، وتنطبع في نفسه وقلبه قيم نبيلة، كقيمة التخوشن والزهد وحياة التقشف، بدل حياة الترف والنعيم التي عاش أطيب لحظاتها في قصر فرعون، وقيمة العزة والشهامة، التي اكتسبها من خلال مساعدة بنات مدين في سقي أغنامهن، دون أن يذل نفسه بطلب الأجر، وقيمة الالتزام بالعهود والمواثيق التي أخذها على نفسه حين أجر نفسه في رعي الأغنام، وقيمة تحمل مسؤولية بناء الأسرة، حين تزوج من أحدى بنات مدين، وقيمة القيام بسد احتياجات الأسرة، حين آنس من جانب الطور ناراً، فآتاها لعله يجد لأهله ما يصطلون به، وغيرها من القيم التي حصلت له بسبب التخلية، مما مهد السبيل لحصول التحلية.

المطلب السادس: اعتماد الناطق الرسمي للدعوة

من المهارات الأساسية التي يجب أن تتوفر في العمل الدعوي وجود الناطق الرسمي، الذي يتم اختياره من أهل الفصاحة والبيان، بهدف خدمة الدعوة من خلال الدفاع عنها وعرض مبادئها ومفاهيمها في المحافل العامة.

لا ريب أن استمرار تطور الحياة وتغير طبيعة المجتمعات وتعدد مجالات الأحداث اليومية يقتضي تنصيب أشخاص ذوي كفاءة بلاغية وقدرات لغوية لتوضيح موقف الدعوة الإسلامية إزاء بعض القضايا التي تطرأ على الساحة السياسية والاجتماعية والفكرية .. حيث أن وقوع الأحداث اليومية في ظل غياب مرجعية رسمية يُسند إليها مهمة التعبير عن كيفية تعاطي الدعوة الإسلامية مع هذه الأحداث يفتح المجال لكل فرد أن يدلي بدلوه وفق رؤيته الشخصية وانطباعاته الذاتية، دون تخطيط مسبق وتنسيق مشترك، مما يؤدي إلى حدوث فوضى عارمة في الرؤى والمواقف،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وحصول التناقض والاضطراب في التعاطي مع الأحداث، الذي غالبا ما ينتهي إلى ظهور بعض السلوكيات الخارجة عن الإطار الشرعي الصحيح.

ومن هنا تبرز لنا أهمية وجود مرجعية مخولة رسميا للتعبير عن الموقف الرسمي للإسلام التي تتعلق بالقضايا الطارئة على الساحة المحلية والعالمية، وفق الخطوات التالية:

- اجتماع أهل الرأي على قراءة أحداث الواقع ومدى تأثيره أو تأثره بالدعوة الإسلامية، وعلاقته معها.
- عرض الأحداث على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ اللذين تستمد منهما أحكام التعامل، وبهما يُميز بين الحق والباطل، وبغيرهما يتيه الفرد في غمرة الأحداث وينحرف.
- الوصول إلى الرأي الوسطي وصياغة الموقف الإسلامي من الحدث الواقع صياغة دقيقة وصحيحة بحيث تؤدي إلى حصول الفهم الصحيح لها، ودخولها في مجال التطبيق.
- تخويل شخصية ذات حظ وافر من العلم والبيان بالتعبير عن الموقف الرسمي للإسلام ونشره عبر تغطية إعلامية واسعة، بهدف إطلاع الناس على الرؤية الإسلامية التي تتعلق بمختلف قضايا الحياة.

ومن هنا نلحظ سر توجه موسى عليه السلام بالطلب من ربه أن يرسل معه أخاه هارون عليه السلام، وذلك ليؤدي مهمة الناطق الرسمي لمبادئ الرسالة التي سيعلنها أمام فرعون، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ القصص أية34.

"لم يطلب موسى عليه السلام قوة وسلاحا ليخوض بهما هذا الصراع مع أعتى طغاة عصره، وإنما طلب لسانا كامل البيان، حيث لم يكن لسانه كذلك، فطلب الاستعانة بأخيه الفصيح الطلق اللسان، وحين يكتمل ما لدى موسى عليه السلام من شخصية قوية، وعلم واع، وحجة دامغة، بما لدى هارون عليه السلام

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من طلاقة لسان في حسن العرض والصياغة البليغة، فهذا هو خير ما يحتاج إليه، وهو خير ما يحتاج إليه أي داعية في أي عصر"[1].

المطلب السابع: عرض الإسلام بصورته الشاملة

من أولى الحقائق التي ينبغي أن يدركها كل فرد أن الإسلام جاء ليعالج حياة الإنسان في جوانبها المتعددة؛ النفسية والمادية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية والعقلية والعقائدية، وهو في ذلك لا ينحصر في مجال دون مجال، أو تنمية جانب على حساب جانب آخر، بل يعمل على تطويرها وتنميتها في توافق واعتدال.

لذا لا بد من الحرص في المجال الدعوي على عرض الإسلام بصورته الشاملة، فهو أحرى بأن تُرسخ قيم الإسلام في أذهان الناس وواقع حياتهم، حيث أن عملية الإقناع في عالم شاعت فيه الحضارة المعاصرة وانتشر ظلها في مجالات وأطر متعددة في الحياة الإنسانية تستلزم شمولية العرض، وذلك لإظهار تفوق الحضارة الإسلامية على سائر الحضارات التي عرفتها البشرية في تحقيق "الحياة الطيبة"، من خلال معالجة الأوضاع القائمة، ووضع حد للفساد الذي ساد في المجتمع الإنساني.

هذه الوضعية في عرض رسالة الإسلام توجب استخدام الخطاب العقلاني والمنطق الإنساني والبرهان المستنير، ليتسنى في النهاية إيجاد إنسان يدرك مدى أهلية الرسالة في استصلاح القيم والأوضاع الجارية، فيحمله هذا الإدراك على تلمس جوانب الخير فيها، قولا واعتقادا وسلوكا.

---

[1] عبد الله، عودة عبد عودة. أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، دار النفائس للنشر والتوزيع، العبدلي، ط1، 2005، ص133.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي هذا الإطار عملت سورة القصص على بلورة هذا التصور من خلال تناولها لموضوعات متعددة غطت أنشطة الحياة جميعا، وتم ذلك من خلال ما يلي[1]:

1. **في المجال العقدي:** نزلت سورة القصص لتقرر أن قوة الله هي القوة الوحيدة التي تدير الكون وتصرف فيه الأمور، وأن قيمة الإيمان تكسب العبد قوة وصلابة في مواجهة أخطر المواقف وأشدها، كما حدث مع أم موسى عليهما السلام، حين ألقت ابنها في اليم، مؤمنة بقضاء الله، ثم نجاة موسى ﷺ من الذبح في صغره، ومن القتل عند كبره، حين أراد القوم الاقتصاص منه بسبب قتله للقبطي.
2. **وفي المجال السياسي:** عرضت السورة بعض الممارسات الانتهازية والجائرة التي مارستها أجهزة الحكم ورموز السلطة بقيادة فرعونها، من استضعاف الناس وذبح الأبناء..مبينة أن العدل أساس بقاء الأنظمة، وأن الظلم والجور مؤذن بخرابها.
3. **في المجال الاقتصادي:** عرضت قيمة المال، وأنه لا يغني عن العبد من الله شيئا، وحين يغيب أهل الغنى والثراء عن الملاحقة القانونية تتدخل القدرة الإلهية تدخلا مباشرا، لوضع حد للفساد الاقتصادي الذي تمارسه الطبقة البرجوازية.
4. **في المجال الاجتماعي:** عرضت السورة أعظم القيم التي تسهم في توطيد أركان الحياة الاجتماعية؛ كقيم المروءة وإغاثة الملهوف وإبرام العقود وقيم التعاون بين أفراد الأسرة الواحدة.
5. **في المجال التعليمي:** فتحت السورة الأبصار على آيات الله المبثوثة في مشاهدة الكون تارة، وفي مصارع الغابرين تارة أخرى، كما وضعت أسس التفكير السليم.

---

[1] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2674/5.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وغيرها من النماذج التي نعجز عن حصرها في هذا المقام، التي تصلح لأن تكون منطلقا أساسيا يعتمد عليه الدعاة في تقديم صورة كاملة ومتكاملة عن أصول الإسلام وقواعد الدين، وهي تحتاج إلى فهم عميق ونظر ثاقب يخترق حدود المعنى الظاهر للنص ويسبر أغواره، وحين نتقن ذلك فإننا نكون قد أحيينا أنفسنا بها، وأهّلناها لحمل الرسالة العالمية بكفاءة ونشر أنوارها في الأرض،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام أية122.

المطلب الثامن: تنوع أساليب الدعوة

من عوامل استمالة المدعو ومعالجة مواقفه الحياتية في ضوء الكتاب والسنة امتلاك الداعي وسائل عدة ومتنوعة لعرض رسالة الإسلام، وهذا يزيد من احتمالات نجاح المشروع الدعوي، لأن كل وسيلة تسد فراغا في المجتمع الإنساني لا تسده الوسيلة الأخرى، وهذا يتوافق مع سنة الله في الخلق، التي اقتضت تعدد الخلائق وتنوع أساليب لغتها وما يتبعها من اختلافها في طرق الفهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ الروم أية22.

تظهر سلبية الاقتصار على أسلوب واحد في الدعوة في أنه يفضي بالجمهور الذين هم محل الدعوة إلى الشعور بالملل، كما أنه يتنافى مع عالمية الرسالة الإسلامية وخلودها، حيث جعلها الله رسالة عامة لكل أجناس البشر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء أية107.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فمقتضى هاتين السمتين _ العالمية والخلود _ يقتضي تنوع أساليب الدعوة لتغيير قناعات ملايين البشر وحصول الاستجابة منهم، فمن الوسائل ما يكون صالحا للدعوة في بلد ما، لكنه غير فاعل في بلد آخر، فيظلون غارقين في انحرافهم بسبب عجز المسلمين من إيصال خطابهم الديني إليهم عبر الوسيلة المناسبة لهم.

من هنا وجدنا من خلال التتبع لسيرة النبي ﷺ أنه كان يقدم لكل فئة أو لون من البشر ما يناسبها من الأسلوب والوسيلة، فمنهم من يجادلهم، ومنهم من يكتفي بإعطائهم ما يدفع عنهم ذل المسغبة، ومنهم من يكتفي بدعوته بمجرد ذكره أمام الناس وحسن الثناء عليه، كقوله ﷺ:﴿ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن﴾[1].[2]

كذلك عدم التنوع في الطرق الدعوية يجعل الدعاة يعيشون في حالة من العزلة الاجتماعية، ولا سيما في هذا العصر الذي شهد تطورا هائلا غير مسبوق في الوسائل والأساليب، فمن أجل التخلص من التهميش الحضاري واندماجهم في المجتمع المعاصر وازدهار رسالتهم الخالدة لا بد من الارتقاء في عرض الوسائل لتصبح أكثر قربا من روح المدنية لبناء حضارة إنسانية معاصرة في ضوء تعاليم الإسلام.

قدمت لنا سورة القصص العديد من وسائل الدعوة إلى الله، نذكر منها:

- في دعوة موس عليه السلام لفرعون نجده تارة يعتمد على وسائل حسية متنوعة، يضع يده في جيبه لتخرج بيضاء من غير سوء، أو بإلقاء العصا لتتحول إلى ما يشبه الجان، وتارة يعتمد على الحوار الهادف من أجل إقناع القوم.

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: ما جاء في خبر مكة، ص542، رقم الحديث، 3022.

[2] الهادي، محمد زين. علم نفس الدعوة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1995، ص279.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- اعتماد السورة على الأسلوب القصصي كوسيلة لتقويم سلوك الإنسان وتعديل تصوراته وأفكاره، كالحديث عن قارون وفرعون.

- اعتماد السورة على إعمال العقل في النظر إلى كمال صنع الله في الخلق، الذي يدل على كمال علمه وقدرته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ القصص أية71.

- كذلك نجد في نصيحة القوم لقارون تنوعا في استخدام العبارات، فتارة يتم تذكيره باستخدام أسلوب الترغيب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ ﴾ القصص أية. وتارة بأسلوب الترهيب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص أية77. وتارة بأسلوب الزجر والتوبيخ مقرونا بالترغيب بثواب الله، في حق من فتنه ملك قارون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ القصص أية80.

المطلب التاسع: تعاون الدعاة في المشروع الدعوي

لا يمكن تحقيق مصالح الدعوة إلا في إطار نشاط جماعي يتعاون فيه الأفراد وينشطون فيه جنبا إلى جنب، حيث تتشكل بفضل جهودهم منظومة دعوية متكاملة ذات نسق معين وعمل منظم.

وحين يغيب هذا التعاون فأنه يعني افتقاد الدعوة للنظرة التكاملية في الوسائل والأساليب، ويقل إنجازها في الواقع الإنساني، وتشهد تراجعا في قوتها التأثيرية في مختلف القطاعات.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إذا كان هذا غيض من فيض مما تنطوي عليه أهمية التعاون، فإننا نلحظ أن الشريعة الإسلامية قد جاءت من أجل ترسيخ هذه القيمة في حياة المسلمين، وحددت بعض مجالاتها، ففي مجال أعمال البر والتقوى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ ﴾ المائدة أية2.

وفي مجال التفكر والتأمل في حقيقة الرسالة التي جاء بها محمد ﷺ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ سبأ أية46.

لقد كشفت لنا سورة القصص عن نوعين من صور التعاون، وهما:

- **التعاون المذموم:** وهو تعاون أهل الباطل فيما بينهم منذ العهود الأولى على نصرة باطلهم ومواجهة الحق الذي جاءت به الرسالات السماوية، وتوجيه سهام الطعن إليها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ القصص أية38.

يظهر من خلال هذا المقطع القرآني التقاء أهل الزيغ على كلمة واحدة من أجل تضليل الناس وإرباكهم، وإدخال الريب في عقائدهم، حيث طلب فرعون من هامان أن يعينه على ذلك، ببناء صرح عظيم ينظر من فوقه إلى إله موسى، وهو مشهد يؤكد تعاون الكفر على خدمة هدف مشترك يسعون لبلوغه وهو عزل الناس عن العقيدة التي جاء بها موكب الرسل الكرام.

- **التعاون المحمود:** وهو مثل تعاون أهل الإيمان فيما بينهم من أجل إيصال رسالتهم إلى الناس، في سبيل بناء حضارة إنسانية شاملة ذات منطلق وتوجهات إسلامية رشيدة، ويجسد هذا التعاون سيدنا موسى عليه السلام حين طلب من ربه أن

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يبعث معه أخاه هارون كمعين ومصدق له، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ القصص أية34-35.

تظهر أهمية هذا النوع من التعاون _ التعاون المحمود _ في هذا العصر حيث يتزايد اهتمام قوى الشر في السنوات الأخيرة على التعاون في سبيل الإثم والعدوان، وقلب موازين المجتمع الإنساني بما يخدم مصالحهم الدنيئة ويتوافق مع توجهاتهم الانتهازية.

ونحن أمة ذات رسالة وطابع خاص بين أمم الأرض جميعاً ينبغي أن نقابل هذا التعاون بتعاون "البر والتقوى"، الذي يتيح تفاعل المسلمين بعضهم مع بعضٍ، ويفتح فرصة تبادل الأفكار والآراء بما يخدم القضية الإسلامية ويسعد البشرية جمعاء، كما انه يوفر فرص التقارب والتواصل وتعميق العلاقات بين المسلمين جميعا.

المطلب العاشر: الالتزام بقواعد أدب الدعوة

يهتم القائمون بالدعوة إلى الله بنقل مفاهيم الإسلام وتصوراته إلى كل شرائح المجتمع، ويجتهدون في نقل حياة الإنسان من ظلمات الجهل إلى أنوار العلم والطاعة، وهم عندما يمارسون ذلك فإنهم لا يخرجون عن الحدود المرعية في آداب الدعوة إلى الله، إذ أن تجاوز هذه الحدود إنما هو في الحقيقة إلغاء للدور الذي يقومون به، وإيصاد الأبواب أمام الناس، حتى لا تجد كلماتهم طريقا إلى قلوب الناس وعقولهم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وقد احتوت سورة القصص على مجموعة من أهم أدبيات الدعوة التي تصلح لأن تكون نبراسا يهتدي بها الدعاة، وسببا من أسباب تعميق الدعوة وتعميم عالميتها بين شعوب الأرض، وهي وفق النهج التالي:

1. مراعاة منهج الحوار: عندما خلق الله البشر جعلهم خاضعين لحكم التنوع والاختلاف، حيث طال هذا الاختلاف كل مظاهر الحياة الإنسانية، سواء في الجنس أو العرق أو اللغة أو الدين، وهو مظهر من مظاهر عظمة الله في خلقه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ الروم أية22.

هذا التنوع والاختلاف قانون كوني وسنة إلهية، حتى يكون هناك تدافع وتسابق وتعاون في الخيرات[1]، لكنه في جانب آخر أدى إلى تباعد وجهات النظر في نواحي شتى من أمور الحياة، الأمر الذي أفرز فيما بعد مظاهر سلبية في الواقع الإنساني، كالتعالي على الآخر وازدرائه، والتعصب للرأي، وبغض الأخر وغيرها، ومن أجل مقاومة هذه الإفرازات ندب القرآن إلى خلق الحوار تحت شعار إنساني، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾النحل أية125.

من خلال الرجوع لسورة القصص وجدنا أنها قد وضعت منهجا كاملا "للحوار الحسن"، وسيتم عرضه وفق ما يلي:

الحث على الحوار الحسن: شجعت سورة القصص على الحوار الحسن، الذي يهدف إلى توضيح الفكرة بأدب رفيع وذوق سليم، ويحمل الطرف الآخر على الاقتناع بها والانقياد لها عن حب وطواعية.

---

[1] عمارة، محمد. الإسلام في مواجهة التحديات، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2007، ص127.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تظهر في سورة القصص مواطن عدة برز فيها الحوار، وهو توجيه قرآني لتعزيز لغة الحوار في المجتمع الإنساني بين جميع أطيافه، نذكر منها على سبيل المثال:

- حوار امرأة فرعون لزوجها بعدم قتل موسى، واتخاذه ولدا.
- حوار بنت شيخ مدين لأبيها لاستئجار موسى عليه السلام.
- حوار موسى عليه السلام مع شيخ مدين بصدد الحصول على العمل.
- حوار رب العالمين لموسى عليه السلام في جبل الطور.
- حوار طائفة من أهل العلم لقارون بصدد تذكيره بواجب شكر الله على نعمه.

ومن خلال تدقيق النظر في الحوارات السابقة وجدنا أنها أظهرت أسلوبين من أساليب الحوار، أولهما: الأسلوب المنطقي، وثانيهما: الأسلوب الوعظي[1].

الحوار المنطقي: يبني الإسلام أساسه على القناعة العقلية، فجعل الإيمان بالله قائما على أساس العقل، لأنه يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية المرتكزة على الحجة والبرهان في إطار الحوار الهادئ العميق، سواء في ذلك قضايا العقيدة، أو الحساب، أو قضايا اجتماعية تتعلق بها حياة الأفراد والجماعات.

لذا وجدنا الحوار موجها في بعض مواطن سورة القصص إلى المنطق والعقل، ومن ذلك حوار امرأة فرعون لزوجها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ القصص أية9.

[1] أنظر في ذلك عبده، يزن أحمد. تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف، دار العلوم للنشر والتوزيع، العبدلي، ط1، 2005، ص48وما بعدها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فقد كان حوارها قائما في أساسه على العقل، ولعل ذلك أفضل وسيلة في إقناع رجل _كفرعون _ معروف بشدة بطشه وقسوة قلبه وانعدام مشاعر العطف والحنان، حيث لجأت إلى تبرير عدم قتله بسبب منطقي، وهو رجاء النفع منه.

كذلك حوار بنت مدين لأبيها قام على أساس العقل، وليس استجابة لمجرد شعور عاطفي، وذلك عندما طلبت من أبيها أن يستأجره، وعللت هذا بأنه قوي وأمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ القصص أية26.

الحوار الوعظي: لقد عرضت سورة القصص هذا الأسلوب الحواري الذي يفتح الطريق إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان، فتهزه وتثير كوامنه، فالوعظ يستثير مكنونات النفس البشرية نحو إتباع الحق الذي فطر الله الناس عليها، ليوقف المُحاوَر عند نقطة لا يستطيع عندها طمس الحقيقة النابضة في نفسه، والتي غفل عنها بإتباع الشهوات، عندئذ تتخذ الموعظة الطريق المناسب نحو القلب لتزيل الران عنه وتظهر له النور الحق، تاركة له حق اتخاذ القرار.

وكان من ضمن هذا الإطار حوار طائفة من أهل العلم لقارون، الذي أعماه حب المادة عن رؤية الحق الأبلج، فقاموا إليه واعظين لرده عن بغيه، وإرجاعه إلى النهج القويم الذي يرضاه الله في التصرف بهذا الثراء عبر حوار وعظي بليغ[1]. والموعظة لا بد لها من الاعتماد على جانب الترهيب والترغيب، كالطمع فيما عند الله من الأجر والثواب، والخوف مما عنده من سخط وعذاب، وهو ما أوضحته سورة القصص في جانب الحوار الوعظي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

[1] أنظر قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2711/5.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص أية76-77.

وقوله تعالى أيضا على لسانهم تجاه من غرهم ملك قارون:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ القصص أية80.

2. **مراعاة آداب الحوار:** من ضروريات الالتزام بقاعد الدعوة مراعاة آداب الحوار، حيث أن تجاوز هذه الآداب يؤدي إلى انعدام فرص نجاح الحوار، وقلة تأثيره وفاعليته، وفي ذلك تعطيل الانتفاع بالجهد الدعوي، وقد عرضت سورة القصص آداب الحوار ضمن ثلاث مجموعات، وهي على النحو التالي:

أ. آداب الحوار النفسية.

ب. آداب الحوار العلمية.

ت. آداب الحوار اللفظية.

أ. **آداب الحوار النفسية:** وهي مجموعة الآداب التي يجب أن تراعى في موضوع الحوار حتى تتهيأ النفس لتقبل الحوار، وتحقق ثمرته النافعة. وهي تتلخص في الأمور التالية:

_ **الإخلاص والتجرد في الحوار**[1]: وذلك بأن يكون الحوار في سبيل الله، وإعزاز دينه في الأرض، وترسيخ قيم الحق والخير والجمال في مسيرة حياة الأفراد والجماعات، وليس الباعث عليه تحقيق الغايات الفردية والمطامع الشخصية وإشباع حاجة حب الظهور أو مجرد إفحام الآخر.

وبناء على ذلك كان على المحاور أن يراجع نفسه ويحاسب ذاته قبل دخول معترك الحوار، ويبادر إلى استجواب نفسه بهدف استثارة فكره وتصحيح نيته، ماذا أريد من هذا الحوار؟.

---

[1] الصويان، أحمد بن عبد الرحمن. الحوار أصوله ومنهجه وآدابه السلوكية، دار الوطن، الرياض، ط1، 1994، ص77.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومن هنا نجد الحوار في مواطن كثيرة من سورة القصص كان خالصا لله، ومجردا عن الشوائب، يهدف إلى تقويم السلوك وتحقيق الصلاح في الأرض، والشاهد على ذلك أن أهل العلم ذكّروا قارون أثناء حوارهم بالعمل للدار الآخرة والإحسان إلى الغير وعدم الفساد في الأرض، ولم يذكروا شيئا من متعلقات الدنيا وحظوظ النفس، وهي دلالة على إخلاصهم وصدق نيتهم.

_ **تهيئة الجو المناسب للحوار:** ينبغي للمحاور أن يهيئ نفسية من يحاوره قبل الدخول معه في مسألة جدلية أو قضية تحتاج إلى بسط وإقناع، وهو أحرى بأن يعطي الحوار ثمرته، والوصول إلى نتائجه المرتقبة.

فإذا خرجت الظروف النفسية عن حد الاعتدال فإن ذلك يعني تفويت فرص نجاح الحوار، فعلى المحاور أنى يجتهد في إبقاء الظرف النفسي في حالة توازن واعتدال، والحفاظ على أعلى منسوب من الشعور بالأمن والراحة، والشاهد على ذلك أن الله تعالى أذهب الروع من قلب نبيه موسى عليه السلام ومسح عنه مشاعر الخوف للحفاظ على توازنه النفسي وتوفير مناخ مناسب لاستمرار الحوار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴾ القصص أية31.

كذلك فإن مناداة الله لموسى عليه السلام باسمه من العوامل التي تساعد على طمأنة قلبه وتهيئته نفسه للحوار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ القصص أية30.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

_ **عرض مقدمة للحوار**[1]: عرض مقدمة للحوار عامل نفسي مهم لتقبل الحوار وفهم أفكار المحاور وتقريب شخصيات الحوار بعضها من بعض، فمباشرة الحوار دون تمهيد له قد يحدث لدى بعض الأطراف المتحاورة نوعا من النفور، ويجعل أمره غير مستساغ، ولذ نجد أن الله جعل مقدمة حواره مع نبيه موسى عليه السلام أنه عرفه بنفسه، وهو أمر بالغ الأهمية، إذ كيف يقبل شخص أن يحاور طرفا يجهله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾القصص أية30.

تتجلى عظمة المقدمة التي استهل الله بها حواره، وهي "إني أنا الله رب العالمين"، أنها تبعث في نفس الإنسان كل معاني الهدوء والسكينة، لأن لفظ "الرب" _الذي وصف الله به نفسه_ يعني المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، ولا سيما تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم، فهو المصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعم[2].

استهلال الحوار بمقدمة تحمل معاني الحب والود والعطف يعطي أثره الإيجابي في نفس الطرف الآخر، ويحقق نتائج كبرى على الصعيد العملي، حيث يساعد على تقبل الأفكار المطروحة وغرس القيم المرغوب بها، وهذا أسلوب أحق أن يُتبع، بدل من أن يُستهل الحوار بوابل من العبارات الجارحة والكلمات الحادة والألفاظ المتضمنة للتهديد والوعيد.

_ **الهدوء والثقة بالنفس:** لا ينبغي أن تنفك ثقة المؤمن بنفسه قيد أنملة وهو يحاور أهل الباطل والزيغ والفساد[3]، ولا سيما عندما يملك أهل الباطل أسباب الملك، ويشتهر أمرهم بالطغيان والجبروت، وهنا يأتي أهمية التسلح بالثقة النفسية التي تزيد من صلابة المؤمن وترفع من قدره أمام

---

[1] زمزمي، يحيى بن محمد حسن. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط1، 1994، ص115.

[2] القيسي. معالم التوحيد، مرجع سابق، ص192.

[3] عبده، يزن احمد. تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف، مرجع سابق، ص64.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

نفسه ومن يحاورهم، فمن الخطورة بمكان أن تتزعزع ثقة المؤمن بنفسه أثناء الحوار، لأنه يعني فشل أهم حلقات العمل الدعوي، وتعزيز موقف أهل الباطل أمام الرأي العام، وكسبهم جولة جديدة تسجل لصالحهم، ومن هنا وجدنا موسى عليه السلام يقف أمام طاغية عصره دون أن تكسر له قناة أو يُنال من ثقته بنفسه، برغم ما عليه فرعون من استكبار وظلم وتجرؤ على الله.

كذلك خاطب الله نبيه محمدا ﷺ حينما لم يلق الاستجابة من قومه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ القصص أية50. بمعنى أن لا تحزن يا محمد ولا تأخذ بك الظنون، حينما لم تلق الاستجابة منهم، فما منعهم من الاستجابة لك هو إتباعهم لأهواء، فهو الذي حملهم على الضلال، ولا ريب بأن تجلية هذه الحقيقة أمام النبي ﷺ يزيد من ثقته بنفسه حين يعرض الناس عن دعوته، لأنه يعلم أن سبب ذلك لا يعود إلى تقصير منه، بل إلى خلل في نفوس القوم.

2. **آداب الحوار العلمية**[1]: وهي جملة الآداب التي تتعلق بمادة الحوار الأصلية، والضوابط والأصول العلمية التي يجب إتباعها من أجل حوار ناجح وهي ما يلي:

_ **الدليل:** فأهم ما يُنجح الحوار هو العناية بإحضار الدليل وسوق الشواهد، سواء كانت حسية أو غيرها، من أجل حصول الإقناع لكافة الأطراف المتحاورة، فعرض أفكار وتصورات عارية من الدليل والبرهان يقل تأثيرها في النفس ويفتح الذرائع من أجل مخالفتها وعدم التصديق بالفكرة.

وقد رأينا موسى عليه السلام قد أتى بأدلة قوية وهو يحاور أهل الباطل، بحيث لا يدع مجالا للشك أمامهم، ويقدم لهم الدليل تلو الدليل لإقامة الحجة عليهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ القصص أية36.

---

[1] زمزمي. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، مرجع سابق، ص276 وما بعدها، الشيخلي، عبد القادر. ثقافة الحوار في الإسلام، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ط1، 2003، ص170.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

_ **البدء بالأهم:** لا شك أن مواضيع الحوار تختلف فيما بينها اختلافا بليغا من حيث أهميتها، كما أن نقاط الحوار منها ما يكون كبيرا ومنها ما يكون صغيرا، ومنها ما يكون رئيساً وآخر فرعياً، ومنها ما هو ركن ومنها ما هو مكمل، والمحاور اللبق هو الذي يحسن التفريق بينهما، ويشرع في الحوار بالأمور الكبيرة قبل الصغيرة، والرئيسة قبل الفرعية، والأمور الركنية قبل الأمور المكملة، وهـذا أمر يحتاج إلى علم صحيح وفقه رشيد ونظر عميق[1].

إن عدم التفريق بين الأمور المذكورة سلفا ووقوع الخلط بينها، كتقديم الأمور الفرعيـة قبـل الرئيسة يشكل خللا حقيقيا في إدارة الحوار، ويجعله عديم الجدوى، حيث يسوق الأطراف المتحاورة إلى الانشغال بالقضايا الجزئية ونسيان القضايا العامة، وفي ذلك هدر للوقت واستنفاذ للطاقة وتضييع لفرص الاتفاق.

ومن هنا وجدنا أن الله تبارك وتعالى شرع في حوار موسى عليه السلام بكبرى القضايا الهامـة، ألا وهي قضية العقيـدة والتوحيـد الخـالص، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾القصص أية30.

السبب في أن الله جعل عقيدة التوحيد فاتحة الحوار ومقدمته، هو أنها قضية أساسـية يتوقـف عليها صلاح كل شيء، ذلك أن مظاهر الانحراف الذي يضرب أطنابه في المجتمع البشري تعـود في معظمها إلى انحرافات عقدية، فإذا صلحت العقيدة في النفوس واستقام أمرها صلح ما سواها من قيم وسلوكيات وعادات وأوضاع.

_ **تأكيد القضية:** قد يشمل الحوار مجموعة من القضايا الأساسية والرؤى المحورية، التي تـستلزم تقريرها وتأكيدها أمام أطراف الحوار، وهذا ليس من قبيل حشو الكلام، وإنما لما تحمله هذه القضايا من حقائق يجب تثبيتها في نفس الإنسان، وقد يكون التأكيد بأساليب مختلفة وصياغات متعددة تبعث

[1] أنظر القرضاوي، يوسف. في فقه الأولويات، مكتبة وهبة، عابدين، مصر، ط3، 1999، ص9.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الأثر في النفس، ومن هنا وجدنا في حوار الله للمشركين يوم القيامة تأكيدا على قضية الشركاء الذين عبدهم الناس من دون الله ورجوا نفعهم ودفع الضر عنهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ القصص أية62-66.

وسؤال الله لهم عن الشركاء هو للتوبيخ والتأنيب، وليس المقصود به هو الجواب، حيث اتخذوا الشركاء لجلب النفع لهم ودفع الضر عنهم، فلما تبرؤوا من شركائهم أكد مضمون السؤال مرة أخرى، فقال لهم: ادعوهم لينقذوكم، لكنهم عجزوا عن ذلك.

هذا التأكيد الواقع في هذا المقطع الحواري إنما جيء به لتقرير حقيقة هامة، وهي عدم قدرة الشركاء على النفع والضر، وأن النفع والضر اليوم بيد الله وحده.

_ **التحدي والإفحام:** يهدف الحوار إلى استمالة القلوب والعقول نحو الحق والرشاد، وسوق النفوس إلى القناعة القائمة على الحجة والبرهان، وفي حال حصول الحوار مع طرف مكابر يصدق فيه قول الله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴿١٤٦﴾ ﴾الأعراف.

عندئذ لا بد للمحاور من تحدي الموقف، وحشد الوسائل التي فيها إفحام للخصم وإرغام للمكابر، في سبيل إظهار الحقيقة أمامهم بشكل جلي وواضح، وهو ما أمر الله به محمدا ﷺ أن يستخدمه كأسلوب حواري حازم أمام الذين لا يستجيبون لهذا الدين تكبرا وعتوا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ القصص أية49.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب. آداب الحوار اللفظية[1]: وهي الآداب التي تتعلق بالألفاظ المختارة، والعبارات المناسبة أثناء الحوار، ومنها:

_ **التعريض والتلميح بدل التصريح:** لا بد للمحاور أن يستخدم أحيانا أسلوب لفت النظر والاكتفاء بالإشارة من بُعد، وأن يتجنب الأسلوب المباشر والصريح في معالجة الخطأ أو توضيح الفكرة، وهو أسلوب ماهر لتجنب احتمالات وقوع المواجهات الحادة، أو تأزم الموقف وثورة المشاعر، ذلك أن الإنسان مفطور على عدم تقبل اللوم والعتاب بشكل صريح، فالتصريح ببعض المواقف قد يؤدي إلى رد فعل سلبي من الطرف المحاور الآخر، ويحول الحوار إلى حالة من المشادة الكلامية، يسعى كل فرد فيه إلى تسجيل المواقف بدل من الوصول إلى الحقيقة.

لقد وجدنا موسى عليه السلام قد استخدم هذا الأسلوب عندما اتهمه قومه بالسحر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ القصص أية36.

وهنا يظهر رد موسى عليه السلام، وهو رد مؤدب ومهذب، يلمح فيه ولا يصرح، وفي الوقت ذاته ناصع وواضح في مراده، ويبين عاقبة المواجهة بين الحق والباطل[2]، كأنه يشير تلميحا أن العاقبة ستكون له بفضل تمسكه بالهدى، ولن تفلحوا أنتم لأنكم ظالمون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ القصص أية37.

_ **اختيار أطيب الألفاظ:** من مظاهر الاحترام المتبادل في الحوار أن يسلك المتحاور مسلك القول الحسن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة أية83.

---

[1] زمزمي. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، مرجع سابق، ص429 وما بعدها.

[2] قطب، سيد. في ظلال القرآن، مرجع سابق، 2694/5.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ترشدنا الآية جميعا إلى تحري تقديم عبارات اللطف وألفاظ السماحة بدلا من استخدام ألفاظ شديدة الوقع على النفس، تحدث جرحا غائرا في نفس الإنسان وتؤدي إلى احتدام الموقف وارتفاع الصخب، الذي يذهب بفائدة الحوار ويفوت فرص تحقيق أهدافه، ومن هنا وجدنا إحدى بنتي مدين قد أحسنت انتقاء الألفاظ في حوارها مع أبيها، الذي كان له الأثر فيما بعد في اقتناع أبيها بصحة ما تقول، وتبني فكرتها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ القصص أية26.

فعبارة "يا أبتي" لهجة فيها الرقة والبر والتواضع، وهو يرجع إلى الذوق السليم، حيث استخدمت كلمة تصل بها إلى عمق القلوب، مما تعمل عل إثارة الحنان والتعاطف الأبوي مع ما تقول[1].

_التذكير والموعظة: قد يكون بعض أطراف الحوار حاملا لأفكار مضلة وثقافات دخيلة، فيتعسر سبل إقناعه ويزداد تصلبا في موقفه، ويزيده ذلك ابتعادا عن الحقيقة، ومن أجل تليين موقفه كان لا بد من تعديل تلك الأفكار والثقافات، وهذا يتم عن طريق مزج الحوار بشيء من التذكير والموعظة التي تترك أثرها الطيب في القلب، وتثير مشاعر القبول عنده، ولا بد أن يخضع ذلك لموازنة دقيقة، فقد ينفع النفس التذكير بالوعد الشديد أو بالنعيم الخالد، أو عرض مصائر الأمم البادية، وغيرها مما يغلب على ظن المحاور فيها تثبيت الحقائق، وتوضيح القضايا المطروحة في الحوار.

قد بدا استخدام هذا الأسلوب في الحوار بشكل واضح في سورة القصص في أكثر من موضع، ومن أمثلة ذلك:

[1] الندوي، أبو الحسن: روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، دار القلم، الكويت، (د.ط)،(د.ت). ص20.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- تذكير قارون بضرورة الإحسان كما أحسن الله إليه، وعدم إتباع طرق الفساد، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص أية77.
- تذكير قوم فرعون بأن الظلم مرتعه وخيم، وأنه منشأ الزيغ وسبب في فشل الأفراد والجماعات، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ القصص أية37.
- **حفظ الأسماء أو الألقاب:** لعل ذلك ما يساعد الطرف المقابل على تخليصه من الجمود والانطواء على الذات، وتدفعه إلى العمل الإيجابي والحركة والعطاء والنشاط، فقد يتسبب نداء شخص باسمه أو كنيته أو لقبه في تفجر الطاقات الفذة فيه، وإطلاق قدراته المخبوءة، وتجعله يتصرف بكفاءة عالية ولياقة، وقد رأينا أن الله قد نادى على موسى عليه السلام باسمه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ القصص أية30. ثم عرض عليه القيام بعمل فريد من نوعه، وهو إلقاء العصا وتحويل اليد البيضاء، فأتقنها جميعا، وانطلق بها إلى فرعون يدعوه بحماسة.

ليس ثمة ريب بأن كل ذلك تم بتأييد الله له أولا، لكن أحدا لن يستطيع أن ينكر الأثر الذي يطبعه ذكر الاسم الشخصي أو الكنية في قلب الإنسان وحياته، حيث أفادت بعض الدراسات أن الأسماء تعمل على ترسيخ توقعات معينة من حامل الاسم، كما يمكن لها أن تؤثر في سلوكه وأحاسيسه في حاضره ومستقبله[1]، ولعل ذلك يشير إلى اهتمام النبي ﷺ بحسن اختيار الأسماء، ومن أمثلة ذلك:﴿ أتي بالمنذر ابن أبي أسيد إلى رسول الله ﷺ حين وُلد، فوضعه النبي ﷺ على فخذه،

[1] http://alkafeel.net/forums/showthread.php?p=99186

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وأبو أسيد جالس، فلهي النبي ﷺ بشيء بين يديه، فأمر أبو أسيد بابنه فاحتمل من على فخذ النبي ﷺ، فأقلبوه، فاستفاق رسول الله ﷺ، فقال: أين الصبي، فقال أبو أسيد: أقلبناه، يا رسول الله. فقال: ما اسمه، قال فلان، يا رسول الله. قال: لا، ولكن اسمه المنذر﴾[1].[2]

_ **حسن البيان**[3]: فالمحاور الجيد هو الذي يركز في أدواته على فصاحة لسانه وقوة تعبيره وحسن بيانه، إذ أن الكلام الفصيح الخالي من الأخطاء والعيوب هو الذي يوصل المعلومة الصحيحة والفكرة السليمة إلى المحاور الآخر.

لذا يحتاج المحاور إلى معرفة مخارج الحروف وصفاتها، وضبط الكلام وإتقانه، ومعرفة اللغة التي تجعل كلامه جميلا ومقنعا، ويسهل فهمه، ومن هنا يظهر اهتمام موسى عليه السلام في أن يرسل معه أخاه هارون عليه السلام معه إلى فرعون، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ القصص أية34.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الآداب، باب: استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، 353/14، رقم الحديث 5586.

[2] كثيرا ما تناولت كتب الحديث والفقه هذا الموضوع، وأفردت له أبوابا خاصة تحت عنوان "تسمية المولود..." وبينت الأحكام المتعلقة باختيار الاسم، من حيث متى يسمى المولود، وما يستحب من الأسماء وما يكره، ونحو ذلك مما يدل على أهمية الاسم في حياة الإنسان وقدرته أحيانا على تحديد مستقبله.

[3] محجوب، عباس. الحكمة والحوار علاقة تبادلية، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2006، ص181.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

المطلب الحادي عشر: استخدام الحكمة في الدعوة إلى الله

لا بد للداعي اعتماد الحكمة أثناء ممارسة هذا الواجب، وهذا يتطلب من الداعي أن يحيل كل خطوة قبل أن يقوم بها إلى منظومة من الأفكار العقلانية، ويصوب نحوها نظره النقدي، الذي يبصره بجدوى القيام بهذه الخطوة أو الإحجام عنها.

هذه الوسيلة في الدعوة هي التي تدفع عجلتها نحو الأمام، فتعطي ثمارا طيبة في واقع الناس، وكم من أخطاء وقع بها العاملون في المجال الدعوي بسبب غياب عنصر الحكمة، فأدى بهم إلى اجتهادات خاطئة، وحمل الناس على مزيد من التمسك والالتصاق بعاداتهم وأوضاعهم المنحرفة، ورفض تقبل القيم التي يطرحها الدعاة، ومن هنا يبرز لنا أهمية قول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ النحل أية125.

صور الحكمة في الدعوة إلى الخير التي ظهرت في سورة القصص كثيرة، يمكن لنا أن نعرض جانبا منها من خلال قوله تعالى:

1. ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص أية9.

نهت امرأة فرعون زوجها على قتل موسى عليه السلام، ومن حكمتها أنها لم تستخدم المفرد المخاطب"لا تقتله"، بل استخدمت عبارة الجمع المخاطب "لا تقتلوه"، لأن فرعون قد يجيبها في الحال ولا يقتله، لكنه قد يدفع موسى عليه السلام إلى أحد جنوده ليقتله، فيكون بذلك قد أجاب طلبها ونفذ إرادته، وتفاديا في الوقوع في هذا المأزق قالت:"لا تقتلوه"، أي لا تقتله أنت ولا تأمر أحدا بقتله[1].

[1] البقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، 247/14.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

2. ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ القصص أية12.

جاء هذا على لسان أخت موسى عليه السلام، أمام فرعون وزمرته، عندما أرسلتها أمها لتقصي أخبار أخيها موسى عليه السلام، فعدم استخدام الحكمة في هذا الموقف قد يؤدي ذلك قتل موسى عليه السلام، حيث أنها لم تقل:"أدلكم على أهل بيته"، ولو قالت ذلك لشكوا في أمرها بأنها تعرفه، كذلك من مظاهر حكمتها استخدامها لفظا يُحمل على أكثر من وجه، فعندما قالت :"وهم له ناصحون"، قالوا لها: قد عرفت أهل هذا الصبي، فقالت: أردت أنهم للملك ناصحون[1].

كذلك لقوله:" أدلكم على أهل بيت" ولم تقل:"على امرأة"، حتى توسع أمامهم دائرة الظن[2]، وتبعد عن نفسها كافة الشكوك، فبحكمتها استطاعت أن ترد موسى عليه السلام إلىٰ صدر أمه.

3. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ القصص أية59.

القرى: جمع قرية، والقرية: اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس[3].

أخبر الله أنه لا يهلك القرى حتى يبعث فيها رسلا ينذرونها، وفي ذلك إشارة إلى مظهر آخر من مظاهر الحكمة التي ينبغي أن يلتفت إليها الدعاة، وهي ضرورة تركيز دعوتهم على التجمعات السكنية والمناطق المأهولة بالناس، حتى يتسنى إيصال إشعاع الدعوة إلى أكبر عدد محتمل من الأفراد والجماعات.

---

[1] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، 238/7.

[2] البقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، 249/14.

[3] الأصفهاني. الغريب في مفردات القرآن، 521/1.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد جعل الله من مميزات أنبيائه ورسله أنهم في الأصل من أهل قرى، حيث يختارهم الله منها ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ يوسف أية109.

والسبب أن أهل القرى" هم أكمل عقولا، وأصح أراء، وليتبين أمرهم، ويتضح شأنهم"[1].

4. قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ القصص أية72.

تشير هاتان الآيتان إلى ضرورة أن يستخدم الداعي الحكمة في خطابه البياني، حيث يرتقي في ثقافته اللغوية، ويتفوق في قدرته البلاغية والبيانية ما يجعله قادرا على اختيار من الألفاظ ما هو أفصحها وأدقها، ويوظفها توظيفا صحيحا.

حيث نلحظ أن هاتين الآيتين على نسق واحد، لكن تذييلهما مختلف، مما يدل على بلاغة القرآن وحكمته، فلكل معنى ما يناسبه، ففي الآية الأولى قال الله تعالى:"أفلا تسمعون"، وفي الآية الثانية قال:" أفلا تبصرون"، ذلك لأن الآية الأولى تتحدث عن نعمة الليل، حيث لا مجال فيه لعمل حاسة البصر وذلك لانتشار الظلام فيه، عندئذ يكون الاعتماد أكثر على حاسة السمع، ولذا ناسب تذييل آية الليل بقوله تعالى: "أفلا تسمعون"، أما في النهار يكون اعتماد الإنسان على البصر أكثر من السمع، حيث الضوء الساطع، والأصوات المتداخلة التي تعيق السمع، ولذا ناسب تذييل آية النهار بقوله تعالى:"أفلا تبصرون"، فهو إذا ختام حكيم للآيات، حيث يضع المعنى فيما يناسبه[2].

---

[1] السعدي. تيسير الكريم الرحمن. 557.

[2] الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي، أخبار اليوم..قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، راجع أصله وخرج أحاديثه أحمد عمر هاشم، (د.ط)، (د.ت) 18/ 11003.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وأنا لا أطالب القارئ أن يرتقي بأسلوبه الدعوي ليضاهي هذا الأسلوب القرآني، فهو أسلوب معجز تحدى الله به البشرية جمعاء، لكن المطلوب هو أن يكون حكيما أثناء عرض بيانه الدعوي ويتجنب الوقوع في أخطاء عملية أو لغوية التي من شأنها عرقلة الدعوة وإعاقتها من تحقيق أغراضها ما أمكنه ذلك، وهذا أدعى لحمل الناس على قبول النصح منه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل السابع: التطبيقات التربوية

وفيه

المبحث الأول: التطبيقات التربوية في الجانب العقدي

المبحث الثاني: التطبيقات التربوية في الجاني العقلي

المبحث الثالث: التطبيقات التربوية في الجانب الأخلاقي

المبحث الرابع: التطبيقات التربوية في الجانب الاجتماعي

المبحث الخامس: التطبيقات التربوية في الجاني الدعوي

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تمهيد

لقد قدم الباحث ضمن فصول الرسالة رؤية تربوية لسورة القصص، وهي عبارة عن توجيهات تربوية، ينبغي أن تتفاعل معها الشخصية المسلمة من أجل الارتقاء بها في جوانبها المتعددة؛ سواء كان في الجانب العقدي أو العقلي أو الأخلاقي أو الاجتماعي أو الدعوي.

وفي هذا الفصل سيقوم الباحث بعرض بعض التطبيقات التربوية لأبرز الرؤى التربوية المستنبطة من سورة القصص وفق الترتيب السابق، في محاولة لإثراء العملية التعليمية، وتحسين ظروف التعلم، ورفع كفاءته ما أمكنه ذلك، وسيتم ذلك وفق النحو التالي:

المبحث الأول: التطبيقات التربوية في الجانب العقدي

1. على المعلم أن يغرس في نفوس التلاميذ العقيدة الصحيحة، بأن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والملك والتدبير، وأن يدربهم على استخدام حواسهم من سمع وبصر في التأمل في مظاهر الكون، حتى تستقر عظمة الله في قلوبهم، وأن الكون لا بد له من رب قادر على تصريف أمره، أخذا من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ القصص.
2. على المعلم أن يستغل ما يطرأ على مسرح الأحداث من حالات صعود وهبوط، ونصر وهزيمة، كوسيلة تربوية في تنمية عقيدة التوحيد، التي هي قوام الحياة وصلاح المجتمعات، تأسيا بمنهج القرآن في عرض قصة هلاك فرعون وقومه.
3. على القيادات التربوية استثمار مشاعر الخوف التي جبلت عليه نفوس المتعلمين، وتوجيهها إلى جهة واحدة، وهي الخوف من الله وحده، لما له من أثر في استقامة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سلوكهم، وإصلاح اعوجاجهم، فالله ساق لنا أخبار المكذبين وبين لنا عقابهم لما جبلت عليه نفس الإنسان من خوف ملاقاة نفس المصير إن سلك مسلكهم.

4. على العاملين في تصميم البرامج التعليمية أن يقوموا بتطوير المناهج التعليمية وتصميمها بصورة تساهم في تثبيت توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وهو من أهم عوامل النهوض الحضاري، أخذا من الغاية التي بعث الله بها موسى عليه السلام إلى فرعون وهو مزودا بمعجزة اليد البيضاء والعصا.

5. لا بد من تضمين البرامج التعليمية بآيات الآفاق والأنفس، حيث أن أكثر المشكلات الاجتماعية والانحرافات العقدية هي نتاج طبيعي عندما يحصل قصور في وعي الآفاق والأنفس، أخذا من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ القصص.

6. ضرورة استخدام العقيدة في الموقف التعليمي لإنتاج كيان بشري لا يحسن الشكوى فحسب، ولا تقعده الآلام عن فعل ما يجب عليه، بل يجتهد في دفع الشر عنه ما أمكنه ذلك، وبكل الوسائل المتاحة، وذلك عن طريق استلهام معنى التوكل، الذي تقوم أصوله على الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله تعالى، تأسيا بموسى عليه السلام عند خروجه من مدين، قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ القصص.

7. وضع برامج عملية لتدريب النشء على مهارات إتقان العمل، ورفع مستوى الجودة في مجالات الحياة كلها، وذلك باستلهام معنى اسم الله "بديع السموات والأرض" ، الذي يفيد

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أنه خلق كل شيء وأبدع في خلقه، اقتداء بموسى عليه السلام لما أتقن عملية إلقاء العصا وإدخال اليد في الصدر.

8. من عوامل الارتقاء بالعملية التربوية تقوية الوازع الديني لدى أبناء البيئة التعليمية، سواء كانوا معلمين أو مشرفين تربويين أو طلابا، لذا لا بد من تقوية مراقبة الإنسان لله، من خلال تعلمهم أسمائه وصفاته، كالعليم والخبير والسميع والبصير..، وهذا من شأنه أن يقوي ارتباط الإنسان بخالقه بشكل دائم، والخضوع لجلاله ومطلق أوامره في معظم الحال، اعتمادا على قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ القصص.

10. على المعلم تقديم ورشات عمل يتم فيها استثمار أسماء الله الحسنى الدالة على الرحمة، كالتواب والرحيم والسلام والغفور.. كوسيلة لترسيخ قيم الحب والتعايش بسلام، ونبذ قيم البغض والخلاف، بناء على قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ القصص.

11. يتوجب على المؤسسة التربوية عدم الاقتصار على تعليم العقيدة عن طريق التلقين المباشر، بل يمكن تعليمها بطرق ووسائل شتى، كالقيام برحلات هادفة، واستخدام الحس الجمالي لدى الطلاب، لتبسيط المفاهيم العقائدية وتقريبها إلى أذهان الطلاب، وهو ما لفتت إليه سورة القصص، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ القصص.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

12. من الأسس التي اعتمدت عليها سورة القصص لغرس العقيدة الصحيحة هو استعراض أحوال الأمم السابقة، كقصة فرعون وجنوده وقارون مع قومه، وما مر بها من أحداث ومشاهد، وفي ذلك لفت إلى أهمية الاعتناء بدراسة التاريخ، حيث يعتبر بحق مسؤولا عن توجيه الطاقات الفكرية والعقدية والأخلاقية في مسالك محددة، ومن هنا تنبع الحاجة إلى وضع برامج ودراسات تاريخية تهدف إلى تعزيز قيم التوحيد في نفوس الأبناء.

13. تضمين المناهج التعليمية بموضوعات الإعجاز العلمي، مع تحري قواعد هذا العلم ومراعاة شروط تطبيقه، وتكمن جدوى هذا العلم في تعميق الشعور بمصداقية الوحي، وما جاء عن النبي ﷺ من توجيهات وتشريعات في مختلف نظم الحياة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثاني: التطبيقات التربوية في الجانب العقلي

1. تربية الطلاب على التفكير المنظم، القائم على النقد الواعي، والنظر الشامل، والرؤية العلمية للأشياء والأحداث، وذلك بتقديم حدث ما، ثم تكليف الطلاب بالنظر في أدق تفاصيله وتقييمه، أخذا من قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ القصص.
2. عدم تقديم البرامج التعليمية كمسلمات غير قابلة للتغيير والتعديل، بل يجب صياغتها وتقديمها بصورة تنمي مهارات التفكير الناقد الذي لا يتقبل كل ما يسمع ويقرأ، بل يتأمل ويناقش ويفهم.بمعنى ألا يقتصر دور الطالب على مجرد الأخذ أو التلقي، بل يملك حق الرد، كما فعل موسى عليه السلام عندما أمره الله بالذهاب لفرعون قال : قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾ القصص.
3. محاولة المزج بين المبادئ النظرية والممارسات العملية في الموقف التعليمي، مما يساعد على تكوين اتجاهات إيجابية لدى الفئة المتعلمة، كما مازج الله بين قوله تعالى: ﴿ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ القصص. وقوله أيضا: ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴿٣٢﴾ ﴾ القصص.
4. على المعلم استخدام وسائل تعليمية متنوعة، واعتماد طرق التعليم الحديثة، بما يساعد على إثراء الموقف التعليمي، ورفع الكفاءة المعرفية لدى الطلاب، كاستخدام موسى عليه السلام للعصا واليد البيضاء.
5. على المعلم أن يبتعد عن التقليد الأعمى، وأن يكون كلامه مبنيا على حقائق علمية وبراهين عملية، فهو أحرى لأن يجد قبولا من فئة المتعلمين، حتى لا يكون كقوم فرعون الذي تركوا

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الاســـتجابة بقـــولهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ القصص.

6. القيام برحلات ونزهات بقصد التأمل في جوانب الطبيعة وما أودع الله فيها من عجائب خلقـــه وأسرار حكمته، كمهارة تربوية في التدريب على "الشهود البصري" و"الرؤيـــة البـــصيرية"، وكوسيلة هامة تعمل على تحقيق التكامل بين آيات الوحي وآيات الآفاق والأنفس، الأمر الذي يساعد على تعظيم الله في القلوب، أخذا من سياحة موسى عليه السلام وخروجه إلـــى أرض مدين.

7. دراسة الأحداث اليومية والوقائع التاريخية دراسة سننية، تهدف إلى كشف سنن الله في الـــدول والمجتمعات، وهذا مطلب تعليمي مهم لتصحيح نظرة الطلاب للأحداث، والتعاطي مع الحدث وفق المنهج الصحيح، وهو الغاية التي من أجلها ساق الله لنا قصة فرعون وقارون وغيرهما في آيات الذكر الحكيم.

8. ضرورة أن يُذكر الطلاب بمصادر العلم الباطلة، كالسحر والشعوذة والأســـاطير والخرافـــة، وتعريفهم بمصادر العلم الصحيحة التي تربط بين الأسباب والنتائج وفق أصول عقلية.

9. على المعلم أن يشجع طلابه على طرق التعلم التعاوني، من خلال تقديم برامج وأنشطة تعليمية تعتمد أساسا على التفكير والتعاون الجماعي، الذي يعمل فيما بعد على تقريب وجهات النظر وفتح قنوات الاتصال بين جميع أفراد الأمة، اعتمادا على تعاون موسى وهـــارون عليهمـــا السلام في دعوة فرعون.

10. على المعلم أن يعتمد على القصة الهادفة التي تحرك العقول وتثير المشاعر وترفـــع درجـــة الانتباه لدى الطلاب، وهي من العوامل المساعدة على غرس القيم والعادات الصالحة والميول

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والاتجاهات الإيجابية، كما عليه الحرص باستنباط الرؤى والمضامين، واستخدامها في معالجة الأوضاع التربوية القائمة.

11. يمكن للموجه التربوي أن يحدث أعظم درجات التأثير الإيجابي في نفوس المتعلمين من خلال كونه أنموذجا للشخصية الصالحة، بحيث يحمل ذلك الطلاب على الاقتداء به والتمثل بسلوكه قولا وعملا، كما كان موسى عليه السلام الذي كان نموذجا للزوج الصالح والداعي الصالح والأخ الصالح...

12. لا بد للمعلم أن يراعي أثناء تعليمه بعض الجوانب التي لها الأثر الكبير في فهم الطلاب للمادة واستيعابهم لها، كالفروق الفردية بينهم والظروف النفسية التي يمر بها الطالب التي تتخلل مرحلة التعلم، فإذا راب المعلم شيء من طالبه، أو لاحظ عليه أمارات عدم التركيز والانتباه، فعليه تفهم هذه الحالة والمبادرة إلى التخفيف منها بأسلوب تربوي، وقد وجدنا ذلك عندما أزال الله الخوف عن موسى عليه السلام باعتباره عائقا عن التعلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ القصص.

13. على المعلم أن يلفت عناية الطلاب إلى ضرورة تحسين الثروة اللغوية، بما يخدم اللغة العربية، ذلك أنها ليست أداة التخاطب فقط، بل هي وعاء ثقافي وهوية إسلامية، والحفاظ عليها هو حفاظ على الهوية والثقافة الإسلامية، فموسى عليه السلام طلب من ربه أن يرسل أخاه هارون لما يتمتع به من فصاحة وقوة بيان.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث: التطبيقات التربوية في الجانب الأخلاقي

1. على المعلم أن ينتهج العدل أثناء تعامله مع الطلاب، فلا يظلم طالبا لحساب طالب آخر، وهو أحرى أن يقبل منه جميع الطلاب إرشاده ونصحه، خاصة أنه قدوة لطلابه، وتظهر أهمية ذلك أن التعليم بالقدوة أبلغ وسائل التعليم وأبعدها أثرا في النفوس، وما أحوج أن تتكاتف جهود العاملين في المؤسسات التربوية من مشرفين ومعلمين وإداريين في ترسيخ هذه القيمة وسط عالم يعج فيه الظلم ويُعتدى على المظلوم، مثل موسى عليه السلام الذي رفض الظلم وناصر المظلوم عند دخوله أرض مدين.
2. لا بد من التأكيد أثناء التعليم على تميز الشخصية المسلمة بخلق الحياء، وهو مظهر من مظاهر شخصية الأمة التي أرادها الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس، فبانعدام خلق الحياء ينعدم وجود العلم ومعاني الخير في الحياة كلها، كإحدى بنات شيخ مدين، قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴿٢٥﴾ ﴾القصص.
3. على مصممي المناهج التعليمية أن يضعوا المناهج من منطلق الشعور بالأمانة، وهذا من مستلزمات فريضة العلم، علما بأن صور الأمانة في الصرح العلمي متعددة، فمنها؛ اختيار المعلمين حسب جدارتهم وكفاءتهم، وليس حسبما تمليه المصالح والمحسوبية، ووضع الشخصية المناسبة في الوظيفة المناسبة، واختيار المضامين التعليمية التي تتناسب مع توجيهات الدين الإسلامي، وغير ذلك كثير، اعتمادا على قول الفتاة: قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

4. على الإدارة التربوية أن تعمل على تطهير البيئة التعليمية من مظاهر العجب والكبرياء والتفاخر على الآخرين، ابتداء من المعلم، فلا يزهو بنفسه ولا يترفع عن طلابه أو الحديث معهم، ولا يرى لنفسه فضلا عليهم بحيث يزرع في قلوب طلابه بغضا عليه، اعتبارا بما حصل مع المتكبرين أمثال فرعون وقارون.

5. على المعلم أن يتفهم الطبيعة الإنسانية وما جُبلت عليه من مقارفة الخطأ والوقوع في الزلل، فلا يستعظم الخطيئة منهم حتى تفقده الأمل في الإصلاح، ولا يستهونها حتى تصبح مستساغة لديهم، فموسى عليه السلام وقع هو الآخر في الخطأ عندما قتل القبطي، لكنه سرعان ما استرجع نفسه وحاسب ذاته وأصلح.

6. على المعلم أن يطلع طلابه على أخطائهم ويعلمهم بمواقع الخلل، كما عليه أن يعلمهم أسلوب الاعتذار عند الوقوع في الخطأ، والقدرة على الإقلاع عنه مع محاولة تداركه وإصلاحه ما أمكنهم ذلك، كقوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ القصص.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الرابع: التطبيقات التربوية في الجانب الاجتماعي

1. على مصممي المناهج التربوية وضع المناهج العملية التي تهدف إلى ترشيد طرق الإنفاق والاستهلاك لدى الطلاب، وبحث إمكانية تنشيط الأعمال اليدوية واستثمار الثروات الطبيعية، وذلك عن طريق ممارسة هواية الصيد، أو تربية الدواجن، والاعتناء بالأرض، ونحو ذلك، في إطار يستهدف دفع المسيرة التنموية وإكساب الطلاب فكرة الاعتماد على الذات، اعتمادا على استغلال موسى عليه السلام للنار التي هي مصدر الطاقة وجوهر الصناعة.
2. على الإدارة التربوية العمل على تغيير بعض المفاهيم العالقة في نفوس الطلاب، التي تنظر نظرة بخس إلى العمل والعمال، وهذا يقتضي الرجوع إلى قصص الأنبياء وعرض جوانب من حياتهم العملية، خاصة نبينا محمد ﷺ الذي عمل في رعي الأغنام، وموسى عليه السلام الذي عمل لدى شيخ مدين عشر سنين.
3. وضع خطط تربوية تستهدف تدريب الطلاب على أن يكونوا منتجين، لا مجرد مستهلكين، وهذا يتطلب بالدرجة الأولى تنمية قدراتهم العقلية والجسدية، ضمن مفهوم "القوي الأمين".
4. ضرورة التنسيق بين القائمين على الإشراف التربوي وبين الإدارة التعليمية في نطاق المدرسة من جانب، وبين الأهل من جانب آخر، لوضع الأهداف المشتركة، كمحاولة أساسية لتجنب حدوث التناقض بين عمل هذه المؤسسات، الأمر الذي يفوت فرصة بناء الإنسان الصالح في شعوره وفكره، لعامل لخدمة مجتمعه، كالتكامل الذي حصل بين تربية أم موسى لموسى والرجل الصالح الذي جاء يسعى من أقصا المدينة وزوجة فرعون، كلهم تكاملوا لمصلحة واحدة وهي الحفاظ على حياة موسى عليه السلام.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

5. على المعلم أن يعود طلابه على الرفق والرحمة، وينمي في نفوسهم مساعدة المحتاج والعطف على الضعيف أو الغريب، وعدم استغلال ظروف ضعفهم وصور عجزهم، كما فعل شيخ مدين مع موسى عليه السلام لما أواه إليه، عندما جاءه طريدا.

6. القيام بنشاطات تعليمية، مع ضرورة الاقتصار على أدنى الحاجات الجسدية، من مأكل ومشرب وملبس ونحو ذلك، ويمكن أن يستمر ذلك النشاط لمدة يومين أو أكثر، كتدريب تربوي على الابتعاد عن مظاهر السرف والتبذير، والشعور بحاجة الفقير والمحتاج، بناء على موسى عليه السلام الذي خرج من مصر إلى مدين في حالة تمثل أقسى أنواع الشظف والخشونة.

7. على المعلم أن يحسن الاستماع لطلابه، ويعطيهم فرصة التعبير عما يجول في خبايا نفوسهم من مشاعر وأحاسيس، وما يتسلل في مسارب تفكيرهم، إذ أن كبت هذه المشاعر قد يعطيها فرصة التحول إلى ممارسات عدوانية، كما سمع الله لنبيه موسى عليه السلام لما قال :﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾ القصص.

8. على المعلم أن يثري حصته بآيات من الذكر الحكيم، أو عرض طائفة من الأحاديث النبوية، أو مجموعة من أخبار الصالحين، التي تجسد القيم الاجتماعية، وترغب في تعزيز روح التفاهم والتعاون بين الأفراد والجماعات، بناء على ما جاء في سورة القصص من قصص الصالحين والأنبياء أمثال موسع وشيخ مدين.

9. على واضعي المناهج التعليمية أن يقوموا بغربلة النصوص والمواد التي يتعلمها الطلاب، فيتحروا منها النصوص الهادفة ذات الأثر الطيب في الحياة الاجتماعية، وتساهم في صناعة الإنسان الصالح في نفسه، والمصلح لغيره، ويسقطوا منها ما هو ضار، التي تعنى بتهييج الغرائز، وإثارة الشهوة، ورفع الحواجز بين الجنسين ودفعهما إلى الرذيلة، أخذا من الفتاة التي جاءت إلى موسى وحاجز الحياء يمنعها إلى من الكلام المقتضب المفيد.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

10. ضرورة مساهمة مجالس الآباء والمعلمين والمشرفين التربويين في العمل على حل مشاكل الخلاف الدائرة بين الطلاب، ومعالجتها بطرق تقوي انتظام العلاقات الاجتماعية فيما بينهم وفق لغة التفاهم والتعاون، بدل لغة العنف والإيذاء، أخذا من محاولة موسى عليه السلام في فض النزاع بين الخصمين.

11. على المعلم أن يحرص على تحقيق التماسك بين أفراد المتعلمين، ويغرس في نفوس الطلاب حب مساعدة الغير وتقديم المعونة والانسجام مع الآخر، وذلك من خلال القصة الهادفة أو الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، أو تكليف الطلاب بمهام ونشطات تؤدى ضمن إطار جماعي، كأسلوب تربوي لنزع مشاعر التفرد، كالاتحاد الحاصل بين موسى وهارون عليهما السلام لما ذهبا إلى فرعون.

12. من واجب المعلم أن يهتم بالجانب النفسي لطلابه، ويراعي الظروف الاستثنائية التي يمرون بها، لما لهذا الجانب من أثر على العملية التعليمية، فقد يكون قصور الطالب في أداء بعض المهام الدراسية ناشئ عن حالات قلق أو خوف أو حزن، وليس من كسل أو إهمال، وفي هذه الحالة لا يصلح اللوم أو التقبيح، بل تفهم هذه المشاعر ومحاولة التخفيف منها، حيث أن الله أزال الخوف عن موسى عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ القصص.

13. على المعلم أن يكون وثيق الصلة بطلابه، فيتفقد أحوالهم، ويلاحظهم في حضورهم وغيابهم، ويظهر البشاشة عند لقائهم، وهذا من شأنه أن يخلق حالة من الحب بين المعلم والطالب، وهو الأسلوب الأقوم لقبول الطالب لنصائح وتوجيهات معلمه، فالنفس البشرية مجبولة على تقبل من أحسن إليها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

14. على المؤسسة التعليمية أن تهتم بإمداد الطالب بكل ما يحتاج إليه من علوم ومعارف في المجالات كلها، بحيث يتربى الطالب تربية متكاملة تقوم على التوازن والاعتدال ولا سيما في الجانب الاجتماعي، حتى ينشأ الطالب على تحقيق الموازنة بين مطالبه الخاصة ومطالب مجتمعه الذي يعيش فيه، فموسى عليه السلام قد وازن بين مطالب نفسه لما خرج من مصر للحفاظ على حياته، وبين مطالب مجتمعه لما عاد إليها مرة أخرى للحفاظ على حياة أفراد مجتمعه.

المبحث الخامس: التطبيقات التربوية في الجانب الدعوي

1. على المعلم أن يتزود بالعلم الشرعي الذي يستطيع من خلاله غرس المفاهيم الإسلامية في نفوس التلاميذ، كما تزود موسى عليه السلام بعقيدة الصحيحة قبل أن ذهب معلما وناصحا لفرعون وقومه.
2. على المعلم أن يتزود بمهارة الإلقاء والإقناع لنقل الفكرة الإسلامية وتبيين حقائقها أمام الطلاب، وألا يعتمد أسلوب الإكراه والتعنيف، مما يكبح نفس المتعلم على التعرف على أصول الدين ومبادئ الإسلام، وهو الغاية من شد عضد موسى عليه السلام بأخيه هارون الذي كان أفصح منه لسانا.
3. على المعلم أن يتخذ من الأسلوب القرآني نهجا ينتهجه في الدعوة إلى الله، مع مراعاة طبيعة الناس والظروف التي يمرون بها، مع الالتزام بأخلاق الحوار القرآني، التي تدور في إطار الحكمة والموعظة الحسنة، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق فتح الفرص أمام الطلاب لمناقشة بعض المسائل في جوانب مختلفة، ويقوم المعلم بدور الموجه للحوار حتى لا يخرج عن حدود الحوار البناء، أخذا من الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام وبين ربه تبارك وتعالى لدى تكليفه بالرسالة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

4. على المعلم أن يكون مطلعا على حجم الانحراف والفساد الواقع في حياة الشعوب والمجتمعات، دون أن يدع لها مجالا لكبح آماله وتحطيم عزيمته، بل عليه أن يحسن استثمارها كوسيلة من وسائل التغيير، كما فعل موسى عليه السلام الذي لم يكن ليتسنى له تحرير شعب بني إسرائيل لولا تحقق هذه الصفة به.

5. عدم اقتصار المعلم على وسيلة واحدة من وسائل الدعوة، سواء كان في جانب الأمر بالمعروف أو جانب النهي عن المنكر، بل عليه أن ينوع الأساليب لإبراز محاسن الإسلام، وحصول القناعة بها لأكبر عدد ممكن من الطلاب، أخذا من تنوع معجزة موسى عليه السلام وهي اليد البيضاء والعصا.

6. انتقاء المعلم لعناصر صالحة من الطلاب يتوسم فيهم الخير، ليكونوا بمثابة همزة وصل بينه وبين الطلاب جميعا، كما انتقى موسى عليه السلام أخاه هارون لمعاونته في حمل الرسالة.

7. اهتمام المعلم بتطهير الطلاب من الأفكار الهدامة والشبهات المثارة والتصورات المشوهة حول أصل من أصول الدين بهدوء واتزان، حتى يتسنى له تزويدهم بالقيم والأفكار الإسلامية الصحيحة، وقد ظهر ذلك من خلال اهتمام السورة بدحض بعض الشبهات، كشبهة كفار مكة الذين قالوا: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴿٥٧﴾ ﴾ القصص.

8. على مصممي المناهج وضع برامج عملية لتمكين الطلاب من ممارسة الدعوة إلى الله، فإن الله قد أرسل موسى إلى فرعون بعد أن مر ببرامج عملية مكنته من فهم طبيعة الدعوة، والتي منها وجوده في جو مشحون بالخوف والكرب، وخروجه من بلده طريدا، واضطراره للعمل معتمدا على ذاته وغيرها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويقترح الباحث صورا عدة من البرامج التي تدرب الطلاب على ممارسة الدعوة، منها:

- تحديد حصص وساعات من حصص التعليم أو محاضرات أو ورش عمل للطلاب لممارسة الدعوة.
- استغلال حصص التعبير الكتابي في تكليف الطلاب في معالجة بعض الموضوعات، كأن يعرض المعلم شخصية وهمية مارست أحد ألوان السلوك الخاطئ، ثم يكلف طلابه بكيفية مواجهة هذا الشخص وإقناعه للابتعاد عن ممارسة هذا السلوك.
- وضع لوائح على جدران الصفوف والممرات ترغب في قيمة خلقية حسنة، على أن تكتب في مكان عام وبخط واضح وجذاب.
- توزيع منشورات ومطويات على طلاب المدرسة، تتناول أحد الموضوعات التي تثير اهتمام الطلاب، ثم معالجتها من المنظور الإسلامي.
- استقطاب أحد رموز العاملين في مجال الدعوة إلى الله، ويفضل أن يكون ممن يتمتع بصيت حسن، مع قدرته على إثارة القضايا الهامة ببراعة وإتقان.

9. إرشاد الطلاب وتوجيههم إلى المواقع الإسلامية عبر شبكات الانترنت، وتعريفهم على طرق استخدامها.
10. اختيار مجموعة من الطلاب من ذوي أهل الغيرة، وتقسيمهم ضمن مجموعات تمارس مهمة الدعوة كأداة هامة في ترسيخ قيم التعاون بين العاملين في الدعوة إلى الله.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمة

بعد الخوض في غمار هذه الرسالة واستعراض مراحلها وتدقيق النظر في آيات سورة القصص توصل الباحث إلى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات، ومن أهم ما توصل إليه ما يلي:

أولا: أهم استنتاجات الدراسة:

1. القرآن الكريم منهج أساسي للتغيير المنشود، وكل محاولة للتغيير، سواء كانت على الصعيد الفردي أو الجماعي، لا تنطلق من القواعد القرآنية تبقى مبتورة.
2. لا بد من اقتباس النظم لمعالجة المشكلات التربوية من معين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهما الأساسان لتسوية الأوضاع الإنسانية في مجالاتها عامة، العقدية والعقلية والاجتماعية والنفسية والسياسية والاقتصادية، وغيرها من المجالات التي لم يفرزها الواقع الإنساني بعد.
3. جوهر المشكلة في تعثر المسيرة التربوية في العالم المعاصر يتمثل في عدم التعامل مع القرآن الكريم والسنة النبوية كمصدرين أساسيين للتوجيه والتربية والإرشاد، والنتيجة تردي الأوضاع البشرية من سيء إلى أسوأ.
4. سورة القصص صالحة لأن تكون نظاما تربويا مستقلا بذاته، حيث تتجسد فيها شمولية القرآن الكريم في عالم الأفراد والجماعات.
5. اعتناء سورة القصص بإبراز هذه الشمولية هي دعوة صريحة إلى ضرورة أخذ الإسلام بمنهجه الشمولي، وأن أخذ بعضه لا يغني عن بعضه الأخر.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

6. تحتوي سورة القصص على منهج رصين يعالج قضايا تربوية كبرى، بحيث يكفل تطبيقه إخراج الإنسان الصالح والمجتمع الصالح والأمة الصالحة.

7. عقيدة التوحيد هي الكلمة الأولى التي ينبغي أن نفتح بها سمع وبصر وقلب الإنسان، ولا يقتصر الدور على استظهارها، بل لا بد من تعميق الوعي بها وفهم معانيها ومقتضياتها، لضمان الحصول على إنسان الرسالة.

8. اهتمام التربية الإسلامية باطلاع الإنسان على طلاقة قدرة الله في الخلق، وطلاقة علمه وتدبيره ولطفه، كسبيل في إيجاد الإنسان الذي يتلقى أوامر الوحي وتوجيهاته بكل حب وثقة واطمئنان، وهو الدافع الأساسي لتوحيد الله ذكرا ودعاء وصلاة ورجاء وخوفا وتوكلا..

9. أن تنمية القدرات العقلية، وإطلاق سراح الفكر الإنساني من أغلال الدكتاتورية والهوى والآبائية هو من أجل بناء عقلية إسلامية مبصرة، تقوم على فهم الواقع وتطويره تحت مظلة الشريعة الإسلامية.

10. أهمية تحقيق التكامل بين آيات الوحي وآيات الأفاق والأنفس لتعديل سلوك الفرد والجماعة.

11. ضرورة الاعتناء بالجانب الأخلاقي وتربية الفرد والجماعة على الأدب الرفيع والذوق السليم، حيث لا يتحقق التقدم للبشرية إذ لم تعط الأولوية للقيم الخلقية الحميدة تنظم حياتها العامة والخاصة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

12. التغيير الاجتماعي لا يأتي بضغطة زر ولا بصورة سحرية، وإنما هو مشوار طويل يبدأ من وجود الفرد الصالح ويتطور إلى الأسرة الصالحة ثم المجتمع الصالح، ضمن مراحل متدرجة وخطوات واضحة ومحطات ذات معلم محدد.

13. إشارة القرآن أن أساس المجتمع الصالح هو وجود الأسرة الصالحة، فانعدام الأسرة الصالحة تضطرب الحياة وتنتشر فيها أعمال التخريب، وبتماسك الأسرة على أسس التقوى والصلاح وتعاون أفرادها على قيم الخير يزدهر المجتمع ويرتقي بأبنائه إلى حياة الحسن والجمال.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثانيا: التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

1. ضرورة الاستفادة من التقنيات الحديثة في التعليم، كاستخدام الحاسوب والعاكس وغيرها من وسائل التعلم، مما يفتح أمام المتعلم أفاقا واسعة للحصول على المعرفة.
2. ضرورة العناية عند اختيار من يقوم بمهنة التعليم، بحيث يكونوا من ذوي الكفاءة العلمية والمستوى الأكاديمي والأخلاقي والديني الرفيع، لأن تعليم مهارات التفكير السليم وتذويت القيم الخلقية في نفوس الطلاب لا يكون إلا بأمثال هؤلاء.
3. ضرورة بلورة فلسفة تربوية متكاملة وواضحة من المصادر الإسلامية، لضبط المسار التربوي في عالم متغير ويشهد صراعات عنيفة في الرؤى والوسائل والأهداف.
4. إصلاح المناهج التعليمية وأن تأخذ وزارات التربية في العالم الإسلامي على عاتقها مسؤولية إعداد جيل الرسالة، جاعلة من ذلك هدفا رئيسيا عندما تشرع في تحديد مضامين مناهجها.
5. ضرورة تعاون المؤسسات الاجتماعية على ترسيخ القيم التربوية في نفوس النشء، وبث فيهم روح الانتماء للأمة الإسلامية، وحمايتهم من عوامل التشتت والفساد.
6. ضرورة أن تتكامل المؤسسات التربوية فيما بينها، لضمان إيجاد عقلية إسلامية مبصرة وواعية، تفهم الواقع وتعمل على تطويره.
7. على القائمين على جهاز التربية والتعليم أن يهتموا بتطبيق المضامين التربوية المستنبطة من سورة القصص، لما لها من أثر بالغ في تربية الإنسان تربية إسلامية شاملة، ومتكاملة في جميع جوانب شخصيته.
8. يوصي الباحث بمواصلة البحوث التربوية، وتأصيلها في العديد من السور القرآنية الكريمة ما أمكن ذلك، لاشتماله على كل ما يخدم العلوم الإنسانية في جميع مجالاتها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد، فتحي السيد عبده. الإسلام والعدالة الاجتماعية، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، (د.ت).
2. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب. المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
3. الألوسي، شهاب الدين السيد محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
4. الأميري، أحمد البراء. فن التفكير رؤية إسلامية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1426هـ.
5. الأهدل، هاشم بن علي. تدبر القرآن الكريم أساليب علمية ومراحل منهجية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (د،ط)، (د.ت).
6. ابن تيمية، تقي الدين احمد. العبودية، تحقيق وتعليق محمد زينهم عزب، دار القلم للتراث، القاهرة، (د.ط)، 1989.
7. ابن تيمية، تقي الدين أحمد. مجموعة الفتاوى، دار الوفاء، مكتبة العبيكان، ط2، 1998.
8. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 1996.
9. ابن الطاهر، نور الدين بن محمد. أساليب التعامل مع الخصوم في ضوء السنة النبوية، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، إربد، ط1، 2005.
10. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي. تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، (د،ط)0(د،ت).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

11. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ط3، 1994.

12. ابن هشام، أبو محمود عبد الملك. سيرة النبي ﷺ، تحقيق محمد عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

13. البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1994.

14. بدوي، جمال. الطغاة والبغاة، دار الشروق، بيروت، ط1، 1996.

15. البقاعي، أبو الحسن إبراهيم. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، 1992.

16. بكار، عبد الكريم. تجديد الوعي، دار القلم، دمشق، ط1، 2000.

17. بكار، عبد الكريم. عصرنا والعيش في زمانه الصعب، دار القلم، دمشق، ط1، 2000.

18. بكر: عبد الرحمن. علاقات العمل في الإسلام، المؤسسة الثقافية العمالية، القاهرة، 1970.

19. البلوي، عطا الله بن يحيى بن مناحي. المضامين التربوية وتطبيقاتها في سورة الشعراء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، 1430هـ.

20. تركي، إبراهيم محمد. السببية عند القاضي عبد الجبار، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2004.

21. التل، شادية أحمد. علم النفس التربوي في الإسلام، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005.

22. كورتوا. الطريق إلى القيادة وتنمية الشخصية، ترجمة سالم عيسى، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1999.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

23. جابر، أمينة. التفكك الأسري الأسباب والآثار، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عدد 83، جمادى الأولى، سنة 1422.

24. الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات، المطبعة الخيرية، (بلا دار نشر)، مصر، (د،ط) 1306هـ.

25. الجليل، عبد العزيز. ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، دار طيبة، الرياض، ط1، 1417هـ.

26. الحازمي، خالد بن حامد. أصول التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1420هـ.

27. حبنكة، عبد الرحمن حسن. فقه الدعوة إلى الله، دار القلم، دمشق، ط1، 1996.

28. حجاج، علي حسين. نظريات التعليم دراسة مقارنة، عالم المعرف، بيروت، (د،ط)، 1986.

29. خان، صديق حسن. فتح البيان في مقاصد القرآن، مطبعة العاصمة، القاهرة، (د.ط)، 1965.

30. خلية البحوث والدراسات. استراتيجيات في تربية الأسرة المسلمة، إشراف توفيق الواعي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2006.

31. داود، ناصر عبد العزي. الوسائل التعليمية وعلاقتها بتقبل الطالب للمادة الدراسية، شركة العبيكان، الرياض، (د.ط)، 1412هـ.

32. الدغشي، أحمد محمد حسين. نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

33. الدويش، محمد بن عبد الله. تربية الشباب الأهداف والوسائل، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 2002

34. راشد، سعيد. السنن الربانية في التصور الإسلامي، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمـــان، ط1، 2008.

35. زايد، فهد خليل. أسرار القصة القرآنية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2007.

36. زريق، معروف. علم النفس الإسلامي، دار المعرفة، ط 1، (د.ت).

37. زكريا، أبو بكر محمد. الشرك في القديم والحديث، مكتبة الرشد للنشر، الريـــاض، ط1، 2001. 35.

38. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيـــل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2002.

39. زمزمي، يحيى بن محمد حسن. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتـــاب والـــسنة، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ط1، 1994.

يَأْتِيكُمْ تَسْمَعُونَ. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، حكم على أحاديثه وعلق عليـــه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 2007.

41. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنـــان، جمعيـــة إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط2، 2001.

42. السلخي، محمود. طرق تدريس التربية الإسلامية، دار كنوز المعرفة، (بلا مكان النشر)، ط1، 2009.

43. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال. الإتقان في علوم القرآن، مراجعة وتـــدقيق سعيد المندوه، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

44. شرفة، حسين. سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2008.

45. الشرقاوي، محمد عبد الله. الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990.

46. الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي، أخبار اليوم..قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، راجع أصله وخرج أحاديثه أحمد عمر هاشم، (د.ط)، (د.ت).

47. شهوان، راشد سعيد. الضوابط الشرعية لقضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والمسائل الحديثة في العلم والإيمان، دار المأمون للنشر والتوزيع، العبدلي-الأردن، ط1، 2010.

48. شهوان، راشد سعيد. السنن الربانية في التصور الإسلامي، الناشر الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2009.

49. الشيخلي، عبد القادر. ثقافة الحوار في الإسلام، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ط1، 2003.

50. الشيرازي، ناصر مكارم. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مطبعة الأميرة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005.

51. الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، دار الصابوني، (د،ط) (د،ت).

52. الصاوي، صلاح. منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، (د.ط)، 1998.

53. الصعيدي، عبد الحكيم عبد اللطيف. الأسرة المسلمة، أسس ومبادئ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1993.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

54. الصلاحي، أمين نعمان. من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 2008.

55. الصويان، أحمد بن عبد الرحمن. الحوار أصوله ومنهجه وآدابه السلوكية، دار الوطن، الرياض، ط1، 1994.

56. طاهر، علوي عبد الله. الأنموذج القيادي التربوي الإسلامي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2007.

57. الطبري، محمد ابن جرير. جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق محمود شاكر، مطبعة دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت).

58. الطريقي، عبد الله بن إبراهيم. فقه التعامل مع المخالف، دار الوطن، الرياض، (د.ط)، (د.ت).

59. طنطاوي، محمد سيد. القصة في القرآن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1996.

60. الطويل، محمد. العمال في رعاية الإسلام، مكتبة ومطبعة الغد، الجيزة، ط1، 1998.

61. عبد الله، عودة عبد عودة. أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، دار النفائس للنشر والتوزيع، العبدلي-عمان، ط1، 2005.

62. عبد المعطي، يوسف. تربية المسلم في عالم معاصر، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ط2، 1998.

63. عبده، يزن أحمد. تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف، دار العلوم للنشر والتوزيع، العبدلي-عمان، ط1، 2005.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

64. عبيدات، ذوقان، وآخرون. البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط7، 2001.

65. العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996.

66. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، حقق أصولها وأجازها عبد

67. العقل، ناصر. بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة، دار العاصمة، الرياض، ط2، 1998.

68. عقلة، محمد. تربية الأولاد في الإسلام، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط1، 1990.

69. علوان، عبد الله ناصح. تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط30، 1996.

70. علي، سعيد إسماعيل. أصول التربية الإسلامية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2007.

71. عمارة، محمد. الإسلام في مواجهة التحديات، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2007.

72. العمر، ناصر بن سليمان. التوحيد أولا، دار الوطن، الرياض، ط1، 1413هـ.

73. فائز، أحمد. اليوم الآخر في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط13، 1986

74. القباني، إبراهيم محمد. دور علماء المسلمين في تطوير العلوم، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، المملكة العربية السعودية، (د.ط)، (د.ت).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

75. القرضاوي، يوسف. خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، بيروت، ط1، 2004. 68. القرضاوي، يوسف. في فقه الأولويات، مكتبة وهبة، عابدين-مصر، ط3، 1999.

76. القرشي، باقر شريف. نظام الأسرة في الإسلام دراسة مقارنة، دار الأضواء، بيروت، ط1، 1988.

77. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د،ط)، 1998.

78. القطان، مناع. مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط19، 1983.

79. قطب، سيد. في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط25، 1996.

80. القيسي، مروان. معالم التوحيد، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، إربد، ط1، 2008.

81. الكناني، ابن جماعة. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

82. الكيلاني، ماجد عرسان. فلسفة التربية الإسلامية، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، ط1، 2009.

83. الكيلاني، ماجد عرسان. مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون بها، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، ط1، 2005.

84. الماوردي، علي بن محمد حبيب. أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987.

85. محجوب، عباس. الحكمة والحوار علاقة تبادلية، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2006.

86. محمود، إبراهيم وجيه. القدرات العقلية، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، 1985.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library Yarmouk University

87. محمود، محمد محمود. علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1984.

88. مدن، يوسف. التعلم والتعليم في النظرية التربوية الإسلامية، دار الهادي، (بلا مكان النشر)، ط1 (د.ت).

89. المرصفي، سعد. العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1980.

90. الندوي، أبو الحسن. روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، دار القلم، الكويت، (د.ط)،(د.ت).

91. النووي، محيي الدين مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم، حقق أصوله وخرج أحاديثه، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط6، 1999.

92. الهادي، محمد زين. علم نفس الدعوة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1995.

93. هاشم، أحمد عمر. الإسلام وبناء الشخصية، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1997.

94. الوقفي، راضي. مقدمة في علم النفس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 1998.

95. يحيى، هارون. المعجزات القرآنية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2003.

مواقع في شبكة الانترنت

1. http://alkafeel.net/forums/showthread.php?p=99186

2. http://www.almarefefh.net

3. http://www.annabaa.org/nbanews/64/170.htm3

4. http://www.nabulsi.com/text/03quran/1friday/028kasas/kasas-10.php

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله	البقرة/170	80
وإذ قال إبراهيم رب أرني	البقرة/260	63
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	البقرة/277	307
كنتم خير أمة أخرجت للناس	آل عمران/110	188
والذين إذا فعلوا فاحشة	آل عمران/135	135
أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم	آ عمران/136	135
لتبلون في أموالكم وأنفسكم	آل عمران/186	67
يريد الله أن يخفف عنكم	النساء/28	119، 132
الرجال قوامون على النساء	النساء/34	151
إن الله يأمركم أن تؤدوا	النساء/58	116
فبظلم من الذين هادوا	النساء/60	116
إن الذين توفاهم الملائكة	النساء/97	124
ما لهم به من علم	النساء/157	55
وأخذهم الربا وقد نهوا عنه	النساء/161	116
وتعاونوا على البر والتقوى	المائدة/2	219
يا أيها الذين آمنوا من يرتد	المائدة/54	122
أومن كان ميتا فأحييناه	الأنعام/122	216
وإن يروا كل آية	الأعراف/146	230
ولقد أخذنا آل فرعون	الأعراف/130	51
فإذا جاءتهم الحسنة	الأعراف/131	51
سأصرف عن آياتي	الأعراف/146	82
إن الذين كفروا ينفقون	الأنفال/36	209
قل لن يصيبنا	التوبة/51	29
وما يتبع أكثرهم إلا ظنا	يونس/36	55
ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا	يونس/45	35
هو أنشأكم من الأرض	هود/61	157
ولو شاء ربك لجعل	هود/118	199

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال الملك ائتوني به	يوسف/54	91
وما أرسلنا من قبلك	يوسف/109	137
لقد كان في قصصهم	يوسف/111	208،42
والذين صبروا ابتغاء	الرعد/22	67
وعد الله	الرعد/31	108
وضرب الله مثلا	النحل/76	129
إن الله يأمر بالعدل	النحل/90	129
ادع إلى سبيل ربك	النحل/125	235
وجادلهم بالتي هي أحسن	النحل/125	222
وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه	الإسراء/23	160،28
وقل لعبادي يقولوا	الإسراء/53	28
وما أرسلناك إلا رحمة	الأنبياء/107	207
وما جعل عليكم في الدين	الحج/78	167
وقل للمؤمنين يغضوا	النور/30	144
وقل للمؤمنات يغضضن	النور/31	114
أم تحسب أن أكثرهم يسمعون	الفرقان/44	141
وعباد الرحمن الذين يمشون	الفرقان/67	122
طسم	القصص/1	170
تلك آيات الكتاب المبين	القصص/2	170
نتلو عليك من نبأ موسى	القصص/3	170،12
إن فرعون علا في الأرض	القصص/4	171،170،143،124،76
ونريد أن نمن على الذين	القصص/5	194
وأوحينا إلى أم موسى	القصص/7	193،155،149،146،108،56،20
فالتقطه آل فرعون	القصص/8	60
وقالت امرأة فرعون	القصص/9	235،223،194،183،183،126
وأصبح فؤاد أم موسى	القصص/10	147،144
وقالت لأخته قصيه	القصص/11	183،161،160،148،144

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وحرمنا عليه المراضع	القصص/12	236،161،149
فرددناه إلى أمه	القصص/13	148
ولما بلغ أشده	القصص/14	193،156
ودخل المدينة على حين غفلة	القصص/15	198،190،131
قال رب إني ظلمت نفسي	القصص/16	190،136،134،99،51 43،39،33،32،25،
وجاء رجل من أقصا	القصص/20	205،202،198،185،1 84،116،72
فخرج منها خائفا	القصص/21	198،109،43،26
ولما توجه تلقاء مدين	القصص/22	198،192،109،38،26
ولما ورد ماء مدين	القصص/23	190،169،126،121
فسقى لهما ثم تولى	القصص/24	/200 192،169،156،122،1 20،26
فجاءته إحداهما تمشي	القصص/25	145،121،114
قالت إحداهما يا أبت	القصص/26	232،223،202،166،1 56،126،116،99
قال إني أريد أن أنكحك	القصص/27	194،190،167،166،1 65،123،99
قال ذلك بيني وبينك	القصص/28	165،40
فلما قضى موسى الأجل	القصص/29	164،127،169،158،1 53،152،151،150،12 0،116،99،29
فلما آتاها نودي من شاطئ	القصص/30	237،229،227،226،1 32،31،18،05،86،38
وأن ألق عصاك	القصص/31	226،104،98،93،87
اسلك يدك في جيبك	القصص/32	104،93
قال رب إني قتلت	القصص/33	106
وأخي هارون هو أفصح	القصص/34	234،220،214،205،1 63،103،72،26
قال سنشد عضدك	القصص/35	220،205،163،105،9 4،22
فلما جاءهم موسى	القصص/36	231،228،201، 164،95،81،80،76،2

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

		2
وقال موسى رب أعلم	القصص/37	172،231،237،
وقال فرعون يا أيها الملأ	القصص/38	6،75،77،78،91،220 13،24،55،9
واستكبر هو وجنوده	القصص/39	35،55،82
فأخذناه وجنوده فنبذناهم	القصص/40	33،42،43،60،61،90
ولقد آتينا موسى الكتاب	القصص/43	33،48،56
ولكنا أنشأنا قرونا	القصص/45	33
وما كنت بجانب الطور	القصص/46	49
ولولا أن تصيبهم	القصص/47	52
فلما جاءهم الحق	القصص/48	52،57،210
قل فأتوا بكتاب	القصص/49	58،231
فإن لم يستجيبوا لك	القصص/50	44،79،227
ولقد وصلنا لهم القول	القصص/51	49،56،157
الذين آتيناهم الكتاب	القصص/52	157
وإذا يتلى عليهم قالوا	القصص/53	56،157،179
أولئك يؤتون أجرهم	القصص/54	44،157،179
وإذا سمعوا اللغو أعرضوا	القصص/55	29،157،200
إنك لا تهدي من أحببت	القصص/56	20
وقالوا إن نتبع الهدى معك	القصص/57	1،93،94،158،175 6،195،196،208،210
وكم أهلكنا من قرية	القصص/58	177،195،196
وما كان ربك مهلك القرى	القصص/59	9،50،58،90 6،195،197،236
وما أوتيتم من شيء	القصص/60	94،61،195
أفمن وعدناه وعدا حسنا	القصص/61	175،195،196
ويوم يناديهم فيقول	القصص/62	20،229
قال الذين حق عليهم القول	القصص/63	20،23،230
وقيل ادعوا شركاءكم	القصص/64	21،24،230
ويوم يناديهم فيقول	القصص/65	230
فعميت عليهم الأنباء	القصص/66	230

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فأما من تاب وآمن	القصص/67	164،44
وربك يخلق ما يشاء	القصص/68	33،29
وربك يعلم ما تكن	القصص/69/	164،32،31،18
وهو الله لا إله إلا هو	القصص/70	32،28،23
قل أرأيتم إن جعل الله	القصص/71	237،218،94،89،63، 59،57،41،19
قل أرأيتم إن جعل الله	القصص/72	237،89،63،95،57،4 1،19
ومن رحمته جعل لكم	القصص/73	176،108،90،28،24
ونزعنا من كل أمة	القصص/75	87،58،54
إن قارون كان من قوم	القصص/76	224،178،131،102،6 6،13
وابتغ فيما آتاك الله الدار	القصص/77	233،224،219،202،2 00،184،181،180،17 7،159،131،66،29
قال إنما أوتيته على علم	القصص/78	176،66
فخرج على قومه	القصص/79	138،131،20
وقال الذين أوتوا العلم	القصص/80	224،219،178،72،36
فخسفنا به وبداره الأرض	القصص/81	159،19
وأصبح الذين تمنوا مكانه	القصص/82	178،88،33
تلك الدار الآخرة	القصص/83	231،178،90
من جاء بالحسنة	القصص/84	44،29
إن الذي فرض عليك القرآن	القصص/85	90،12
ولا تدع مع الله إلها آخر	القصص/88	44،32
أمن خلق السموات والأرض	النمل/60	41
أمن جعل الأرض قرارا	النمل/61	41
ومن آياته خلق السموات	الروم/22	222،217
وإذ قال لقمان لابنه	لقمان/13	101
اعملوا آل داود شكرا	سبأ/13	27
إن في ذلك لآيات	سبأ/19	27
فلن تجد لسنة الله تبديلا	فاطر/43	65
وقال ربكم ادعوني	غافر/60	25

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أفرأيت من اتخذ إلهه هواه	الجاثية/23	135،79
فاعلم أنه لا إله إلا الله	محمد/19	136
ما يلفظ من قول	ق/18	39
قالت الأعراب آمنا	الحجرات/14	117
سابقوا إلى مغفرة من ربكم	الحديد/21	119
يا أيها الذين آمنوا لم تقولون	الصف/2	98
ألا يعلم من خلق	الملك/14	46
إنك إن تذرهم يضلوا عبادك	نوح/27	212
ويل للمطففين	المطففين/1	167
الذين إذا اكتالوا على الناس	المطففين/2	167
وإذا كالوهم أو وزنوهم	المطففين/3	167
فليعبدوا رب هذا البيت	قريش/3	197
الذي أطعمهم من جوع	قريش/4	197

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
أتدري ما حق الله على عباده؟ أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا	23
إن خياركم أحاسنكم أخلاقا	112
فلما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ	112
نزلت في أعراب من بني أسد بن خزيمة	117
قال النبي ﷺ لأصحابه يومئذ: إني قد عرفت رجالا	133
صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ	145
كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته	147
تنكح المرأة لأربع	150
مثل الجليس الصالح والجليس السوء	173
مثل القائم على حدود الله والواقع فيها	179
قالوا للنبي ﷺ نعلم أن قولك حق	196
الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله	201
من دخل دار أبي سفيان فهو آمن	218
أتي بالمنذر ابن أبي أسيد إلى رسول الله ﷺ	233

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

Abstract

Surt AL-Qassass: Applied Education Vision .

The purpose of this study was to explore the educational implication of Sourat Al- Qasas, through presenting its goals and educational means as well as presenting its applications in the educational field within its five domains via avis:

- Belief domain.
- Mental domain.
- Moral (Ethical) domain.
- Social domain.
- Al-da'wah domain.

Inductive approach through its both deductive and inductive styles studying this surah to infer its educational aspects.

The study revealed the following results:

- The holy Qur'an is a basic approach for the intended change, other wise, any change attempt other than applying the Qura'ani rules remains incomplete.
- Al- Qasas Sourah is valid to be an independent educational system, where the "wholeness and Comprehensiveness of the holy qur'an in embedded in this sourach, both in individuals and groups university.
- Al Qasas Sourach contains basic and consulted approach that treats major educational issues, which application assures the production of good man, society and nation.

The study included also some suggesting among which the need for crystallizing clear and intergraded philosophy, basced on Islamic sources.

Key Words: Islamic education, Sourat al-Qasas.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University